ميلكا إفيتش

اتجاهات البحث اللساني

ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح - وفاء كامل فايد



المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومي للترجمة
6
الطبعة الثانية

المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة

اتجاهات البحث اللسانى

تأليف

ميلكا إفيتش

ترجمة عن الإنجليزية

دكتور
سعد عبد العزيز مصلوح

دكتورة
وفاء كامل فايد

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٠

هده ترجمة لكتاب :

Trends in Linguistics

by

Milka Ivic

تم العمل فى ترجمة الكتاب على النحو التالى :

قامت المترجمة د . وفاء كامل فايد بترجمة النصف الأول من الكتاب ، الذى يبدأ بالمقدمة ، وينتهى بنهاية الفصل الرابع عشر (اللسانيات غير البنيوية) ، ومراجعته بعد الطباعة ، وتصويب أخطائــه المطبعية .

كما قامت بجمع المصطلحات وأسماء الأعلام الخاصة بهذا القسم .واشتركت مع المترجم في تنسيق المصطلحات وأسماء الأعلام فى الكتاب كلــــه .

وقام المترجم أ .د . سعد عبد العزيز مصلـــوح بترجمة النصف الثانى من الكتاب الذى يبدأ بالفصل الخامس عشر (اللسانيات البنيوية) وينتهى بنهاية الكتاب .

ومراجعته بعد الطباعة ، وتصويب أخطائـــه المطبعية .

كما قام بجمع المصطلحات وأسماء الأعلام الخاصة بقسمه ، واشترك فى تنسيق المصطلحات وأسماء الأعلام فى الكتاب كلـــه

تقديم الترجمة

الحمد لله الذي جعل اختلاف الألسنة آية من آيات قدرته ، والصلاة والسلام على من أوتي القرآن ومثله معه ، فخضعت لآية إعجازه الأعناق ، وعَنَت لبلاغة منطقه الوجوه .

وبعدُ ، فلعل باباً من أبواب العلم لم يُتَهضَّم كما تُهُضِّم التأليف في تاريخ العلوم . ولا يختص هذا القول بعلوم العربية بل ينجرُّ في ثقافتنا على العلوم الإنسانية التي كان لغيرنا فيها نصيب موفور .

وخالصة القول هنا أن التاريخ لمجال من مجالات المعرفة الإنسانية هو أجَلُّ من أن يكون محض إعلام بأمرٍ كان ، أو سرداً مُجَرّداً يُساق إلى قارئه للتفاكُه والمتاع . ولكنَّ الأخْلَق به أن يكون تصويراً لرحلة العقل مع الظاهرة المدروسة منذ تَفَتَّحت عليها الحواس البشرية ، ووَعَتْها الأذهان ، وعالجها العقل بالفحص والاختبار ، يُعملان فيها ملكاته بالملاحظة والتجريب ، والتعميم والتجريد كشفاً لمخبَّآتها ، وصياغةً للقوانين الحاكمة عليها .

لذلك كان التاريخ لعلم ما تأريخاً لعمل العقل في جهة من جهاته ، تظهر به أوليات الفعل التحليلي في الظاهرة ، بما قدمه العقل من فروض ، ثم ما توصل إليه بالتحليل والتعليل من نفي لما ظهر فيه الوَهَن ، أو استبان الفساد ، واستبقاء ما كان منها عصارةً وصَفْواً . ثم إن النَّخيل من هذه

الفروض ينتج بالضرورة فروضاً أخرى جديرة بأن ينتصب العقل لها اختباراً واستباراً . وهكذا تتصل رحلة العقل ، وتتراكم المعارف ، وتتفاعل العناصر فيدافع بعضها بعضاً ، ويكون تقليبٌ للأمور يستبين به الصحيح من الفاسد والشائل من الراجح .

والذي تقضي به بديهة المتابعة لهذه الرحلة الناصبة أن بداياتها غائبة في ألفاف الماضي ، ونهاياتها أمر يفوت دَرْكه علم البشر ، ولكنها - على أيّ حال - رحلة فيها ما فيها من ضروب المغامرة والمتعة ؛ حيث يكتشف العقل جوهره الفاذّ ، ويكدح إلى إرهاق آلياته التي يباشر بها ظاهرات يتجلى عليه بها الوجود ، ومآل كل أولئك إلى مزيد من تحقيق إنسانية الإنسان وعقلانية العقل .

والتأريخ للعلم ليس بلاغاً للناس بما كان ولا يزيد ، ولا عرضاً لما هي عليه حال العلم ليس وراءه وراء ، ولكنه - إلى ذلك - استشرافٌ لآفاق التطور في هذا العلم من جهة التنبؤ العلمي بما يمكن أن يكون ؛ ذلك أن تَوَلُّد الفروض بعضها من بعض والمعرفة بآليات تدافُعها وتجادُلها وإثبات الثابت ونفي ما هو حقيق بالنفي منها - كل أولئك قادر على أن يجلو للعقل الفاعل الهَضُوم ، والبصيرة الثَّقُوب ما ينتظر الفروض العلمية القائمة من مصير تؤول به إلى الحضور أو الغياب ، ويكشف له جرثومة الفساد الخفية في التصور والمنهج ، ويعينه على التوقع الصحيح ، ويومئ إلى مخارج العلاج واقتراح البدل الراجح للمبدول المرجوح . ولم يكن عجباً

للناس إذن – أن تظهر النظريات العلمية المترادفة ، وتَدَارُك الكشوف والإنجازات المعرفية في الثقافة التي تُعنَى بتاريخ العلم ، أو – إن شئت – بتاريخ رحلة العقل مع ظاهرات الطبيعة والإنسان .

وإذا تحولنا بالحديث من غيابات العموم إلى شخوص التخصيص فتأمّلنا واقع الدرس اللساني في العربية راعنا ما نحن عليه من لُهاث ينقطع به النَّفَسُ ولا يُدْرَكُ به المأمول ؛ ذلك أن استهلاك المُنْجَز الثقافي الغربي في هذا الباب يباين استهلاك المُنْجَز المادي من وجوه كثيرة ، ولا يصلح معه إلا تأمُّل الذات والوعي بموقعها من مسيرة العلم ، واستنبات البذور في تربة الثقافة العربية على نحو يفضي إلى توطين العلم ، والإسهام في صياغته ، ونحسب أن جانباً من المشكل اللساني العربي المعاصر أنه يقارب المرحلة المعاصرة مقطوعة الصلات عن مواردها ومصادرها ، ودون وعي كاف بتاريخ العلم ، ومكاننا من هذا التاريخ حاضره وغابره .

ولقد لحظ المترجمان خلاء الساحة وافتقار المكتبة العربية إلى مصنف يقوم بهذا الواجب على كثرة أمثاله وتنوعها في المكتبة الغربية ؛ فيرصد لنا رحلة الفكر مع اللغة ، في دقة حميدة ، وموضوعية أمينة ، ومعمار منهجي رصين ، واستيعاب موثّق ، وهو إذ يفعل إنما يستهل رحلته من بدأة البداء حتى يقف القارئ على الخريطة المعاصرة لمذاهب علماء اللسان وأنظارهم البحثية ، وعقائدهم العلمية في معالجة الظاهرة اللسانية .

ونشهد أن هذا الكتاب الذي تحمّلنا أمانة نقله إلى العربية قد أرضانا

في هذا الباب كل الرضا . ولقد انتفعنا به أكبر المنفعة زمناً طويلاً فيما عرض لنا من مسائل العلم ، وأحببنا أن يكون الانتفاع به شركة بيننا وبين أبنائنا وإخواننا من شُداة هذا العلم ، والمشتغلين به والراسخين فيه ، وحاولنا ما وسعنا الحِوَال أن نيسّر الكتاب للقراءة ، فحرصنا على أمانة النقل عن الأصل ، وعلى اصطناع لغة لا تتحيّف سهولتُها ووضوحُها غزارةَ المحتوى ، وامتياز دقائق الفروق بين التصورات والمناهج . ثم كان أن ألحقنا به مَسْرَدَيْن أحدهما لأعلام اللسانيين والثاني للمصطلحات الواردة في تضاعيفه ، ولعل آخرهما أن يكون سُهْمةً متواضعة منا في مقاربة المشكل المصطلحي في اللسانيات العربية المعاصرة .

ونحن عازمان - إن شاء الله - على أن نُتْلِي ترجمة هذا المصنَّف بترجمة مصنَّفٍ آخر منجنسه يصل القارئ من حيث وقف الأول بما جدّ من مدارس ، وما استحدث من مقاربات ومناهج في السنوات الأخيرة ، حتى إذا اعتضد كلاهما بأخيه كان ذلك أبلغ للمراد ، وأوفى بالقصد ، وأجلى لقسمات الصورة المركبة التي تبدو عليها اللسانيات المعاصرة .

ولعلنا بعملنا هذا أن نكون أدَّينا بعضاً من دَيْننا لهذا اللسان الشريف

وربُّنا الرحمن المستعانُ على كل خير

سعد مصلوح　　　　　　　　وفاء كامل

(١)

مقــدمــة

1 - أظهرت الشعوب المتمدينة اهتماماً بالقضايا اللسانية منذ أقدم العصور التي سجلها التاريخ . وكان مجال هذا الاهتمام محكوماً - على الجملة - بمتطلبات الحياة الاجتماعية .

2 - وفي الجماعات التي كان للعقيدة فيها دور اجتماعي بعيد المدى ، تطلع الناس إلى معرفة لغة الطقوس الدينية ، ولا سيما في الشكل الذي سُجلت به اللغة في نصوص دينهم . وهكذا وصفت اللغة السنسكريتية تفصيلاً - على سبيل المثال - في ماضي العقيدة الهندوسية السحيق قبل هذا العصر الذي نعيش فيه بعدة قرون (انظر فيما يلي ف ١٧) . ولقد كرَّس العالم المسيحي جانباً كبيراً من أنشطته لدراسة اللغة اللاتينية (انظر فيما يلي ف ف ٢٤ - ٢٧) . ودرس اليهود العبرية من الكتاب المقدس (انظر فيما يلي ف ٣٤) . وأنشأ العرب مراكز لغوية تهدف في الأساس إلى تمكين معتنق العقيدة من القراءة الصحيحة للقرآن [الكريم] (انظر فيما يلي ف ٣١) . وقد ارتكزت المختصرات النحوية الأولى ، وكذلك دراسات فقه اللغة ، والأفكار الأساسية في تقعيد النحو ، على بدايات بعيدة متواضعة من هذا النوع ، أملاها طابع الحياة الخاص ، والعادات المتميزة في مجتمع متمدين بعينه .

3 - وتولد عن المناخ الثقافي عند الإغريق - وهو مجتمع تميز بمستوى رفيع من المدنية ، ونظرة دينية متحررة نسبياً - اهتمام حي باللغة ، وتجاوزت بحوثهم اللسانية الحدود الضيقة للأهداف العملية الخالصة ؛ وصارت جزءاً من مجال البحث الفلسفي الخصب الذي كان الفكر الهيليني شديد الميل إليه (انظر فيما يلي ف ٨) . وقد ارتكزت الأفكار الأساسية الأولى عن الفصائل اللغوية ، والأسس التي حكمت تركيب الجمل ، والارتباط الواقع بين الفكر وعمليات الكلام ، على أساس من هذا الاهتمام اللساني الذي انبثق في إطار الدراسات الفلسفية . ولم يمثل كل ذلك - في الواقع - إلا معرفة غامضة بظاهرة اللغة ، إلا أن مجرد هذا الاتصال الأولي ، المبكر والبدائي إلى حد ما ، بين البحث اللساني والفلسفي كان هو الذي احتوى جذور التاريخ الطويل للنحو ، أعني النحو التقليدي ، الذي تربت عليه أجيال من اللسانين إلى عهد قريب ، وما زال له مناصروه حتى اليوم .

4 - وقد أتاح عصر مركزية القوى السياسية في خواتيم عهد الإقطاع في أوروبا حافزاً للعمل في مجال النحو المعياري Normative Grammar وقامت وحدات سياسية قوية ذات نظام اجتماعي على درجة عالية من التباين ، فنشأت رغبة في معالجة اللغة الخاصة بالطبقة المتميزة على نحو يمتاز بالإحكام والإتقان . وتزامن قيام الملكية الفرنسية - على سبيل المثال - مع نمو التقاليد الفرنسية الهادفة إلى إحكام المقاربة المعيارية لحقائق اللغة (انظر فيما يلي ف ٣٨) . وبمرور الزمن كانت التقاليد التي انتقلت انتقالاً أميناً من جيل إلى جيل قد تبنتها كذلك أمم أخرى .

5 - غير أن العمل اللساني جميعه ، مما تمَّ إنجازه قبل بداية القرن التاسع عشر ، كان إما مكرساً لحل المشكلات العملية للغة في مجتمع بعينه ، وإما أنه كان إنجازاً قد تمَّ في إطار هموم فلسفية أكثر اتساعاً ، أي هموم غير لسانية . ويمكن أن نقول ، اختصاراً ، إنه فيما قبل القرن التاسع عشر لم يكن للسانيات وجود بوصفها مجالاً معرفياً متميزاً ، له منهجه العملي ، ونظريته العامة الراسخة الأساس .

6 - وإذا دققنا النظر فيما سلف لنتعرف أي الشعوب كان له عطاؤه في مجال معرفتنا باللغة فلن نصطدم بالطابع التفتيتي الذي اتسمت به الهموم التي جرى استعراضها فحسب ، بل سنصطدم كذلك بالطريقة البسيطة والأحادية التي قوّم بها كل الباحثين لغتهم من حيث علاقاتها باللغات الأخرى : فلقد رأت كل أمة في لغتها الخاصة اللغة النموذجية ، ورأوا أنها أكمل أشكال التوثيق الذي يتألى فيه أنجح صور التآلف بين الصيغ اللغوية والروح الإنسانية . وقد تطلب الأمر آفاقاً أوسع من المعرفة العامة ، واتصالاً بين الأمم المختلفة أكثر رسوخاً ؛ لإيجاد الأسس العقلية الضرورية لقيام بحث لساني منهجي أصيل .

(٢)

البحث اللساني عند الإغريق

7 - قام الإغريق ببحوث لسانية في اتجاهات كثيرة . فقد كانوا أول المنظرين اللسانيين في العالم ، وانفردوا بذلك لزمن طويل . وكانوا أيضاً أول من اهتم من الأوروبيين بالدراسة المنضبطة للنصوص المدونة ، وبتثبيت المعايير الخاصة بلغة ثقافتهم . ولم يكن الإغريق أول من أسس قواعد النحو الأوروبي التقليدي فحسب ، بل إننا مدينون لهم بتقاليد البحث النحوي التي جرى الحفاظ عليها بأمانة فيما تلا ذلك من قرون .

8 - وقد نبعت دراساتهم في نظرية اللغة من همومهم الفلسفية . ولما كانت غايتهم هي إضفاء الكمال على آرائهم الفلسفية أو تدقيق صياغتها ، فقد بذلوا جهوداً خاصة لتتبع أصل اللغة[1] ، والعلاقة المباشرة بين البنية الصوتية للغة وما يقابلها من معنى ، وإمكان استعمال الأسس المنطقية في شرح الأشكال النحوية . ولا تزال جميع هذه المشكلات ، التي سبق الإغريق إلى تحريرها ، موضع اهتمام اللسانيات المعاصرة .

9 - اشتغل جميع أعلام الفلاسفة القدماء بالتنظير اللغوي ، ولو بطريقة عرضية في الأقل . واشتملت المحاورات الفلسفية - عادة - على مناقشات ذات صلة مباشرة بالقضايا اللسانية . وقد حظيت إحدى هذه

المناقشات بشهرة خاصة ، ونعني بها قضية البحث في إمكان وجود ارتباط منطقي مباشر بين المعاني التي يعبّر عنها بالكلمات ، وبين أشكالها الصوتية ، أم أن الارتباط بينهما عفوي ناتج عن المصادفة[٢] .

ويرى القياسيون Analogists أن اللغة هي هبة الطبيعة ، وأنها لا تعتمد على العرف الإنساني . واللغة في جوهرها نظامية ومنطقية ، وهذا يعني أن ثمة توافقاً تاماً بين الشكل الصوتي للكلمة والمعنى الملازم لها . وقد بذل القياسيون جهداً خاصاً للبحث التأثيلي Etymological Research[٣] ، رغبة منهم في إظهار هذا التوافق ، وعملاً منهم على إزالة أي غموض يعوق مثل هذا الارتباط المثالي (وهو غموض يمكن أن يعرض للكلمات بمرور الزمن) . ولم يبلغ الميل إلى الدرس التأثيلي عند هؤلاء التأثيلين الأوائل قط مبلغ الدراسة المنهجية للتغيرات اللسانية[٤] .

أما المشذذون Anomalists فلم يقتنعوا بوجود ارتباط مثالي بين البنية الشكلية والبنية الدلالية للكلمة . واستظهروا أنواع الشذوذ حيثما ظهرت على مستويات العلاقات اللغوية كلها .

وقد زادت الحماسة للتأثيل لدى أجيال كثيرة من أهل القياس – على سبيل المثال – عندما رأوا رجلاً سديد الرأي مثل هيراقليتوس Heraclitus (حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد) يصر على وجود تطابق بين العقل البشري – بوصفه نظاماً كلياً متكاملاً وبين البنية الأساسية للغة . أما أهل «التشذيذ» من جهتهم فقد آمنوا بأفكار ديموقريطوس Democritus الشهير (حوالي ٤٦٠ – ٣٦٠ قبل الميلاد) الذي أنكر إنكاراً حاسماً الفرض القائل بقداسة أصل اللغة[٥] . ولم يكن هذا الأمر موضع إهمال من أفلاطون Plato (٤٢٧

- ٣٤٧ ق .م)[٦] . فعلى الرغم من أنه حارب الآراء التأثيلية الساذجة المبنية على التفسيرات الحرفية لما يؤكده هيراقليتوس نجده يؤيد هيراقليتوس في فكرته الأساسية الخاصة بالارتباط بين الذكاء البشري والبنية اللغوية[٧] .

10 - وبصفة عامة كان منطلق أفلاطون الاقتناع بأن الكلمة هي الشكل المادي للفكرة، وأنه في الفكرة تكمن بدايات معرفتنا عن العالم . وقد تولدت المحاولات الأولى لتعريف المقولات النحوية الأساسية من هذا الموقف الفلسفي . وتطبيقاً للمعايير المتصلة بعمليات المنطق عرف أفلاطون الاسم بأنه شيء يخبر عنه (وهو ما يتفق مع التعريف التقليدي المتأخر للمسند إليه ، الذي كرره الكثيرون حتى اليوم) وعرّف الفعل بأنه ما يخبر به عن الاسم (وقد صار هذا التعريف هو الفكرة التقليدية عن المسند ، التي يتمسك بها أنصار اللسانيات التقليدية حتى اليوم) .

11 - وقد كان أرسطو Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢ ق .م) هو الذي دخل تاريخ الدراسات اللسانية على أنه المؤسس الحق للنحو الأوروبي التقليدي . وخلال القرون التالية لم يتغير فكره حول أقسام الكلم إلا في تفاصيل لم تمس جوهره الأصيل . وللمقاربة التقليدية للنحو جذورها الضاربة في الطرق التي اعتمدها أرسطو لرصد ظاهرة اللغة ، ولا سيما في مجال بنية الجملة . وقد قدم أرسطو - في الحقيقة - ضمن تأملاته عن اللغة معايير خاصة بالبحوث الفلسفية حين صنف الأشكال النحوية وفقاً لما تشير إليه من مادة وكيف وكم وعلاقة ووجود وتغير . . إلخ . وقد أثبت هذا الميراث الفكري الفلسفي أنه ميراث بلغ الغاية من بعد النظر والثبات على الزمن فيما تلا ذلك من تطور في مجال اللسانيات

وكان أرسطو هو أول من حاول تصنيف أقسام الكلم ، فجمع كلاً من الأسماء Onoma والأفعال Rhema معاً ، حيث رأى أن هذه الكلمات هي وحدها التي تحمل معاني متميزة في ذاتها ، في مقابل كل الكلمات الأخرى التي لا تفيد إلا في ربط العمليات المنطقية للتفكير Syndesmoi . وقد اتضح فيما بعد ثبات الأساس الخاص بتقسيمه ، على الرغم من أن الترتيب الفعلي لأقسام الكلم المتعينة داخل هاتين المجموعتين قد تغير إلى حد ما .

وتختلف الأفعال - تبعاً لطريقة أرسطو في التفكير - عن غيرها من أنواع الكلم بسبب خصائصها المتعلقة بتشكيل الزمن . ومن هنا كان الإسناد هو الوظيفة الأساسية للفعل . وعلى الرغم من ذلك عدّ أرسطو المسند ذا وظيفة أكثر اتساعاً من الفعل : فالمسند يتضمن كل ما يعطي معلومة عن المسند إليه . وبالنظر إلى أن البشر يمكن تعيينهم تبعاً لما يطلق عليهم من نعوت ، لذا فإن هذه النعوت - التي يعبر عنها نحوياً بالصفات - هي ليست أفعالاً على الحقيقة ، ولكنها من قبيل المسند . وهذا يعني شيئين : أحدهما أن هناك جملاً بلا أفعال ، والثاني أن المسند لا يلزم أن يكون فعلاً على الحقيقة .

وقد عرَّف أرسطو الجملة بأنها تركيب مؤلف من عناصر صوتية تحمل معنى محدداً قائماً بذاته ، ولكن كلاً من مكوناته يحمل - في الوقت نفسه - معنى خاصاً به أيضاً . غير أن نظرية أرسطو في الجملة كانت مرتبطة في عمومها بنظريته في الحكم المنطقي ، التي أدت به إلى أن يضفي على قضية الإسناد أهمية خاصة(٨) .

12 - ولا شك أن الفلاسفة اليونانيين أبدوا اهتماماً خاصاً بظواهر اللغة ، ولكنهم افتقروا إلى الإدراك الحقيقي لطبيعتها المعقدة ذات الأوجه المتعددة . وكان مما حدّ آفاق معرفتهم باللغة ما ثبت من أنهم عدّوا لغتهم الخاصة أفضل وسائل التعبير عن الفكر البشري ، ورأوا أن التنظير للغة في عمومه يمكن إنجازه على أساس من المعلومات الخاصة بمادة اللغة اليونانية وحدها .

13 - وكان الإغريق كذلك رواداً في مجال دراسة فقه اللغة . وبدأوا التراث الخاص بالوصف المنضبط للغة النصوص المدوّنة . وكان أرستاركوس Aristarchus (٢١٦ - ١١٤ ق .م) هو أشهر فقيه لساني يوناني في العصور القديمة ، وقد درس الإلياذة والأوديسا من منظور لساني . وكان ، بفضل ما اصطنعه من طرق تحليلية ، واحداً من أبرز الممثلين لما يطلق عليه «مدرسة الإسكندرية» .

14 - ويطلق مصطلح «مدرسة الإسكندرية» على حقبة مثمرة من العمل النحوي بوجه خاص في مركز البحوث اللسانية الذي أنشأه الإغريق في الإسكندرية . (وقد امتد نشاطه إلى أوائل القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد) . وكانت هناك مدارس مشابهة في مناطق أخرى من العالم الهيليني - في آسيا الصغرى - في برجامون وطرسوس(٩) . وعلى أي حال فقد انفردت مدرسة الإسكندرية بسمعة متميزة بوصفها المركز الفريد الذائع الصيت في العالم القديم ، الذي تمرن فيه أجيال من النحاة الموهوبين ، وترسخت به تقاليد عظيمة في مجالات الهموم النحوية ، ومناهج العمل . وقبل زمن السكندريين لم يكن النحو إلا مجرد فرع من فروع الدراسات الفلسفية اليونانية . وأما مع بداية عصرهم فقد صار مجالاً معرفياً قائماً

بذاته ، يتعهده متخصصون متمرسون ، وله فروعه المتخصصة (فقد اهتم مصنفو المعاجم Lexicographers بجمع الكلمات ورصدها ؛ وقام علماء المعاجم Glossators بشرح المصطلحات الصعبة ، والأشكال اللهجية ، والتعبيرات الفنية ؛ ودرس البلاغيون Rhetoricians اللغة لتنمية مهارة الخطابة ؛ وتخصص المحققون Scholiasts في شرح النصوص ، إلخ . ولم يحقق السكندريون إسهاماً جديداً للنظرية اللسانية ، وإنما اعتنقوا الأفكار الفلسفية التي ورثوها عن أساتذتهم اليونانيين في مجال اللغة ، وطوروها . وتابعوا البحث في أقسام الكلم أيضاً . وازدهرت الدراسات الصرفية ، كما دخلت الدراسات الصوتية إلى مجال اهتمامهم اللساني[١٠]

وأبدى السكندريون ميلاً لتثبيت النماذج الخاصة باللغة اليونانية ، فحاولوا - على سبيل المثال - أن يدخلوا الأشكال المتميزة للغة اللونية القديمة (التي كتبت بها ملاحمهم الشهيرة) في لغة الحياة اليومية في زمانهم . وكانت هناك محاولة أيضاً لتثبيت اللغة التي احتفظت بها الأغاني الجماعية الشهيرة ذات الأصل الدُّوري Doric على أنها نماذج لغوية .

وقد أحكم السكندريون صنع نحو وصفي للغة اليونانية لاقى شهرة واسعة . ولكن الذي قلل من قيمته أن الوصف لم يكن على درجة كافية من الموضوعية لسببين : أولهما أن تفسير الظواهر اللسانية كان موغلاً في التفلسف ، وثانيهما وجود ميل إلى المبالغة في نظرتهم إلى اللغة اليونانية على أنها أعظم اللغات البشرية حظاً من المنطقية والمثالية .

وكان ديونيسيوس ثراكس Dionysius Thrax الشهير (القرن الثاني قبل الميلاد)[١١] هو مؤلف أقدم نحو يوناني سلم من الضياع (وهو

المعروف باسم Grammatiké Techné) . كما كان أبولونيوس ديسكولوس Apollonius Dyskolus (من القرن الثاني الميلادي) من أبرز السكندريين الذين عملوا في مجال النحو الوصفي ، ومن أوائل نحاة العالم الذين بدأوا في الاهتمام الجاد بقضايا البنية النحوية(١٢) . وقد عمل ابنه هيروديان Herodian في مجال تاريخ العلوم اللسانية : إذ تضمنت دراساته للغة الكتاب اليونانيين القدماء (من القرن الخامس قبل الميلاد) - على سبيل المثال - أول وصف للهجات اليونانية الجديرة بالاهتمام .

إحـــالات

15 - للمعلومات الأساسية ارجع إلى :

- بلومفـيلد Bloomfield : **اللغـة** Language ، الفـصل الذي عـنوانه «دراسة اللغة» .

- زفيجينسيف Zvegincev : **تاريخ اللسـانيات**

Istorija Jazykoznanija I, p.p. 9 - 14.

- أرينز Arens : **علم اللغة** Sprachwissenschaft, p. p. 5 – 28 .

وهناك مزيد من التفاصيل في مجموعة مقالات بعنوان : **نظرية القدماء في اللغـة والأسلوب** Antičnye Teorii Jazyka i Stilja ، بإشـراف و .ز . فرايدنبرج (موسكو - لينجراد ، ١٩٣٦) .

- وانظر أيضـاً هـ . شـتاينتـهـال Steinthal : **تاريخ علـم اللغة عند اليـونان والرومان** Geschichte der Sprachwissenschaft bei Griechen und Roemern (برلين ، ١٨٦٣ ؛ الطبعة الثانية ١٨٩٠) .

- إ . إيجـــر E. Egger : **أبولـونيـــوس ديسكول ، دراســـة في تـاريخ النظريات النحوية في العصور القديمة**

Apollonius Dyscole, Essai sur l'histoire des théories Grammaticales de l'antiquité

(باريس ١٨٥٤) .

- أنتون دوبياش Anton Dobiaš : **النحو عند أبولونيوس ديسكولوس** Sintaksis Apollonija Diskola (كييف ، ١٨٨٢) .

- ر . هـ . روبنز R.H. Robins : **النظرية النحوية في العصور القديمة والوسطى في أوروبا ، مع اهتمام خاص بالمذهب اللساني الحديث**

Ancient & Medieval Grammatical Theory in Europe, with Particular Reference to Modern Linguistic Doctrine,

(لندن ، ١٩٥١) .

- و. س. ألين W. S. Allen : **«الأفكار القديمة حول أصل اللغة وتطورها»**

"Ancient Ideas on the Origin & Development of Language"

p.p. 35 - 60.

Transactions of the Philological Society (1948 - 49).

- يوسف ديربولاف Josef Derbolav : **«عن محاورة كراتيلوس في إطار لغة أفلاطون والمعرفة الفلسفية»** "Der Dialog 'Kratylos' in Rahmen der Platonischen Sprach und Erkenntnisphilosophie"

مخطوطات جامعة سارلاندز (ساربروكن ، الطبعة الغربية الشرقية ، ١٩٥٣) .

وقد يكون من المفيد لدارسي اللسانيات التعرض للنظريات اللسانية الخاصة بالعصور القديمة التي نادى بها عالم الفلسفة :

- إرنست كاسيرار Ernst Cassirer : في **«فلسفة الأشكال الرمزية»** The Philosophy of Symbolic Forms (نيوهافن ١٩٥٣) ، الفصل الخاص بقضية اللغة في التاريخ الفلسفي ، في قسم : «قضية اللغة في التاريخ الخاص بالمثالية الفلسفية» (أفلاطون ، ديكارت ، ليبنز)» ، p.p. 117 - 132 .

الحــواشي

(١) كان أصل اللغة محل تفكير البشر من زمن سحيق . وقد سجل المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت Herodotus (من القرن الخامس قبل الميلاد) قصة عن ملك مصري يدعى بسماتيك Psametichus أمر بعزل طفلين حديثي الولادة عن العالم الخارجي ؛ لكي يكتشف اللغة التي بها سيتحدثون بطريقة تلقائية . وجاء في التراث أن الطفلين نطقا أول ما نطقا كلمة (بيكوس) التي تعني الخبز في اللغة الفريجية . وهكذا عدت الفريجية أقدم لغة في العالم . وفي الأزمنة الحديثة تعلق التفكير في أصل اللغة أساساً بقضية تشكيل أصواتها : فمن المحتمل القول بأن اللغات قد نشأت عن رغبة في تقليد أصوات بعينها في الطبيعة (تلك التي تسمى الأصوات الموحية Onomatopoeic أو نظرية باو باو) ، أو أنها نشأت استجابة صوتية لكل انطباع خارجي يستقبله المرء (أو ما يسمى بالنظرية الفطرية Nativistic أو نظرية دينج - دونج) ، وربما كانت نشأتها عن صرخات عفوية نطق بها الإنسان تحت تأثير عاطفة قوية (وهو ما يسمى بالنظرية الانفعالية Interjectional أو نظرية بوه - بوه) . وما زالت المشكلات المتعلقة بأصل اللغة Glottogonistic موضع مناقشة إلى الآن .

(٢) لا يعرف على وجه التحديد من بدأ هذا النقاش ، فبعضهم يعزوه إلى بروتاجوراس Protagoras (حوالي ٤٨٠ - ٤١٠ قبل الميلاد) ، وبعضهم يرجعه إلى بيثاجوراس Pythagoras (حوالي ٥٧٢ - ٤٩٧ قبل الميلاد) ، وقد استغرق هذا النقاش عدة قرون .

(٣) جدد المتأخرون من النحاة اللاتينيين اهتمامهم الخاص بالتأثيل مقتفين في ذلك نهج اليونانيين ، دون التزام بقدر كاف من الموضوعية .

(٤) كان الفلاسفة الرواقيون في القرن الثالث قبل الميلاد من أكثر غلاة المتحمسين للدراسات التأثيلية (التي تميط اللثام عن حقيقة الكلمات) . وبعيداً عن التأثيل

سجل الرواقيون نتائج إيجابية في بحوثهم اللسانية . فعلى سبيل المثال كان للرواقيين الفضل في إنجاز البدايات الجديرة بالانتباه في دراسة الحالات الإعرابية . وعلى حين يرى أرسطو أن الحالة الإعرابية هي كل صيغة من صيغ الكلمة تختلف عما يعد شكلاً أساسياً (مثلاً : كل صيغة فعلية كانت (تمثل) حالة بالقياس إلى المضارع . . . إلخ . فقد استثنى الرواقيون الأفعال من مقولة الحالة الإعرابية ، وقصروا هذا المفهوم على الصيغ الاسمية . وكانوا أول من أدخل التمييز التقليدي بين حالة «الرفع» Nominative والحالات الأخرى (حالة «النصب» Rectus ، وحالة «الجر» Oblique) .

(٥) كانت الحجج التي ساقها على الوجه التالي : لقد ثبت النقص في حق اللغة بوجود المترادفات والمشترك اللفظي ، ويكون الصيغ اللغوية عرضة للتغيير ، وأيضاً بانتفاء الاطراد في السلوك النحوي للكلمات (مثال ذلك إمكان اشتقاق الأفعال من بعض الأسماء لا من جميعها) .

(٦) طور أفلاطون هذا الموضوع في محاورة «كراتيلوس Cratylus ، في صورة حوار بين كراتيلوس (أحد مؤيدي هيراقليتوس) وهيرموجينس Hermogenes (أحد المشذذين) والفيلسوف الشهير سقراط Socrates (وهو الذي يمثل وجهة نظر أفلاطون ، ويتجه إلى التوفيق بين الآراء المتعارضة في معظم الأحوال) .

(٧) يبرأ أفلاطون من النزعة البدائية بشأن هذا الارتباط ، ويؤكد أنه لا ينبغي البحث عنه في التجلي المادي للظاهرة اللسانية . إن هذا الارتباط يوجد في محيط الذكاء البشري حيث تكون الأسس المنطقية ذاتها صادقة على بنية اللغة صدقها على عملية الفكر .

(٨) يتحقق الإسناد بالربط أو الفصل بين فكرتين . ويكمن العنصر الأساسي للإسناد في فعل الكينونة ، فحتى عندما نقول - على سبيل المثال - الرجل يذهب ، تتطابق هذه الكلمات - في الحقيقة - مع الحكم المنطقي : الرجل في حالة ذهاب . وقد ظلت نظرية أرسطو هذه ، التي تربط بين الحكم والإسناد ، أساسية في تاريخ المنطق .

(٩) ظهرت مدارس مشابهة في الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد .

(١٠) قسم اليونانيون الأصوات إلى حركات Vowels وصوامت Consonants . وقد عرفت الحركات بأنها ظواهر صوتية يمكن أن تمثل وحدة صوتية في ذاتها وتكون إما طويلة أو قصيرة ، على حين عدّت الصوامت ظواهر صوتية لا يمكن أن تشكل وحدة صوتية كاملة إلا بائتلافها مع الحركات . وقسمت الصوامت إلى صوامت نصف مجهورة وأخرى مهموسة . ولم توضع السمات النطقية موضع النظر .

(١١) كان ثراكس أول من صاغ التعريف التقليدي الشهير للجملة ، بأنها تأليف من الكلمات يعبر عن فكرة تامة . وقسم الأسماء إلى الاسم العام والعلم . كما كان أول من قدم وصفا تفصيلياً للفعل اليوناني من حيث خصائصه الصرفية .

(١٢) كان ديسكولوس أول من أسس مجال البحوث في بنية الجمل : إذ رأى أن دراسة النحو ينبغي أن تتعلق بالقواعد التي تحكم نماذج التأليف بين الكلمات في الجملة . وواصل ديسكولوس تقريره لهذه القواعد وفقاً لآرائه في أقسام الكلم : فلم يضع تمييزاً فاصلاً بين الاستعمالات العارضة للكلمات في الجملة وبين الوظائف النحوية المعيارية التي تتضمنها أشكالها المعجمية الأساسية .

(٣)

المدرسة النحوية الهندية

16 – لا شك أن الهنود القدماء جديرون بما اكتسبوه من شهرة ذائعة بفضل عطائهم المتميز للدراسات النحوية . وهم يذكرون اليوم بتقدير خاص ، لا يرجع في الغالب إلى الحجم المذهل لعملهم وما حققوه من نتائج ، بل يرجع إلى حساسيتهم تجاه الوصف الموضوعي المنضبط للحقائق اللغوية . وقد عرف أساتذة النحو القديم هؤلاء كيف يعرّفون الظواهر بأكبر قدر من الدقة والإيجاز ، وبطريقة رياضية في الأعم الغالب . (كانوا في واقع الأمر ذوي نزعة مضادة للتاريخ Anti-Historical بدرجة لافتة من جهة القضايا اللسانية وإجراءات العمل ، ولم يكونوا موضع الثقة والانضباط إلا في معالجتهم اللغة من الوجهة الآنية Synchrony) . والهنود القدماء هم موضع التقدير من كثير من اللسانيين المحدثين اليوم بدرجة كبيرة ، بسبب ما تمتعوا به من حس خاص بانضباط المنهج في التحليل ، بوصفهم أقدم الرواد لعصر اللسانيات البنيوية والرياضية السائدة في هذا الزمان .

17 – وقد ظهر الاهتمام باللغة في المجتمع الهندي قبل عصرنا الحالي بعدة قرون ، مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالمناخ الاجتماعي والثقافي العام

السائد هناك . وفي هذا المجتمع - الذي كان ينقسم إلى طوائف - انصب الاهتمام ابتداء على اللغة التي تجلت فيها ثقافة الطبقة العليا المتميزة ولكي يضمنوا نقاء هذه اللغة نشأت المدارس النحوية التي تهدف إلى تكوين جماعة من النحاة المتمرسين ، يتمتعون بالكفاءة والقدرة على رصد الحقائق اللسانية ووصفها . وجذور هذا العمل النحوي ضاربة في القدم ، ولكن تراثه ما زال حياً . ويمكن أن نلتمس إشارات للاهتمام الهندي بالنحو حتى في مؤلفاتهم القديمة . فبعض القضايا اللسانية تناقش فيما يسمى بالمجموعة الثالثة من نصوص الفيدا . كما يمكن البرهنة على رسوخ التقليد النحوي الثابت من أوثق الشهود وهو «پانيني» Pànini الذي أورد أسماء عدد من أسلافه . ولكن عمله الخاص هو الذي أظهر بقوة ، أكثر من أي شيء آخر ، أنه كان ذا خلفية مدهشة من المعرفة باللغة ، مكنته من أن يكشف للعالم عن موهبته اللسانية الفذة .

18 - نذر بانيني[١] نفسه لتثبيت نماذج اللغة السنسكريتية[٢] القديمة ، وهي اللغة التي اشتهرت طويلاً بأنها وسيلة التعبير عن الثقافة الهندية في ذروة عظمتها وثرائها .

وصف بلومفيلد نحو اللغة السنسكريتية الذي وضعه پانيني بما يليق به (انظر فيما يلي ف ٣٢٥) ؛ إذ قال إنه «واحد من أعظم معالم الذكاء البشري»[٣] . وكان حس هذا الهندي القديم مدهشاً حقاً في التقويم والوصف وصياغة الأشياء . وجاءت معظم تعريفاته في صيغة معادلات قصيرة وبسيطة ، على نحو لا يتسنى إلا لعقلية مكتملة مستنيرة ، ترتكز على أسس ثابتة من الدقة في ملاحظة الحقائق . وقد وصف بانيني السنسكريتية

التقليدية في أربعة آلاف معادلة من هذه المعادلات التعريفية . وليس ثمة شك في أنه كان على وعي تام بأن اللغة نظام . بل إن الفكرة التي تسمى اليوم وحدة الصرفيم الصفري Zero Morpheme لم تكن غريبة عليه (انظر بيان مفهوم المصطلح صرفيم فيما يلي ف ٣٣٤) . وقد كان على دارسي اللغة في عصرنا أن يبذلوا ، من جانبهم ، جهوداً ملموسة لكي يكتسبوا المعرفة بمبادئ الصوتيميات الصرفية Morphophonemics (انظر فيما يلي ف ٢٩٨) . وعلى أي حال فقد كان من اليسير بمكان أن ينفذ بانيني إلى سر البدائل الصوتية المستخدمة لتحديد اختلافات المعنى النحوي في الأشكال اللغوية . وكان يلاحظ ظواهر الصوتيميات الصرفية بدرجة من الصحة لا تخطئ كما لو أن آفاقه النظرية قد تشكلت تحت تأثير اللسانيات البنيوية في القرن العشرين .

19 - ولم تتوقف الإنجازات الباهرة للهنود في مجال البحث اللساني عند بانيني . فقد تلقف ميراثه خلف لم تقف مواهبهم عند حدود الحفاظ عليه ، بل تجاوزت ذلك إلى مزيد من التطوير له . وثمة اثنان من بين كثير من أعلام النحاة جديران بأن يفردا بالاهتمام وهما : باتانجالي Patañjali (القرن الثاني قبل الميلاد) ، وبهارترهاري Bhartrhari (القرن السابع الميلادي) ، وهو جد متأخر في الزمن عن باتانجالي ولكنه وثيق الصلة به من حيث روحه في العمل . وكان كلاهما ممثلا للمدرسة النحوية التي أنشأت نظرية تقول بوجود طبقة باطنة وثابتة لا تقبل التغيير تكمن وراء كل التنوعات النظرية المميزة لنظام لغوي بعينه . وتشير هذه النظرية عند تطبيقها على الأصوات إلى ما سمي بالصوتيم Phoneme في القرن الحالي ، ويعني القيمة الصوتية الثابتة (غير الخاضعة للتنوعات النطقية

الفردية) التي توجد بوصفها الوحدة الخاصة بنظام لغوي معين ، وتقوم بوظيفة العلامة الدالة على الاختلاف بين الكلمات في المعنى .

20 - ومن بين غايات النحو الهندي تحديد العلاقات العددية بين الكلمات المتنوعة والمقاطع في النص . ولم يكن الاعتراف بما تتمتع به الطريقة الإحصائية من كبير جدوى في البحث اللساني موضع الإجماع إلا في هذا العصر ، حيث جرى تطبيقه على نطاق واسع .

21 - اشتغل الهنود القدماء أيضاً بالوصف الصوتي Phonetic Descriptions . وكانوا (مع بعض الأمم الشرقية الأخرى ، كالصينيين أساساً) من بين أوائل الأمم التي رسّخت الاهتمام المطلوب بالعناصر المنطوقة في وصف الأصوات ، ولم يظهروا في تصنيفهم للمعاجم بمظهر أقل شأناً ، ولكنهم كانوا أقل نجاحاً في دراساتهم التأثيلية للكلام ؛ فلقد كانوا من علماء اللسانيات الآنية Synchronists ، وغير متمرسين بالنحو التاريخي بحكم ما آل إليهم من تراث ، فلم يستطيعوا أن ينفذوا إلى كل عوامل التطور التي يجري بالفعل تحت تأثيرها تركيب وحدات الكلمة .

22 - وقد ظلت الإنجازات النحوية للهنود القدماء غير معروفة للعالم خارج حدودهم . ومرت قرون قبل أن يدرك الأوروبيون جميع تفاصيل العمل اللساني المدهش ، الذي قام به الهنود من زمن بعيد . وقد افتقد الهنود في عزلتهم شهرتهم النادرة بأنهم المبدعون المباشرون لما صار فيما بعد أعظم إنجازات اللسانيات (وقد كان ذلك في متناول أيديهم) .

إحـــالات

23 – للمعلومات الأساسية انظر :

– بلومفيلد Bloomfield ، **اللغة** Language ، الفصل الذي عنوانه «دراسة اللغة» .

– زفيجينسيف Zvegincev ، **تاريخ اللسانيات** Istorija Jazykoznanija, I ، p. 5 – 9 ، وهو على درجة كبيرة من التفصيل .

وانظر أيضاً الدراسات التالية ، وهي أكثر تخصصاً :

– جون برو John Brough «**نظريات علم اللغة العام عند النحاة السنسكريت**» . "Theories of General Linguistics in the Sanskrit Grammarians", Transactions of the Philological Society (1951), p.p. 27 - 46

– و . س . ألين : **الصوتيات في الهند القديمة** Phonetics in Ancient India (= London Oriental Series, I,) (London, Oxford Univ. Press, 1953), pp. 1 - 96.

وانظر أيضاً :

– و . بوتلنجك O. Boehtlingk **النحـــو عند پانيني** Pàṇinis Grammatik (Leipzig, 1887, Second ed.).

الحــواشي

(١) لا يعرف على وجه اليقين متى عاش بانيني ، ويبدو أنه لا بد قد عاش في بدايات القرن الرابع قبل الميلاد .

(٢) السنسكريتية (Sanskratá) تعني : «اللغة الكاملة» .

(٣) L. Bloomfield, Language, NewYork 1933, p. 11.

(٤)

من عصر الإمبراطورية الرومانية حتى نهاية عصر النهضة

24 – اقتفى الرومان آثار الإغريق بأمانة، والسكندريين بصفة خاصة في بحوثهم اللسانية. وفي القرن الأول قبل الميلاد كتب النحوي ڤارو Varro نحواً للغة اللاتينية جعل عنوانه: **اللسان اللاتيني "De Lingua Latina"** نال تقديراً كبيراً سواء في زمانه أو فيما تلا ذلك (وقد أولى في كتابه اهتماماً خاصاً للصرف). وعُدّ نحوه نموذجاً لأجيال كثيرة من المتخصصين في اللغة في العصور الوسطى ممن اجتهد في دراسة اللاتينية، التي هي لغة ثقافتهم.

25 – وهناك إشارات من القرن الأول الميلادي إلى أسماء كثيرين ممن عملوا بنجاح في قضايا النحو اللاتيني (مثل ريميوس باليمون Remmius Palaemon، اليوناني الأصل). وتأخر إلى حد ما ظهور أشهر النحاة: دوناتوس Donatus، في القرن الرابع (وهو مؤلف فن النحو Ars Grammatica) وبريشيان Priscian، في القرن السادس (مؤلف **المنظومات النحوية Institutiones Grammaticae**، الذي طور أفكار أبولونيوس ديسكولوس، ومارس تأثيراً كبيراً على التصورات النحوية لمعاصريه).

26 - وعند نهاية القرن الرابع تركزت جهود النحاة أساساً في دراسة علمي ضبط النطق Orthoepy والعروض Prosody في اللغة اللاتينية . والأصل أنه لم تكن هناك وجهات نظر أصيلة فيما يتعلق باللغة ، كما لم تشهد هذه الحقبة توسعاً في الهموم[١] اللسانية . ومن القرن السادس فصاعداً عولجت (بفضل بريشيان) مجالات جديدة من قضايا اللغة : فنشأت دراسات متخصصة متعددة للأصوات (وكان هذا القطاع من النحو يسمى الصوت "De voce" أو علم الإملاء "Orthographia") ، وفسّرت ظاهرة المقطع ("De Syllaba" أو "Prosodia") وصنّفت الكلمات بما هي أقسام للكلم ("De Partibus Orationis") ، وبذلت المحاولات الأولى للانخراط في دراسة بنية الجمل ("Oratio" ، "Syntaxis" . وفيما قبل القرن الثالث عشر[٢] لم تكن قائمة المعرفة والقضايا اللسانية أكثر ثراء في واقع الأمر ، وبحلوله استبانت أسس بناء الكلمة ، وابتدأ وصف استعمال الحالات الإعرابية ، ومبدأ المطابقة ، وقدمت المعارف الأساسية المتعلقة بما يشكل وحدة النظم الشعري . ومع نهاية العصور الوسطى كانت الأفكار الرئيسة المتعلقة ببعض الظواهر النحوية الأساسية قد تحددت في الغالب (فعلى سبيل المثال كان هناك تمييز واضح بين الأسماء والصفات ، كما كانت هناك إشارة إلى أهمية الفعل الأساسي لتحديد معنى الحالة الإعرابية للاسم التابع ، كما حددت المقولة النّحوية المسماة بالإضافة ، إلخ) .

27 - وقد تطلبت النظريات اللسانية في العصور الوسطى تفسيراً يعتمد على الثقافة العامة والفكر الفلسفي لذلك العصر : فقد رأى الفلاسفة المدرسيون Scholastics في ظاهرة اللغة - أولاً وقبل كل شيء - تجلياً مباشراً للجدل المنطقي .

وقد نذر العالم الشهير أبيلارد Abailard (١٠٧٩ - ١١٤٢) نفسه - على سبيل المثال - لتطبيق المنطق المدرسي على النحو . وفي القرن الحادي عشر حقق مذهب ميشيل پسيللوس Michael Psellos المدرسي شهرة واسعة ، حتى كان له تأثيره على الأجيال اللاحقة . وبلغ الروح المدرسي ذروته في نحو العصور الوسطى بأفكار رايموند لول Raymond Lulle (١٢٣٥ - ١٣١٥) ، فلقد رأى لول أنه قد يكون من المفيد إنشاء لغة فلسفية جامعة تقوم على اللغة اللاتينية ، على أن تصل في إحكامها إلى درجة يمكن معها لائتلاف العناصر اللسانية أن يعكس الإمكانية القصوى لتطبيق مبادئ المنطق . (وبهذا كان لول - إلى حد ما - رائداً للدارسين المعاصرين الذين يشتغلون ببناء لغة الدرس اللساني Meta Language ، انظر فيما يلي ف ٣٨٨) . وظلت الروح المنطقية في البحث اللساني خاصة مميزة عند كل النحاة الفرنسيين ، ولم يقتصر ذلك على حقبة العصور الوسطى فحسب ، بل امتد إلى ما وراء ذلك أيضاً (انظر مدرسة بورت رويال Port-Royal فيما يلي ، ف ٣٨) .

28 - وفي العصور الوسطى كانت هناك بعض الملاحظات المهمة على اللغة ، ولكنها ظلت تمثل قضايا جانبية ، غير ذات أهمية بالنسبة لتطور الدراسات اللسانية . فقد توصل الفيلسوف توما الأكويني Thomas Aquinas (١٢٢٥ - ١٢٧٤) - على سبيل المثال - إلى النتيجة التالية : إن علة وجود الأصوات هي أن تعين شيئاً ما (Principaliter Data ad Significandum) ، فإن لم يكن لها ارتباط بالمعنى كانت إبداعات بشرية مصنوعة ليست بذات هدف (Significantia Artificialiter) . والحق أن هذه الأفكار - التي تبدو

غريبة في حداثتها - (وصوتولوجية في معظمها ؛ انظر للصوتولوجي فيما يلي ف ٢٧٠) قد صادفت آذاناً صُمّاً ، ولم تحظ باستجابة .

29 - وفي العصور الوسطى ازدهرت الدراسات اللسانية أيضاً في المجتمعات التي لا تتحدث باللغات الهندية الأوروبية ؛ فازدهرت بين العرب واليهود ، الذين يمثلون مجموعة اللغات السامية .

30 - ضمت الأقاليم العربية القوية في العصور الوسطى عناصر متغايرة الأجناس . وبقدرة انتقائية مدهشة للغاية اصطفى العرب الإنجازات الثقافية للشعوب التي قهروها ، وبدأوا - على أساسها - بناء ثقافة خاصة بهم . فساروا في تقاليدهم النحوية على خطى الإغريق . ولكن لما كانت لغة العرب ذات نمط مغاير تماماً للغة الإغريق ، كان من اللازم أن تجرى بحوثهم النحوية بطريقة خاصة .

31 - وهنا كان الدافع المباشر وراء البحث اللساني دافعاً عملياً : هو الحاجة إلى دراسة القرآن [الكريم] ، «الكتاب المقدس لعقيدة مقدسة» . فقد منع العرف ترجمة النص القرآني أو التغيير فيه . ومن ثم وجبت دراسته بالعربية (التي كانت صعبة بصفة خاصة لأولئك المؤمنين الذين لم تكن العربية لسانهم الأصيل) . وكان نقاء لغة القرآن الكريم الشغل الشاغل للمختصين بدراسة اللغة ؛ فظهرت مدارس نحوية تدرب الشباب على دراسة قضايا اللغة (وكانت أشهرها مدرستا البصرة والكوفة فيما بين النهرين) .

32 - وكان النحاة العرب من أوائل الذين أشاروا إلى أهمية الكشف عن الارتباط القائم بين صيغ بعينها من صيغ الوحدات اللغوية وبين

الوظائف النحوية المعينة . وقد صرفوا اهتماماً خاصاً إلى دراسة الأصوات (ذلك أن كلمات القرآن [الكريم] يجب أن ينطق بها على الوجه الصحيح)، معتبرين كلاً من العناصر الفسيولوجية والسمعية .

وقد جرى تأسيس النظام النحوي العربي في الكتاب الذي وضعه سيبويه البصري وعرف باسم «كتاب سيبويه» . وقد حظي كل من المؤلف وكتابه بشهرة واسعة في عصرهما .

33 - وذاع صيت العرب في مجال تصنيف المعاجم[٣] as Lexicographer ووصلت إلينا إشارات عن كثير من المجتهدين الذين عملوا في هذا المجال ، ولا سيما عن الفيروزابادي (١٣٢٩ - ١٤١٤) الذي كتب ، فيما يروى ، حوالي مائة مجلد من المعاجم (وهو المعجم الذي سمي «القاموس» ، وهو ما يعني : محيطاً من الكلمات لا تحده حدود) .

ولقد كان نمط هذا العمل المعجمي محكوماً إلى حد كبير بالعادات الاجتماعية والثقافية السائدة في الأقاليم العربية . فهناك كان بإمكان كل فرد - أياً كان مركزه الاجتماعي - أن يحتفظ بسمات اللهجة الخاصة بلغته الأم دون أدنى خوف على مكانته . وكان الشيء المهم هو أن عليه أن يعرف لغة القرآن [الكريم] أيضاً ، وأن يستطيع قراءته قراءة صحيحة . ومن ثم اتسعت الثروة اللغوية العربية بالاكتساب المكثف وغير المنضبط لمجموعة متنوعة من الوحدات المعجمية كانت تستخدم جنباً إلى جنب ، وقد وردت من الأقاليم المختلفة التي يتحدث فيها الناس بالعربية . وتحمس واضعو المعاجم لتسجيل هذه المترادفات Synonyms ، دون رصد لاختلاف

مناطقها ، أو قيمتها الأسلوبية ، أو الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها . والحق أن الكلمات التي تنتمي إلى لهجات وأزمنة مختلفة ، وكذلك المبتكرات الشعرية المستحدثة ، إلى جانب التعبيرات القياسية ، عوملت كلها معاملة واحدة ، دون أي إحساس بهذه النسبية .

34 - وقد ضمت الأقاليم العربية كثيراً من السكان اليهود . والعبرية ، التي هي لغة اليهود ، ذات علاقة سلالية بالعربية . وقد سجل اليهود هذه القرابة في تاريخ يرجع إلى القرنين العاشر والحادي عشر . ونتيجة لمقارنة العبرية ، لا بالعربية وحدها بل بالآرامية أيضاً ، توصل علماء اليهود إلى أن هذه اللغات الثلاث تحتوي على كثير مما هو مشترك بينها . وهكذا كان لليهود فضل الريادة في الدراسات اللسانية المقارنة ، على الرغم من أن عملهم لم يكن له تأثير مباشر على تطور الفكر اللساني في مكان آخر .

أخذ اليهود مناهج التحليل اللساني عن العرب ، مطبقين إياها على لغة الكتاب المقدس .

35 - ولم يكتسب النحاة الأوروبيون معرفة وثيقة بتراث البحث اللساني الذي تطور في العالم السامي سوى في عصر النهضة . ومن هذا التراث دخلت فكرة «جذر» Root الكلمة إلى النحو الهندي الأوروبي .

36 - كان الاهتمام باللغة خلال عصر النهضة ذا طابع فيلولوجي في الغالب ؛ فقد درست اللغتان اللاتينية واليونانية دراسة مكثفة . ولم يبدأ الناس دراسة العبرية والعربية إلا في أواخر عصر النهضة - (ولا سيما دراسة العبرية - التي عُدّت أقدم اللغات ؛ بسبب ارتباطها بالقصة التوراتية عن نوح والطوفان) . وفي ذلك الوقت راجت الدراسات التأثيلية أيضاً .

وفي ذلك الحين كان عدد من الأفكار الأصيلة والمؤثرة قد أحرز تقدماً بالفعل ، لكنها بقيت بغير أثر مباشر بالنسبة للاتجاه العام في الفكر اللساني . وكان كلوديو تولوماي Claudio Tolomei الإيطالي ، من القرن السادس عشر - على سبيل المثال - أول نحوي وجّه اهتمامه إلى اتساق القوانين التي تحكم تغير الأصوات اللغوية . وقد استطاع أن يكتشف تغير التابع الصوتي اللاتيني Pl إلى الإيطالي في توسكانيا Pi ، بمقارنة بعض الأمثلة مثل الإيطالية Pieno واللاتينية Plenus ؛ وكذلك الإيطالية Pi ū واللاتينية Plus ، وهكذا . ومن سوء الحظ أن أحداً لم يخلفه مباشرة في هذه الدراسة .

إحـــالات

37 - انظر مقدمة لذلك في :

- بلومفيلد : **اللغة** Language ، القسم الذي عنوانه : «دراسة اللغة» .

- زفيجينسيف : **تاريخ اللغة** Istorija Jazykoznanija pp. 14 - 20 .

ولمزيد من التفصيل انظر :

- أرينز : **علم اللغة** Sprachwissenschaft pp. 28 - 54 .

وانظر أيضاً :

- ر . هـ . روبينز : **نظرية النحو في العصور القديمة والوسطى في أوروبا** Ancient and Medieval Grammatical Theory in Europe

(انظر فيما سبق ف ١٥) .

- جين كولارت Jean Collart : **ڤارو عالم النحو اللاتيني** Varron Grammairien Latin (باريس ، ١٩٥٤) .

- لويس كوكينهايم Louis Kukenheim : **إسهامات في تاريخ النحو اليوناني واللاتيني والعبري في عصر النهضة** Contributions à l'histoire de la Grammaire Grecque, Latine et hebràique à l'époque de la Renaissance (ليدن ، ١٩٥١) .

الحــواشي

(١) قدم راعي الكنيسة القديس أوجستين Augustine (المتوفى ٤٣٠ للميلاد) بعض الأفكار التي تتسم بالتحدي والجرأة عن العلاقة بين الشكل الصوتي والمعنى ، في كتابه : أسس الجدل **Principia Dialecticae** . وقد صادفت اهتماماً قليلاً نسبياً في ذلك الوقت .

(٢) في عــام ١١٩٩ ظهــر «النحـــو اللاتيني» لألكسندر دي فـيللا داي Alexander De Villa Dei ، وكان على درجة كبيرة من الإتقان ، كما كان غاية في طابعه العملي (وقد نظم في أبيات شعرية) .

(٣) كان الصينيون أيضاً - لزمن طويل - من المبرزين في وضع المعاجم . ولكن عملهم ظل غير معروف عند اللسانيين الأوروبيين ، حتى أنه لم يكن له تأثير مباشر على تطور اللسانيات في العالم .

(٥)

من عصر النهضة
إلى نهاية القرن الثامن عشر

38 – تغلغلت تقاليد الماضي في التراث النحوي للقرنين السابع عشر والثامن عشر ، فظلت فكرة منطقية اللغة – على سبيل المثال – لزمن طويل هي الدعامة النظرية الأساسية للنحو ، ولا سيما بين النحاة الفرنسيين (الذين حظوا بسمعة طيبة بين معاصريهم) . وقد مثلتهم في الغالب عن جدارة الأعمال التي أنجزت في مركز الدراسات النحوية في بورت رويال . وكان هذا المركز هو الذي نشر عام ١٦٦٠ الكتاب الشهير : النحو العام والعقلاني Grammaire Génerale et Raisonnée (للمؤلفين لانسيلوت Cl. Lancelot و أ . أرنولد A. Arnould) . وقد عبّر هذا الكتاب عن القاعدة الأساسية لعلماء بورت رويال تعبيراً صريحاً : فهم يرون أن النماذج النحوية ينبغي عليها أن تتطابق بقدر المستطاع مع متطلبات المنطق . ولما كان المنطق منطقاً واحداً ، وجامعاً ومشتركاً بين البشر ، كان من الممكن بناء نظرية نحوية جامعة ، تناسب جوهر كل اللغات في العالم . وكان لهذه الفكرة أصداء كثيرة[١] ، فمنذ ذلك الحين انطلق بحق التراث الراسخ للنحو المعياري في أوروبا كلها تقريباً .

39 – وقد ظهر في بعض المراكز الأوروبية – حتى قبيل نهاية عصر النهضة – اهتمام بدراسة النصوص المكتوبة بغير اللاتينية أو اليونانية ، بل بعض اللغات الهندية الأوروبية الأخرى (ومع قرب نهاية القرن الثامن عشر ازداد هذا الاهتمام زيادة كبيرة) . وقد عرف فرانشيسكوس جونيوس Franciscus Junius (١٥٨٩ – ١٦٧٧) بأبحاثه المتصلة باللغات الجرمانية (أولها الإنجليزية ، ثم اللغات الإسكندينافية والفريزية والهولندية والقوطية) . وتبعه جورج هيكس George Hickes (١٦٤٢ – ١٧١٥) الذي أصدر نحواً للغتين القوطية والأنجلوسكسونية[٢] ، ومعلومات مختلفة مما كان متاحاً في ذلك الوقت بالنسبة للغة الإنجليزية واللغات التي تجمعها بها صلة القرابة .

وعلى أي حال فإن الفحص الفيلولوجي للنصوص لم يتحقق له الإحكام المنهجي إلا بحلول القرن الثامن عشر (بدأ تطبيق المنهج نفسه أيضاً تطبيقاً ناجحاً في مجالات أخرى – مثل تاريخ الأدب ودراسة العادات القومية) .

40 – وفي القرن الثامن عشر بدأ النحو المعياري بداية حاسمة على أساس نظري استمد جذوره من فكرة الانحطاط اللغوي : فقد نظر إلى النحاة على أنهم هم المسؤولون عما وقع للاتينية من فساد على مر الزمن ، إذ كانت غفلتهم سبباً أتاح لغير المثقفين أن ينجحوا في إفساد اللغة (وإلا فإن اللغة لو تركت على حالها لما وقع فيها التغيير) .

41 – وقد أثرت الأفكار الفلسفية التي سادت القرن الثامن عشر في البحوث اللسانية إلى حد بعيد . وسهلت النزعة العقلانية الفرنسية في زمن

العلماء الموسوعيين (١٧٥١ - ١٧٧٧) قيام معالجة منطقية للحقائق اللسانية ، وأيدت الاتجاه نحو إسباغ الصبغة الجامعة على النحو . وقد ظهر تأثير علماء القرن السابع عشر الإنجليز : من فلاسفة وإمبريقيين واستقرائيين وعلماء نفس وبراجماتيين في اهتمام النحاة الإنجليز باللغة المنطوقة (الذي كان شيئاً جديداً كل الجدة في تاريخ الدراسات اللسانية) .

42 - وكان القرن الثامن عشر حقبة التأمل المكثف في أصل اللغة (حيث ظهر الفرض القائل بأن العبرية أقدم لغة إنسانية بعد الطوفان ، انظر فيما سبق ف ٣٦ ، ونظريات أخرى كثيرة تحكمية مماثلة فيما قبل القرن الثامن عشر بأمد طويل)[٣] . والغالب أن المعرفة بتنوع البنية اللغوية قد بدأت من هنا على وجه التحديد في الانتشار بصورة أوسع .

43 - وفي حقبة تعود بداياتها إلى القرن السادس عشر بدأت الدراسات الوصفية البدائية لبعض اللغات الأمريكية والفيلبينية في الوصول إلى أوروبا (عن طريق التقريرات التي أرسلتها الإرساليات الأسبانية) . وبنهاية القرن الثامن عشر تم التعرف إلى وجود ما يقرب من مائتي لغة[٤] ، ومع العقد الأول من القرن التاسع عشر وصل العدد إلى ما يقرب من خمسمائة[٥] .

44 - وأياً ما كان الأمر فإن أعظم الكشوف أهمية لم يرتبط بلغة غريبة عن اللغات الهندية الأوروبية . لقد كان هذا الكشف هو اكتشاف جمهرة الدارسين في أوروبا للغة السنسكريتية ، وهي اللغة التي لم تكن معروفة لهم حتى ذلك الحين .

كان أول عالم كبير في السنسكريتية إنجليزياً هو وليام جونز William Jones (١٧٤٦ - ١٧٩٤) الذي أكد أن اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية والقوطية ، وربما الكلتية أيضاً ، كانت تربطها روابط وثيقة ، وأنها نشأت عن لغة مشتركة لم يعد لها الآن وجود . ولم يؤد تأكيده هذا في التو إلى الدخول في حقبة الدراسات اللسانية المقارنة : ذلك أن هذا الأمر قد تأخر قليلاً (انظر فيما يلي ف ٥٣) . غير أن نظرية جونز قد هيأت التفكير اللساني لبداية الدراسات اللسانية المقارنة .

45 - وعند نهاية القرن الثامن عشر كانت البداية الفعلية للدراسة المقارنة التي عالجت اللغات الفينوأجرية (وكان الفضل الأول فيها لجهود عالم اللسانيات المجري س . جيارماثي[٦] (S. Gyarmathi) .

إحــالات

46 – مصادر المعلومات الأساسية :

– بلومفيلد Bloomfield : **اللغة** Language ، القسم الذي عنوانه «دراسة اللغة» .

– زفيجينسيف Zvegincev : **تاريخ اللغة** Istorija Jazykoznanija ، pp. 21 - 24 .

مزيد من التفصيلات في :

– أرينز Arens : **علم اللغة** Sprachwissenschaft, pp. 58 - 132 .

– وانظر أيضاً إرنست كاسيرار Ernst Cassirer : **فلسفة الأشكال الرمزية** The Philosophy of Symbolic Forms (انظر فيما سبق ف ١٥) ، القسمين : «**موقع المشكلة اللغوية في النظام الإمبريقي . .**» The Position of the Problem of Language in the System of Empricism (pp. 133 - 139) ، و«**فلسفة حركة التنوير الفرنسية . .**» The Philosophy of French Enlightenment (pp. 139 - 147).

– ب . كونر P. Kuehner : «**نظريات عن أصل اللغة وتكوينها في القرن الثامن عشر في فرنسا**» Theories on the Origin and Formation of Language in the Eighteenth Century in France (Philadelphia, Univ. of Pennsylvania Press, 1944).

- ج . ج . هارنوا G. G. Harnois : «نظريات اللغـة في فـرنسـا من ١٦٦٠ إلى ١٨٢١» Les Théories du Langage en France de 1660 à 1821 (باريس ، ١٩٢٩) .

- أوتو فـونك Otto Funke : دراسـات في تاريخ فلسـفـة اللغـة Studiens zur Geschichte der Sprachphilosophie (بـرن ، ١٩٢٨) ، (الجزء الأول : «حول فلسفة اللغة للقرن الثامن عشر : ج . هاريس هرمز» Zur Sprachphilosophie des 18 Jahrhunderts: J. Harris Hermes").

الحـــواشي

(١) استخدم نحو مدرسة بورت رويال نموذجاً في القرن الثامن عشر لوضع «نظريات نحوية فلسفية» (أي وضع أنظمة نحوية جامعة مؤلفة وفقاً لأسس منطقية عامة) . وقد تضمن إحدى هذه النظريات كتاب للإنجليزي جيمس هاريس James Harris وهو : «هرميز Hermes أو بحث فلسفي في اللغة والنحو العام» (نشر في ١٧٥١) ، ولاقى أعظم شهرة بين معاصريه (وقد صدر منه خمس طبعات في إنجلترا حتى عام ١٧٩٤ ، وترجم إلى الألمانية في ١٧٨٨ ، وإلى الفرنسية في ١٧٩٦) .

(٢) تحت عنوان : أنظمة نحوية للغتين الأنجلو ساكسونية والقوطية الوسطى Institutiones Gramaticae Anglo-Saxonicae et meso-goticae (أكسفورد ، ١٦٨٩) .

(٣) قادت الحماسة الوطنية عند الفلمنكي جورويبوس بكانوس Goropius Becanus (من القرن السادس عشر) إلى التعبير عن اعتقاده بأن كل لغات العالم تطورت عن اللغة الفلمنكية .

(٤) بتشجيع من الفيلوسف ليبنتز Leibniz ورعاية من الإمبراطورة الروسية كاترين الثانية Catherine II ، نشر ب . س . بالاس P. S. Pallas (في الفترة بين ١٧٨٧ و١٧٨٩) في سان بطرسبرج نوعاً من المعاجم يحتوي على ٢٨٥ كلمة من مائتي لغة مختلفة في أوروبا وآسيا ، تحت عنوان :

Linguarum Totius Orbis Vocabularia Comparativa Augustissimae Cura Collecta.

وقد حوت الطبعة الثانية من هذا المعجم ، الذي زاد فيه الصربي تيودور جانكوفتش ميريفسكي Teodor Janković Mirijevski (١٧٩٠ - ١٧٩١) ثمانين لغة أخرى (بعضها من أفريقيا وأمريكا) .

(٥) حول زمن نشر معجم أدلونج Adelung ، انظر فيما يلي ف . ٥٠ .

(٦) س . جيارماثي S. Gyarmathi ، Affinitas linguae hungaricae cum linguis fennicae origine grammatice demonstrata (جوتنجن ١٧٩٩) .

(٦)

البحث اللساني قبل القرن التاسع عشر

مقـــدمـــة

47 - عند بداية القرن التاسع عشر بالفعل تعلق البحث اللساني أساساً بالمعطيات اللسانية الملموسة ، وظل هذا الاهتمام الشديد بالحقائق الملموسة خاصية لافتة في لسانيات القرن التاسع عشر بوجه عام . وقد أحدث ذلك خروجاً على تقاليد القرن الثامن عشر التي اهتمت بالبحث في اللغة عن البنى المنطقية والجامعة .

48 - وفي حقبة تمتد إلى بداية العقود الأولى من القرن التاسع عشر بدأ ظهور النزعة التاريخية في البحوث اللسانية[١] . وفي السبعينيات والثمانينيات (عصر النحاة المحدثين neo-grammarians) . قام العمل اللساني كله في جوهره على اقتناع (صاغه بوضوح هرمان بول Hermann Paul ، أعظم المنظرين بين النحاة المحدثين) ويرى فيه أنه لا وجود لبحث لساني بدون النزعة التاريخية (انظر فيما يلي ف ٩٨) .

49 - وكان اكتشاف اللغة السنسكريتية[٢] حدثًا بالغ الأهمية لتقدم الدراسات اللسانية ، فقد اختلفت السنسكريتية إلى حد بعيد عن اللاتينية واليونانية (التي قامت على أساسها المفاهيم اللسانية حتى ذلك الوقت) .

وقادت المعرفة بها إلى نظرات جديدة في الظواهر اللسانية ، وأمدت الدارسين بقضايا جديدة ، كما أدت إلى إيجاد مجال معرفي جديد هو النحو المقارن .

وفي العقود الأولى من القرن التاسع عشر كانت الدراسات المقارنة المكثفة والناجحة هي السمة المميزة للبحث اللساني . وانصبت بحوث علماء الدراسات المقارنة أساساً في هذه الحقبة على الأسرة اللغوية الهندية الأوروبية . وكانوا أقل اهتماماً بروابط القربى في المجموعات اللغوية الأخرى (السامية والحامية والأوجارتية والألطائية) على الرغم من أن هذه المجموعات كانت جد معروفة في ذلك الوقت أيضاً . والحق أن القضايا اللسانية في اللغات غير الهندية الأوروبية لم تدرس دراسة جادة إلا بحلول نهاية القرن التاسع عشر (فعلى سبيل المثال بدأت الدراسات اللسانية السامية في ازدهارها في ذلك الوقت ، بعد فك رموز النصوص الآشورية) . وكان ضمن علماء الدراسات المقارنة الأوائل ، مثل شليشر Schleicher ومدرسته (انظر فيما يلي ف ٦٠) ، باحثون تجلت في مفاهيمهم اللسانية مباشرة النزعات السائدة في فكر الدارسين .

50 – وانتشرت في أوروبا في القرن التاسع عشر معلومات لسانية قدمت إليها من شتى أرجاء العام . ولقد كان هذا هو زمن التوسع الأوروبي في القارات الأخرى ، وصحب ذلك بالضرورة ظهور مجالات جديدة من المعرفة اللسانية . وفي العقدين الأولين من القرن أثار معجم أدلونج(٣) بالفعل الاهتمام بنماذج من اللغة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت ، وحفز أفراداً من العلماء إلى التأمل في قضايا اللسانيات العامة . وقد كانت المعرفة

بمباني اللغات من غير المجموعة الهندية الأوروبية ملهماً مباشراً لواحد من أعظم المنظرين الموهوبين في اللسانيات ، هو العالم الكبير ف . فون هامبولدت W. Von Humboldt (انظر فيما يلي ف ٦٨) .

51 - وعلى حين سادت القرن الثامن عشر فكرة منطقية اللغة ، تميز القرن التاسع عشر أساساً بدخول المعايير النفسية إلى النظرية اللسانية . وأصبح «للنزعة النفسية» في اللسانيات مناصرون بارزون في الخمسينيات والستينيات من ذلك القرن (انظر فيما يلي ف ٨٠) ؛ وقد أثرت مؤلفاتهم تأثيراً حاسماً على صياغة التصورات اللسانية الأساسية لأجيال كثيرة .

52 - وأياً ما كان الأمر فإن أهم حقبة لم تأت قبل نهاية القرن ، في السبعينيات ، عندما تسلم النحاة المحدثون زمام القيادة في الدراسات اللسانية (انظر فيما يلي ف ٩٣) . وحينئذ اكتسب المنهج التاريخي المقارن تماماً طابعه المنهجي الصارم ، وأسسه النظرية . وقد خلف النحاة المحدثون مؤلفات جادة . وصحيح أن إنجازاتهم قابلة للتوسيع والتصويب غير أن ثمة حقيقة باقية هي أن هذه الإنجازات تشتمل على ذخيرة أساسية من المعرفة التي جمعت باقتدار ، فيما يتعلق بتاريخ اللغات الهندية الأوروبية ، وهذا يضفي عليها قيمة لا تقبل الجدل .

الحــواشي

(١) يطلق هذا القول أساساً ، وفي معظم الأحوال ، على الدراسات الخاصة باللغات الرومانسية ، فقد هيأت المعرفة باللاتينية ، التي تطورت عنها اللغات الرومانسية ، فرصاً ممتازة لإعادة تسليط الضوء على النظرة التاريخية . أما فيما يتعلق بالاهتمام باللغات الوطنية فقد استيقظ أول الأمر في ألمانيا خلال الحقبة الرومانسية .

(٢) على الرغم من أن و . جونز W. Jones لفت الانتباه إلى أهمية دراسة السنكريتية في زمن مبكر يعود إلى عام ١٧٨٦ (انظر فيما سبق ف ٤٤) ، تأخر جمهور اللسانيين في أوروبا كثيراً في الاحتكاك المباشر بهذه اللغة ، وكان الفضل في اهتمامهم بها لجهود ف . بوب F. Bopp ، انظر فيما يلي ف ٥٣ .

(٣) سمي هذا المعجم (الذي نشره جوهان كريستوف أولونج Johann Christoph Adelung بالاشتراك مع لسانيين آخرين ، أهمهم فاتر Vater وأيضاً هامبولدت Humboldt) . . . اللسانيات العامة ممثلة في تجربة لغوية على ما يقرب من خمسمائة لغة ولهجة ، بالاشتراك مع فاتر .

«Mithridates oder allgemeine Sprachenkunde, mit dem Vater unser als Sprachprobe in beinahe fünfhundert Sprachen und Mundarten».

وطبع في برلين : المجلد الأول في ١٨٠٦ ، والثاني ١٨٠٩ ، والثالث ١٨١٢ - ١٨١٦ ، والرابع في ١٨١٧ . وقد شمل المعجم استقراء لكل اللغات المعروفة في العالم حينئذ ، بالإضافة إلى إشارات تتعلق ببنيتها وأصولها السلالية وإشارات إلى كثير من المؤلفات اللسانية المبكرة . وقد صنفت اللغات جغرافياً . وعلى الرغم من إثبات القرابة بين الفارسية والألمانية واللاتينية واليونانية لم يكن ثمة وجود لمفهوم راسخ حول وحدة اللغات الهندية - الأوروبية . ولكن هذا المعجم - على ما فيه من أخطاء - أسهم في زمنه في توسيع الآفاق العلمية .

(٧)

حقبة علماء الدراسات المقارنة الأوائل

53 - يعد الألماني فرانس بوب Franz Bopp (١٧٩١ - ١٨٦٧) هو المؤسس للنحو المقارن. كما أن عام ١٨١٦، وهو العام الذي أهدى فيه بوب إلى جمهور اللسانيين مادة لغوية من السنسكريتية مقارنة ببعض اللغات الهندية الأوروبية الأخرى[١]، يظل تاريخاً مذكوراً في علم اللسانيات: إذ لم يكن هذا العام بداية عهد المقارنات في الدراسات اللغوية فحسب، بل كان بداية للسانيات ذاتها بوصفها مجالاً معرفياً يتسم بالنظامية والاستقلال.

وقد كانت السنسكريتية وقرابتها للغات الهندية الأوروبية الأخرى معروفة قبل زمن بوب؛ إذ تحدث عنها و. جونز W. Jones في القرن الثامن عشر (انظر فيما سبق ف ٤٤). ولكن بوب كان أول من أكد أن قضية الروابط المتبادلة بين اللغات الهندية الأوروبية يمكن أن تصبح موضوعاً لدراسات خاصة، وقد كانت هذه هي فضيلته الكبرى.

54 - كان غياب هذه الفكرة هو الذي حرم الباحث الدانمركي راسموس كريستيان راسك Rasmus Kristian Rask (١٧٨٧ - ١٨٣٢) من شهرة بوب، على الرغم من أن راسك اشتغل بالتحليل المقارن للغات في الوقت ذاته مع بوب، بل قبله بقليل[٢].

ويسبب من إلحاح راسك في منسبات كثيرة إلحاحاً قوياً على تطبيق المعايير التاريخية في البحث اللساني ـ عُدَّ عند الكثيرين مؤسس اللسانيات الزمانية Diachronic (أي التاريخية) .

55 - اتسمت الحقبة التي ظهر فيها علماء المقارنات الأوائل بكثير من الأسماء البارزة . ويعرف جاكوب جريم Jakob Grimm (١٧٨٥ - ١٨٦٣) ، وهو مؤلف كتاب النحو الألماني[٣] German Grammar ، بوصفه المؤسس للسانيات الجرمانية . والحق أن معالجة جريم في هذا الكتاب لا تقتصر على القضايا المتصلة باللغة الألمانية فحسب ، ولكنه يقدم استقراء مقارناً للخصائص النحوية للمجموعة اللغوية الجرمانية كلها : (القوطية والألمانية والهولندية والإنجليزية والفريزيانية واللغات الاسكندينافية) . وفي الطبعة الثانية من المجلد الأول (١٨٢٢) ضم جريم أيضاً استقراء منهجياً للعلاقات بين الصوامت الجرمانية والصوامت المناظرة لها في اللغات الهندية الأوروبية الأخرى ، وأرسى فكرة وجود قواعد ثابتة تحكم هذه العلاقات (وهو ما يعرف في اللسانيات باسم قانون جريم Grimm's Law)[٤] .

56 - وقد قام جورج كيرتيوس George Curtius (١٨٢٠ - ١٨٨٥) ، مؤلف كتاب : «أسس التأثيل الاشتقاقي اليوناني» Grundzuege der Griechischen Etymologie (١٨٥٨ - ١٨٦٢) ، بإدخال المنهج المقارن في علم الفيلولوجيا التقليدي . ووضع جوهان كاسبار زويس Johann Kaspar Zeuss (١٨٠٦ - ١٨٥٦) أساس الدراسات الكلتية بنشر كتابه «النحو الكلتي» Grammatica Celtica (١٨٥٣) . وأقام فردريك ديز

Friedric Diez (١٧٩٤ - ١٨٧٦) دراسة اللغات الرومانسية Romance Studies على أساس متين . فكان كتابه «نحو اللغات الرومانسية» Grammatik der Romanischen Sprachen (الذي نشر بين عامي ١٨٣٦ و١٨٤٤) إسهاماً كبيراً في تطور المنظور التاريخي في الدراسات اللسانية . وتحققت البحوث المقارنة الأولى للغات السلافية على يد التشيكي ج . دوبروفسكي J. Dobrovsky (١٧٥٣ - ١٨٢٩) ، كما أخرج الروسي أ . إكس . فوستوكوف A. X. Vostokov أول كتاب منهجي عن النظام الصوتي للغات السلافية . وظهر كتابه عن الصوتيات السلافية (الذي كان بحق أول كتاب من نوعه يعالج إحدى اللغات الهندية الأوروبية) في عام ١٨٢٠ تحت عنوان «بحوث في اللغات السلافية» Rassuždenie o Slavjanskom Jazykez . وكان كتاب الباحث السلوفيني فرانس ميكلوزيش Franz Miklosich (١٨١٣ - ١٨٩١) «النحو المقارن للغات السلافية» Vergleichende Grammatik der Slavischen Sprachen ذا أهمية خاصة لتطور الدراسات اللسانية السلافونية . وقد نشر في الفترة ما بين عامي ١٨٥٢ و١٨٧٥ ، وعالج المجلدان الرابع والأخير منه بناء الجملة ، وما زال متداولاً لما تضمنه من تجميع قيم للمادة اللغوية .

57 - ويعد فردريك بوت Friedrich Pott (١٨٠٢ - ١٨٨٧) مؤسس الدراسات التأثيلية الاشتقاقية الجادة . وقد بيَّن أن البحث التأثيلية الاشتقاقية الجادة . وقد بيّن أن البحث التأثيلي ينبغي أن يهتم بتقصي أقدم المظاهر للحقائق اللغوية ، لا بالبحث عن الشكل الأصلي والمعنى الحقيقي للكلمات (وهو ما كان موضوعاً لدراسات تأثيلية في العصور القديمة) ،

وكانت كتبه التي نشرها ما بين عامي ١٨٣٣ و١٨٣٦ هي بداية النمو الموفق لهذا الفرع من البحث اللساني .

58 - لم يكن علماء المقارنات الأوائل رواداً لمناهج جادة في التحليل اللساني فحسب . لقد أضافوا معلومات تفصيلية عن لغات هندية أوروبية مختلفة ، وقوّموا - للمرة الأولى - الحقائق التي تم جمعها من وجهة نظر مقارنة . وكانوا الباحثين اللسانيين الأوائل الذين صرفوا اهتماماً خاصاً لصياغة نظرية لسانية عامة تتسم بالإحكام (انظر أوجست شلايشر August Schleicher وأتباعه ، ف ٦٠ فيما يلي) .

إحــالات

59 - تيـودور بنفي Theodor Benfey : تاريخ علم اللغة والفيـولوجيا في ألمــانيــا Geschichte der Sprachwissenschaft und Philologie in Deutschland (ميونيخ ، ١٨٦٩) . تاريخ علم اللغة الهندي - الجرماني منذ تأســيــســه على يد ف . بوب Geschichte der Indogermanischen Sprachwissenschaft seit ihrer Begruendung durch F. Bopp.

(لعدد من المؤلفين بإشراف و . شترايتبرج W. Streitberg ، ليبزيج ، ١٩١٦ ؛ طبعة من المجموعة الشهيرة التي قدمها ك . بروجمان K. Brugmann .

- و . أ . ثامب A. Thumb : موجز علم اللغات الهندية الجرمانية والعلوم الهندية - الجرمانية القديمة Grundriss der indogermanischen Sprach-und Altertumskunde.

- ب . دلبروك B. Delbrueck : مقدمة في دراسة اللغة Einleitung in das Sprach Studium (ليبزيج ، ١٩٠٨) .

- ف . تومسن V. Thomsen : تاريخ اللسانيات Sprogvidenskabens Historie (كوبنهاجن ، ١٩٠٢) .

- ترجمة هـ . بولاك H. Pollak الألمانية : «تاريخ علم اللغة حتى نهاية القرن التاسع عشر Geschichte der Sprachwissenschaft bis zum Ausgang des 19 Jahrhunderts (هالة ، ١٩٢٧) .

- هـ . بدرسن H. Pedersen : «اللسانيات في القرن التاسع عشر : المنهج والنتيجة» «Sprogvidenskaben i det Nittende Aarhundrede: Metoder og Resultater» (كوبنهاجن ، ١٩٢٤) .

- ترجمة جون وبستر سبارجو John Webster Spargo الإنجليزية : «اكتشاف اللغة : اللسانيات في القرن التاسع عشر» The Discovery of Language: Linguistic Science in the Nineteenth Century (كمبردج - ماساتوستش ؛ الطبعة الأخيرة ١٩٦٢) .

- جورجو جوردان Jorgu Jordan ، «مقدمة للسانيات الرومانسية» An Introduction to Romance Linguistics ، ترجمة جون أور John Orr (لندن ، ١٩٣٧) .

- أ . ميليه A. Meillet ، «مدخل إلى الدراسات المقارنة للغات الهندية - الأوروبية» Introduction à l'étude Comparative des langues indo-européennes (باريس ، ١٩١٢) .

- أ . ميليه ، «المنهج المقارن في علم اللغة التاريخي» La métode Comparative en Linguistique Historique (أوسلو ، ١٩٢٥) .

وهناك عرض واضح للحقائق الأساسية في الكتب التالية :

- زفيجنسيف : «تاريخ اللسانيات» Istorija Jazykoznanija I pp. 25 - 27

- بلومفيلد Bloomfield ، اللغة Language pp. 14 - 16 .

كما أن هناك استقراء شاملاً للنتائج الأولى التي تحققت في حقل الدراسات اللسانية المقارنة قام به شلايشر في كتابه «خلاصة النحو المقارن للغات الهندية - الجرمانية» Compendium der Vergleichenden Grammatik der Indogermanischen Sprachen (ڤايمر ، ١٨٦١) .

الحــواشي

(١) كان ذلك في دراسة بعنوان «عن المنهج التصريفي للغة السنسكريتية في مقارنة بكل من اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية»

Ueber das Conjugationssystem der Sanskritsprache in Vergleichung mit jenen der Griechischen, lateinischen, persischen und germanischen Sprache.

غير أن أهم عمل يذكر به بوب عادة هو كتاب ظهر في ثلاثة مجلدات (بين ١٨٣٣ و١٨٥٢) بعنوان «النحو المقارن للغات السنسكريتية والزندية والأرمينية واليونانية واللاتينية والليتوانية والسلافية القديمة والقوطية والألمانية» .

Vergleichende Grammatik des Sanskrit, Zend, Armenischen, Griechischen, Lateinischen, Litauischen, Altslavischen, Gotischen und Deutschen.

ويعد هذا الكتاب أول كتاب مدرسي في النحو المقارن .

(٢) كان لدى راسك معرفة بلغات كثيرة . ومن بين أعمال أخرى كان هو المؤلف لكتاب متميز عن المجموعة اللغوية الفينوأجريتية . وكانت دراسته عن اللغة الأيسلندية القديمة بعنوان «Undersogelse om det gamle Nordiske eller Islandske Sprogs Oprindelse» (المنشورة في ١٨١٨) عملاً له تميزه الخاص . فعلى سبيل المثال بيّن راسك فيها أن هناك صلة مطردة بين الأصوات في كلمات اللغات الجرمانية وأصوات الكلمات المناظرة لها في اللغات الهندية الأوروبية الأخرى (فمثلاً الصوت الجرماني f يناظر اللاتيني p – father/pater) . وكان عنوان القسم الثاني من هذه الدراسة (التي حظيت بشعبية واسعة في الترجمة الألمانية لعالم اللسانيات فاتر) هو «حول طبقات اللغة الطوكارية» Ueber die Thrakische Sprachklasse (هالة ، ١٨٢٢) . وقد أشار المؤلف فيها إلى الروابط بين اللغات الجرمانية واليونانية والبلطيقية والسلافونية (ولم يدرس من بينها

الســحرينية) . وعلى الرغم من إصرار راسك على وجود صلات بين هذه اللغات فقد أعوزه وجود مفهوم واضح وضوحاً كافياً عن أسرة اللغات الهندية - الأوروبية .

(٣) وهو بعنوان النحو الألماني Deutsche Grammatik (المجلد الأول ١٨١٩ ، طبعة منقحة ١٨٢٢) ، والمجلد الثاني ١٨٢٦ ، والمجلد الثالث ١٨٣١ ، والرابع ١٨٣٧) ، وهذا العمل يشمل كل مجالات النحو ما عدا بناء الجملة .

(٤) الصوامت اللاتينية p, t, k تناظر القوطية f, p, η . والصوامت اليونانية θ, cl, λ تناظر القوطية b, d, g . والصوامت اللاتينية b, d, g تناظر القوطية p, t, k (فمثلاً اللاتينية caput تماثل القوطية haubip) . وقانون جريم ليس صحيحاً دائماً ، ولا سيما في حالة الصوامت المتوسطة في الكلمة . وقد أكمل فرنر Verner قانون جريم بعد ذلك (انظر فيما يلي ف ٩٧) .

(٨)

المذهب الطبيعي البيولوجي عند أوجست شلايشر

60 - في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً وقع حدث مهم في مجال العلوم البيولوجية : فقد قدم دارون Darwin تفسيره الجريء الخاص بنظرية تطور الأنواع . وأحدثت آراؤه تأثيراً هائلاً في معاصريه . فاقتنع كثير من الناس بأن أسس التطور التي وضعها دارون للكائنات الحية ينبغي أن يلقى عليها الضوء في صور أخرى من النشاط البشري ، ذلك لما تتمتع به من شمول . وقد طبقت هذه الفكرة في اللسانيات على يد الألماني أوجست شلايشر August Schleicher الأستاذ بجامعة ﭽينا .

61 - كان شلايشر ، وهو من أبرز علماء المقارنات ، مهتماً بالقضايا المرتبطة بإعادة بناء اللغة الهندية ـ الأوروبية الأم[(١)] . وقد نشأ منهجه من فكرته القائلة بأن اللغة كانت كائناً حياً ، مستقلاً بذاته عن الإنسان ، وأن اتجاه تطورها محدد بقوانين بيولوجية عامة للتطور : فاللغة تولد وتعيش لفترة محددة ، ثم تهب الحياة إلى لغة أخرى أحدث منها ، لتحل محلها بعد زمن ، ثم تواصل بدورها الحياة في صورة أحد الفروع المتولدة منها ، وهكذا تكون اللغة ذات «شجرة سلالية» Genealogical Tree مثل الإنسان ، أي أن هناك أصلاً قديماً مشتركاً تولد منه نسل كثير يرتبط ببعضه البعض كفروع الشجرة ، ومن ثم سميت نظرية شلايشر : النظرية الطبيعية

البيولوجية في اللسانيات ، وعرفت باسم «شجرة السلالة» Stammbaum أو نظرية السلالة "Pedigree"

62 - واللغة عند شلايشر كانت فكراً معبّراً عنه بالأصوات : فليست هناك لغة بدون فكر ، ولا فكر بدون لغة . وكل كلمة يكمن معناها في جذرها ، وهذا المعنى يمكن دائماً معرفته .

63 - واللغة كائن طبيعي ينمو ، وتطورها في الأساس له الصورة نفسها التي نجدها في أي مكان آخر من الطبيعة . وهناك ثلاثة أنماط لغوية رئيسة : اللغات الجذرية Radical Languages (مثل اللغة الصينية ، حيث يكون الغالب المطرد أن يعبّر عن كل من العلاقات النحوية والوظائف التركيبية في الجملة عن طريق نسق الكلام Word Order) ، واللغات اللصقية Agglutinative (مثل اللغة المجرية ، حيث يعبّر عن العلاقات النحوية بعناصر لغوية مختلفة تتحد في كلمة واحدة ، وتحمل دائماً معنى متميزاً ثابتاً وكياناً مستقلاً) ، واللغات الاندماجية Amalgamating Flexional (مثل اللاتينية ، حيث يعبّر عن تغيرات المعنى النحوي عن طريق عناصر لغوية تضاف إلى الجذر وتلتحم معه ، ولكنها ليست ذات كيان مستقل) . وتبعاً لشلايشر تعتمد هذه الأنماط الثلاثة اعتماداً مباشراً على درجة التطور التي تحقق للغة ، وتتماثل باطراد على النسق ذاته مع الصور الرئيسية للكون وهي : البلورات والنباتات والحيوانات[٢] .

64 - وقد لاقت نظرية شلايشر اهتماماً كبيراً من معاصريه ، وإن كانت قد أثارت تعليقات ناقدة . وكان تلميذه يوهان شميدت Johannes Schmidt (١٨٤٣ - ١٩٠١)[٣] من أوائل الذين تشككوا في نظرية شلايشر عن «شجرة العائلة في اللغات» ، وحطموا النظرية كلها .

أكد شميدت أن الابتكارات اللغوية تنبثق في بيئة لغوية واحدة ، ولا تنتشر في البيئات الأخرى ، على نحو ما يتخيل شلايشر ، في صورة فروع ؛ بل إن عكس ذلك هو الصحيح ، فتقدمها يشابه الضغط الذي تحدثه الموجة ، فيصل تأثيرها إلى مجتمعات لغوية تكبر أحياناً وتصغر أحياناً أخرى ، وهو أمر خاضع للمصادفة[٤] . ومن ثم فإننا إذا افترضنا وجود ثلاثة مجتمعات لغوية متجاورة ، فإن هذه المجتمعات لن تعرف أبداً قائمة من الخصائص اللسانية متماثلة تمام التماثل ، أو مختلفة كل الاختلاف : ففي إحدى الحالات ستجتاز سمة حديثة النشأة حدود المجتمع « أ » لتطوق حدود المجتمع «ب» ، وفي حالة أخرى ستطوق المجتمع «حـ» ، وفي حالة ثالثة ستطوق المجتمعين «ب» ، «حـ» ، وعلى حين لن يجاوز الابتكار حدود المجتمع « أ » في حالة رابعة . (في عرض تفصيلي لأفكاره استعمل شميدت رسماً توضيحياً لدوائر متحدة المركز ؛ وبسبب «موجاته» عرفت النظرية ذاتها في دوائر الدارسين بنظرية الموجات Theory of Waves) . ولتوضيح أفكاره بيّن شميدت عدداً من خطوط التوزيع اللغوي Isoglosses (أي حدود الامتداد للخصائص اللغوية) ، وعلى أساس من هذه الخطوط جرى تجميع كل من مجموعة اللغات الجرمانية والبلطية السلافونية من جانب واليونانية والسنسكريتية من جانب آخر في عائلة لغوية واحدة . وفي كلتا الحالين قطعت خطوط التوزيع التي وضعها شميدت الخط الفاصل الذي يقسم اللغات الهندية - الأوروبية إلى مجموعتين رئيستين ، هما المجموعة الكافية "Centum"(*) ، والمجموعة السينية "Satem"(*) . وقد أضاف البحث الحديث في علم اللهجات دعماً جديداً للفرض الذي وضعه شميدت .

65 - وقد دافع عن أفكار شلايشر ، بطريقة مطورة ، ماكس مولر Max Mueller (١٨٢٣ - ١٩٠٠) الأستاذ بجامعة أكسفورد . واتفق مولر مع شلايشر في القول بأن اللسانيات ينبغي أن يكون لها مكان بين العلوم الطبيعية ؛ حيث إن ماضي اللغات لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه حدث تاريخي ، بل على أنه عملية تلقائية من عمليات النمو يشترك فيها جميع الظواهر الطبيعية . واتفق معه أيضاً في تحديده للعلاقة بين اللغة والفكر : فيرى مولر أيضاً أن اللغة هي الأداة المباشرة للفكر البشري . غير أن مولر خالف فكرة شلايشر في نقطة واحدة ذات أهمية حيوية : ذلك أنه لم يسبغ على اللغة صفة الكائن الحي المستقل ، بل أكد أنها متصلة اتصالاً لا ينفصم بعملية الكلام عند البشر (فما قيل لا يمكن أبداً تكراره : وظواهر الكلام تموت في لحظة النطق ذاتها) .

وقد أدى مولر خدمات جليلة لنشر الأفكار الخاصة بالمذهب الطبيعي البيولوجي بين معاصريه . وألقى محاضراته الخاصة بهذا المجال (محاضرات في علم اللغة Lectures on the Science of Language) في أكسفورد ما بين عامي ١٨٦١ و١٨٦٣ ، وحظيت باهتمام كبير (ظهرت في طبعات إنجليزية متعددة . كما ترجمت أيضاً إلى لغات أخرى) .

66 - وقد رأى مؤيدو هذه المدرسة أن الصلة المباشرة بين اللغة والفكر تجلت بأوضح صورةٍ في ظاهرة الكلام . ومن ثم صرفوا اهتمامهم إلى قضايا اللغة المنطوقة . وقد كان هذا الأمر إنجازاً إيجابياً .

ولقيت فكرتهم القائلة بأن التطور اللغوي مشروط بقوانين طبيعية ، ومن ثم فهو غير خاضع لسيطرة الإرادة البشرية ، قبولاً عند أبرز اللسانيين في القرن التاسع عشر ، ونعني بهم النحاة المحدثين .

إحـــالات

67 - انظر مؤلفات شلايشر : «البحوث اللغوية المقارنة : في تاريخ علـم اللـغـــة الـمـــقـــارن» "Sprachvergleichende Untersuchungen Zur Vergleichenden Sprachgeschichte" (بون ، ١٨٤٨) .

- «بحوث لسانية : لغات أوروبا في نظرة منهجية»

Linguistische Untersuchungen: Die Sprachen Europas in Systematischer Uebersicht

(بون ، ١٨٥٠) .

- «اللغة الألمانية» Die Deutsche Sprache (بون ، ١٨٥٩) .

- «خلاصة النحو المقارن للغات الهندية الجرمانية»

"Compendium der Vergleichenden Grammatik der Indogermanischen Sprachen"

(فايمر ، ١٨٦١ - ١٨٦٢) .

- «نظرية دارون وعلم اللغة»

"Die Darwinische Theorie und die Sprachwissenschaft"

(فايمر ، ١٨٦٣) .

- «حول أهمية اللغة لتاريخ الطبيعة الإنسانية»

"Ueber die Bedeutung der Sprache fuer die Naturgeschichte des Menschen

(فايمر ، ١٨٦٥) . وانظر أيضاً :

- ب . دلبروك B. Delbrück : «مقدمة في دراسة اللغة
(انظر فيما سبق ف ٥٩) Einleitung in das Sprachstudium .

- ف . تومسن V. Thomsen : «تاريخ اللسانيات» Geschichte der Sprachwissenschaft (انظر فيما سبق ف ٥٩) .

- أ . ف . ديسنيكايا A. V. Desnickaja : «قضايا دراسة القرابة في اللغات الهندية الأوروبية»
"Voprosy Izučenija Rodstva Indoevropejskix Jazykov", (Moscow - Leningrad, AN SSSR, 1955).

- ف . بيزاني V. Pisany : «أوجست شلايشر وبعض اتجاهات اللسانيات المعاصرة»
"August Schleicher und einige Richtungen der Heutigen Sprachwissenschaft", Lingua, vol. IV, 4 (1954 - 55) pp. 337 - 368.

- أ . س . شيكوبافا A. S. Čikobava : «قضية اللغة بوصفها مجالاً للدرس اللساني» "Problema Jazyka kak predmeta Jazykoznanija" (موسكو ، ١٩٥٩) .

- زفيجينسيف Zvegincev : «تاريخ اللسانيات» "Istorija Jazykoznanija" pp. 89 - 104.

الحــواشي

(١) انظر أ . شـلايشـر ، «خـرافة في اللغـة الهندية - الجـرمانيـة الأم» "Eine Fabel in Indogermaischer Ursprache" و «مـقـالات في البـحث المـقـارن للغـة» Beitraege zur vergl. Sprachforschung, Bd. 5 (1868) p. 206.

(٢) كان هناك فكرة بسيطة مشابهة على الرغم من اختلاف تكوينها عن «المراحل» في التطور اللساني ، أيدها في القرن العشرين اللساني الروسي مار Marr ، انظر فيما يلي ف ٢٠٠) .

(٣) انظر ي . شـمـيـدت . صـلات القـرابة في اللغـات الهندية ـ الجـرمـانيـة "Die Verwandtschaftsverhaeltnisse der indogermaniscben Sprachen" (فايمر ، ١٨٧٢)

(٤) اعتنق هـ . شوخـاردت H. Schuchardt (انظر فيما يلي ف ١٠٨) أفكاراً مشابهة عن انتشار الابتكارات اللغوية ، انظر دراساته : «الصائت في اللاتينيـة الدارجة» "Der Vokalismus des Vulgaerlateins" (ليـبـزيج ، ١٨٦٦ - ٦٧) وأيضـاً «في تصنيف اللهـجات الرومـانسـيـة» "Ueber die Klassification der Romanischen Mundarten" (جـراتز ، ١٩٠٠) ، (وقد أعـيد طبعه في شـوخـاردت - بريفـبير Schuchardt - Bervier . انظر فيما يلي ف ١١٣) . غير أن شميدت هو الذي أنجز بنجاح كامل «نظرية الموجات» ، وأرسى قواعدها .

(*) [Centum وصف يشـير إلى اللغات الهندية الأوروبيـة التي لـم تلحق التحنيكيـة Palatalization فيها بالصامت الوقفي الطبقي K ، وهي الفروع الهيلينية والإيطالية والكلتية والجرمانية والأناتولية والطوكارية . وقد اختيرت من الكلمة اللاتينية بمعنى مئة ؛ لأن C يمثل الصوت الأوروبي K .

أما Satem فهو وصف يشير إلى اللغات الهندية - الأوروبية التي تحول فيها الصامت الوقفي الطبقي K إلى صوت حنكي S أو Sh (ش) .

وتنتمي هذه اللغات إلى الفروع : الهندية والإيرانية والأرمينية والسلافونية والبلطيقية والألبانية .

وقد أخذ المصطلح عن الكلمة Satem ، ومعناها مئة (من لغة كتاب زرادشت Avestan) ، واختيرت لإبراز التنوع بين S الواقعة في بداية هذه الكلمة و K الواقعة في بداية الكلمة Centum في اللغات الهندية الأوروبية] .

(٩)

مذهب هامبولدت في اللسانيات

(نظرية رؤية العالم)

68 - كان الألماني ڤيلهلم فون هامبولدت Wilhelm Von Humboldt (١٧٦٧ - ١٨٣٥) أعظم باحث لساني في القرن التاسع عشر ، ويعد المنشئ للسانيات العامة (وهي الفرع المعرفي الذي يختبر الظاهرة اللسانية في ضوء بيانات يجري تجميعها من عدد عظيم التنوع من اللغات المتعينة) .

69 - كان ف . فون هامبولدت أول باحث يدرس لغة أندونيسية : هي اللغة الكاوية من جزيرة جاوة[1] . وهذا الاحتكاك بخصائص لسانية تختلف جذرياً عن خصائص التراكيب اللغوية الهندية الأوروبية مكّن هامبولدت من التعامل مع اللغة ودورها في حياة الإنسان من وجهة نظر جديدة تماماً .

70 - تجلت أصالة الموهبة عند هامبولدت بوصفه باحثاً في اتجاهين ، هما مناهج بحثه وآراؤه النظرية ؛ فلقد اتسمت بدايات البحث اللساني أساساً في القرن التاسع عشر بالاستنارة بالحقائق اللسانية من وجهة نظر تاريخية ، وبالبحث عن اللغة الأم للأسرة الهندية الأوروبية الكبيرة (انظر فيما سبق ف ٤٩) . ولكن هامبولدت لم يصر على الدراسة الزمانية «الدياكرونية» (أي تاريخ اللغة) ، بل كان اهتمامه - على النقيض من ذلك - مركزاً بصفة أساسية على إبراز المادة اللسانية التي تنتمي إلى فترة زمنية بعينها ، وهذا يعني ملاحظة

اللغات في مظهرها الآني «السينكروني» Synchronic (انظر فيما يلي ف ٢٦٠) . وقد أجرى مقارنة بين اللغات بطريقة تحليلية ، دون الدخول في قضية القرابة السلالية . ولم يشغل نفسه بإعادة بناء اللغة الأم . بل إنه لم يكن يرى أن اللغات الهندية الأوروبية تستحق اهتماماً أكثر من غيرها من الأسر اللغوية .

71 – عارض هامبولدت تأسيس نحو جامع وفقاً لقالب تقليدي مدرسيّ ، وأكد أن القواعد النحوية ينبغي أن تطلب – ابتداءً – بالاستنباط من الحقائق الخاصة بكل لغة على حدة . وعرّف اللغة بأنها ظاهرة متحولة Dynamic (وفقاً للمصطلح اليوناني : اللغة ديناميكية Energeia وليست ثابتة Ergon) ، وأصر على أن المظهر الثابت للغة ظاهري فحسب . وأولى اهتماماً خاصاً لارتباط اللغة بالفكر : فالنشاط الذهني يجاهد بالضرورة لكي يتوحد بظاهرة الصوت (أي الكلام) وبدون اتحاد الفكرة والأصوات لا يمكن لعالم الصور أن ينفذ إلى عالم الأفكار ، وهذا يعني انعدام التفكير السليم . وقد ارتبطت نظريته عن التركيب الداخلي للغات Inner Form بتلك الفكرة . ونوقشت هذه النظرية بعد ذلك على يد نفر من أعلام التنظير اللساني (ولا سيما أنصار «اللسانيات النفسانية» مثل مارتي Marty ، انظر فيما يلي ف ٨٩) هكذا : حيث ينبغي أن يفهم من المصطلح «البنية الداخلية للغة» Inner Language Form أنه البنية النفسية الخاصة بأفراد المتكلمين ، وهو الذي يعتمد عليه التنظيم الفعلي لجانبي الصوت والمعنى في لغتهم[٢] .

72 – وتحتل قضية العلاقات بين بنية اللغة والعقلية القومية مكاناً أساسياً في نظرية هامبولدت اللسانية . فاللغة عنده هي «نتاج متميز لروح أمة بعينها» ،

والتعبير الخارجي عن «البنية الداخلية» يميط اللثام عن رؤية خاصة للعالم (رؤية العالم "Weltanschauung" ؛ ومن هنا تسمى نظرية هامبولدت عادة نظرية «رؤية العالم») .

73 - وترتبط مرحلة التطور بالنسبة لأي لغة ارتباطاً مباشراً بالعقلية والثقافة والنظرة المستقبلية العامة للشعب الذي يتحدث بها . ومن ثم يجب أن يكون تاريخ اللغة مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الثقافة القومية . وقد نشأ هذا التبسيط من إخفاق هامبولدت في إجراء التمييز الكفء بين حقائق الواقع المؤثرة في تشكيل مفردات اللغة والأسلوب وبين الشروط الخاصة المنظمة لتطور الظواهر الصوتيمية والصرفية .

74 - دعم هامبولدت نظريته القائلة بأن اللغة نتاج متميز للروح البشرية عن طريق استدعائه لحقيقة أخرى هي أن الناس يجدون صعوبة في أن يفهم بعضهم عن بعض تمام الفهم . وقد ألح على أن سبب ذلك في الحقيقة هو عدم التطابق في رؤيتهم للعالم (يستخدم الآن مصطلح «النسبية اللسانية لمدرسة هامبولدت» علماً على جانب من مذهب هامبولدت ، وهو الجانب الذي يشير إلى عدم جدارة اللغة بأن تكون وسيلة تضمن الفهم الكامل المشترك) .

75 - وفي إطار فكرته العامة عن اللغة شرح هامبولدت أفكاره عن تطور اللغة : فكل تغير في اللغة يحدث في اتساق مع الحركة المتقدمة للروح البشرية ، والواقع أن التغيرات تؤدي دائماً إلى الهدف الأساسي الوحيد للغة ، (ويستخدم هامبولدت مصطلح «النهاية الحتمية») ، بوصفها أداة تعبّر بها الروح البشرية عن نفسها .

76 - ولقد كانت محاضرة هامبولدت ، التي ألقيت في التاسع والعشرين من يونيو عام ١٨٢٠ في أكاديمية برلين للعلوم ، حدثاً كبيراً في حينها . حيث عالجت الدراسة المقارنة للغات في صلتها بالمراحل المختلفة لتطورها . وشرح هامبولدت ، على المستوى العام ولأول مرة ، آراءه الأساسية في اللغة . ومنذ ذلك الحين فصاعداً مارس هامبولدت تأثيراً قوياً على الآراء اللسانية لأجيال كثيرة . وأكمل عرض لنظريته تضمنته دراسته «حول اختلاف بناء اللغة الإنسانية وتأثيره على التطور العقلي للجنس البشري» "Ueber die verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues und ihren Einfluss auf die geistige Entwicklung des Menschengeschlechts" (١٨٣٠ - ١٨٣٦) ؛ وكان المقصود بها أن تكون مقدمة لمؤلف كبير عن اللغة الكاوية ، نشرته أكاديمية برلين بعد ذلك في مجموعة كتابات ف . فون هامبولدت ، المجلد السابع) .

77 - أطلق على لسانيي القرن العشرين الذين أيدوا المنطلقات الأساسية في نظرية هامبولدت ، وعلى رأسها نظريته في «رؤية العالم» اسم «**الهامبولدتيون المحدثون**» . وهم في الأعم الغالب معجميون (من مثل ل . ڤايسجربر L. Weisgerber ، ج . ترير J. Trier ، ج . إبسن G. Ibsen ، ف . دورنسيف F. Dornseif ، أ . جولز A. Jolles ، ف . بورتسيج W. Porzig ، ف . فون فارتبورج W. Von Wartburg إلخ . . .)[٣] .

وفي منتصف القرن العشرين تطورت في اللسانيات الأمريكية أفكار حول اللغة ترتبط كذلك بقضية رؤية العالم ، وكان تطورها مستقلاً عن المذهب الهامبولدتي عند الأوروبيين ، انظر فيما يلي ف ٣٤٨ .

إحـــالات

78 - انظر أ . فـر . بوت A. Fr. Pott : **«فـيلهلم فـون هامـبـولدت واللـســانيـات»** Wilhelm von Humboldt und die Sprachwissenschaft (برلين ، ١٨٧٦) .

- أوتو فـونك Otto Funke : **دراسـات في تاريخ الفلسفـة اللغـوية** Studiens zur Geschichte der Sprachphilosophie (Berne, 1928) (الجزء الثاني تحت عنوان **« في الفلسفة اللغوية الحالية»** "Zur Sprachphilosophie der Gegenwart", pp. 51 - 55).

- ج . إبسن G. Ipsen : **«فلسفة اللغة اليوم»** "Sprachphilosophie der Gegenwart (Berlin, 1930).

وهناك مقتطفات من دراسة هامبولدت «عن الاختلاف Ueber die Verschiedenheit... (انظر فيما سبق ف ٧٦) ظهرت (بالروسية) في كتاب ف . أ . زفيينسيف V. A. Zvegincev : **تاريخ اللسانيات** Istorija Jazykoznanija, I, pp. 68 - 86.

ومن بين مـؤلفـات ل . فـايسـجـربر ، وهـو أكـبـر من روّج لأفكار هامبولدت ، نوصي بالكتاب التالي : **«عن الصورة العالمية للغة الألمانية»** Vom Weltbild der Deutschen Sprache [٣](Duesseldorf, 1953).

وهناك مزيد من المعلومات حول آراء ڤايسجربر اللسانية في دراسة م . م . جوخمان M. M. Guxman : **«النظرية اللسانية عند فايسجربر»**

«قضايا : في المجموعة "Lingvističeskaja teorija L. Vejsgerbera"
نظرية اللغة في اللسانيات الأجنبية المعاصرة»

Voprosy teorii jazyka v sovremennoj zarubežnoj lingvistike (Moscow, AN SSSR, 1961, pp. 123 - 162).

ولمزيد من التعرف على مناهج الهامبولدتيين الجدد، ومنطلقاتهم النظرية الأساسية انظر:

- ف. فون فارتبورج W. von Wartburg : **مقدمة في الإشكالية والمنهجية في اللسانيات** Einfuehrung in die Problematik und Methodik der Sprachwissenschaft (Halle, 1943)
(الترجمة الفرنسية، ١٩٤٦).

- ف. بورتسيج W. Porzig : **معجزة اللغة**
Das Wunder der Sprache (Berne, 1950).

انظر أيضاً : هـ. باسيليوس H. Basilius : **«اللسانيات الإثنية الهامبولدتية الجديدة»** "Neo - Humboldtian Ethno-linguistics", Word, 8 (1952), pp. 95 - 105.

الحــواشي

(١) انظر ف . فون هامبولدت «في اللغة الكاوية من جزيرة جاوة» .

"Ueber die Kawi - Sprache auf der Insel Java (Berlin, 1836 - 1839).

(طبعة منشورة بعد وفاة المؤلف) . واللغة الكاوية هي اللغة الجاوية القديمة (وهي لغة بلغت تميزها في القرن الثالث عشر) ، وقد كتبت بها أقدم النصوص الجاوية (التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر) . والتركيب الصوتيمي والصرفي في هذه اللغة له طابع أندونيسي خاص من حيث النطق ، ولكن من الواضح أن معجمها مدين بالكثير لتأثير السنسكريتية (وهو أثر يمكن الربط بينه وبين الدور التاريخي للثقافة الهندية في الحياة الجاوية) .

(٢) صاغ هامبولدت فكرته عن «البنية الداخلية» في عدد من المناسبات ، ولم يسلك في ذلك طريقاً واحداً في كل حالة ، مما أدى - فيما بعد - إلى ظهور ألوان من اللبس . انظر في هذا : أ . فونك O. Funke «البنية الداخلية للكلام : مدخل في فلسفة اللغة عند أ . مارتي»

"Innere Sprachform, Eine Einfuehrung in A. Martys Sprachphilosophie" (Reichenberg, 1924) pp. 111 - 113.

(٣) أبرز ممثلي المذهب الهامبولدتي الحديث هو ليو ڤايسجربر Leo Weisgerber (يوجد مسرد بمؤلفاته في المجموعة المنشورة بمناسبة مرور ستين عاماً على مولده ، تحت عنوان «اللغة - مفتاح إلى العالم» Sprache - Schluessel zur Welt. الكتاب التذكاري عن ل . ڤايسجربر ، دسلدورف ١٩٥٩) .

(١٠)

المذهب النفسيّ في اللسانيات

79 – ضرب مذهب هامبولدت (انظر فيما سبق ف ٧٢) بجذوره في اللسانيات الألمانية . وهكذا كان هـ . شتاينتهال H. Steinthal (١٨٢٣ - ١٨٩٩) ، منشئ المذهب النفسي اللساني ، مديناً لنظريات هامبولدت حيث أخذ عنها دربته اللسانية .

80 – أما فيما يتعلق بمعرفة شتاينتهال بالظواهر النفسية فقد كانت مرتكزة أساساً على آراء عالم النفس والتربية هربرت(1) Herbart :.فقد تبنى أفكار هربرت الخاصة بالنظام «الاستدعائي» Associative للروح البشرية (بمعنى أن الأفكار التي يثيرها انطباع خارجي تتطور تلقائياً واحدة تلو أخرى في العقل البشري : فتنبثق فكرة عن أخرى وفقاً لتداع غير مقصود . وفي «النحو النفسي» : «النحو والمنطق وعلم النفس ، أسسها ووجوه الترابط بينها» . Grammtik, Logik, und Psychologie, ihre Principien und ihr Verhaeltniss zu einander (برلين ، ١٨٥٥) جهد شتاينتهال ليصف الحقائق النحوية من منطلق نفسي ، وكان في الوقت ذاته يعرض بالنقد لأولية الفكرة القائلة بشمولية المنطق في النحو . ولقى كتابه هذا تقديراً كبيراً من معاصريه ، كما هو الحال مع كتاب م . لاتساروس M. Lazarus «حياة الروح» Das Leben der Seele (برلين ، ١٨٥٥) وهو الذي كان

عوناً لشتايتهال في الترويج للتفسير النفسيّ لظاهرة اللغة . وعلى أي حال فقد كان إنشاء دورية «مجلة علم النفس الجمعي واللسانيات» Zeitschrift fuer Voelkerpsychologie und Sprachwissenschaft (١٨٦٠ - ١٨٩٠) هو أهم الأحداث التي تشكل معلماً في مسار الترويج للنزعة النفسية في اللسانيات . وقد كان لمؤسسيها شتايتهال ولاتساروس ، مع أتباعهما ، القول الفصل . وكان علماء اللسانيات المرتبطون بهذه الدورية - أيضاً - الأنصار المخلصين لنظرية هامبولدت عن العلاقة بين اللغة وعلم النفس القومي National Psychology (في ذلك الوقت على التحديد شاع مصطلح «علم النفس الشعبي» Voelker Psychologie بين المفكرين الألمان المهتمين بقضايا الثقافة الوطنية) .

81 - وعلى حين كان شتايتهال ، من حيث المبدأ ، متبنياً أفكار هامبولدت عن اللغة ، فقد وسع إطارها النظري أيضاً بإبرازه فكرة الحدث الكلامي الفردي إلى مجال الاهتمام العلمي ، وهكذا : إذا كانت اللغة هي لسان الحال الذي تظهر الروح البشرية نفسها من خلاله ، فإذن تكون اللغة الخاصة بكل مجتمع متكلم هي التعبير الخاص بنفسية الجماعة Collective Psychology ، تماماً كما أن لغة الفرد هي التعبير الخاص بنفسية الفرد . واقترح شتايتهال أيضاً الفكرة القائلة بأن معاني الكلمات ليست محددة تحديداً قاطعاً : فعندما ينطق كل فرد كلمة يطبعها بتجربته الشخصية ، وبنفسيته الخاصة ، حتى إن الكلمات لا تكتسب معناها الحقيقي إلا في اللحظة التي ينطق بها . وقد دافع عن هذه الفكرة لسانيون آخرون فيما بعد ، وبصفة خاصة مدرسة فوسلر Vossler ، انظر فيما يلي ف ١٧١) .

82 - وقد كان شتاينتهال أول من حدد إطار البحوث اللسانية تحديداً واضحاً على نحو يجعلها تسهم في معرفة «علم النفس القومي» كما يجعل إمكاناتها هذه غير مقصورة على الارتباط بتاريخ اللغات الفعلية فحسب ، بل تتعلق أيضاً بإثبات أصلها بالإضافة إلى صلات القرابة الرابطة بينها ، والاختلافات القائمة في أبنيتها . وبسبب من هذا الارتباط بدأ العمل في إنجاز أول وصف شامل للأنماط اللغوية (كان قد عرف في ذلك الوقت عدد كبير من اللغات الهندية الأوروبية)[٢] . وكانت معايير شتاينتهال النفسية هاديا للسانيين لدى عملهم في التصانيف الأولى للغات المعروفة ؛ إذ حاولوا إثبات القول بأن الصلات الروحية بين الأمم تتجلى في أشكال متقاربة من التركيب اللغوي ، والعكس صحيح .

83 - وكان فيلهلم فوندت Wilhelm Wundt (١٨٣٢ - ١٩٢٠) ، منشئ أول معمل للتجارب النفسية ، مهتماً أيضاً بقضية «علم النفس القومي» . وكان هذا الباحث الألماني ، العالم المتمرس بدراسة الفيزياء وعلم النفس ، من حيث اهتماماته الأساسية وإنجازاته ، هو أول من بدأ الجدل الجاد حول الخلفية النفسية للغة .

84 - وكان التوجه النفساني عند فوندت مختلفاً عنه عند شتاينتهال الذي كان من أنصار نظرية التداعي "Associationist" (متبعاً في ذلك هربرت . انظر فيما سبق ف ٨٠) . ودعم فوندت نظرية الإدراك بالترابط على أساس أن العقل البشري مؤسس على انطباعات من العالم الخارجي تستقبلها الحواس ، على حين أن اللغة تعيش على التعبير عن الأفكار التي تتحدد بهذه الطريقة (أي بواسطة العامل الحسي)[٣] .

85 – ولم يعتقد ڤوندت أن اللغة عبّرت عن «روح الأمة» على الرغم من اهتمامه الشديد بقضية علم النفس القومي . وأصرّ على أن الخصائص النفسية الخاصة بمجتمع متكلم إنما يشكلها نمط الحياة الجماعية . ومن الضروري – لبحث هذه الخصائص – أن نتعرف إلى كل مظاهر الحياة الجماعية : لغة الأمة وعاداتها وأفكارها ، وباختصار على مجمل ثقافتها .

86 – ظهر كتاب ڤوندت – الذي يُعد من الكتب الأصول – «علم النفس الشعبي» "Voelkerpsychologie" في عشر مجلدات . وكان الكتابان الأولان ، وعنوانهما «اللغة» Die Sprache (انظر فيما يلي ف ٩٢) مخصصين للقضايا اللسانية . وفيهما قدم ڤوندت سلسلة من الملاحظات الممتعة (مثل ملاحظاته حول الإدراك الحسي للكلام ، وتراكيب الجملة ، وتكوين الجمل المركبة . . إلخ) . وكان ناجحاً بصفة خاصة في شرحه للتغيرات الصوتية[٤] .

87 – أظهر النحاة المحدثون ، معاصرو ڤوندت ، موقفاً نقدياً تجاه قيمة مؤلفاته اللغوية ، وأكدوا أن المعالجة النفسية التي دافع عنها لم تكن ذات مغزى حقيقي للدراسات اللسانية . أما في يومنا هذا فقد قدر عمل ڤوندت تقديراً مرضياً إلى حد بعيد ، وخاصة من الهامبولديين المحدثين (انظر فيما سبق ف ٧٧) وممثلي اللسانيات الأنثروبولوجية (انظر فيما يلي ف ٣٤٢) . وقد احتل ڤوندت مكاناً متميزاً[٥] في تاريخ علم النفس التجريبي .

88 – وظلت جهود سائر الباحثين في القرن التاسع عشر من المهتمين بالنظرية اللسانية على وجه العموم محصورة في نطاق التفسيرات

النفسية لظواهر اللغة ، على الرغم من عدم إلحاحهم على «علم النفس القومي» . وكان منهم الألماني جورج فون دير جابلينتس Georg von der Gabelentz (١٨٤٠ - ١٨٩٣) الذي بيّن بوضوح أنه لم يكن ثمة وجود لما يسمى باللغة البدائية ، وأن كل لغة كانت مكتملة على نهج خاص بها (وقد فصل هذا بوضوح في كتابه «علم اللغة» Die Sprachwissenschaft انظر فيما يلي ف ٩٢) . وكذلك عالم اللغات السلافية أ . أ . بوتبنيا A. A. Potebnja (١٨٣٥ - ١٨٩١) الذي أشار في عدد من المناسبات إلى الصلة العميقة الجذور بين نظام التفكير وتركيب اللغة ، وهو الذي يدين له علماء اللسانيات بسلسلة من المؤلفات الروسية القيمة حول المعنى وأهمية المقولات النحوية (وقد جمع أهم هذه المؤلفات كتاب «مذكرات في نحو الروسية» "Iz zapisok po russkoj grammatike" ، انظر فيما يلي ف ٩٢) .

89 - وإبان العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين طوّر أ . مارتي A. Marty (١٨٤٧ - ١٩١٤) اتجاهه النفسي في «فلسفة اللغة» . فقد أراد أن ينشئ قواعد لسانية عامة على أساس نفسي ، فبدأ من الجزم بأن معنى الصيغ اللسانية يتعلق بضمان كل من التعبير عن الحالات النفسية للمتكلم وإثارة الاستجابات المناسبة في السامع . ومن ثم فهي تقع في نطاق الدراسات النفسية . وتوصل مارتي إلى نتيجة تقول بأن فلسفة اللغة - التي هي نظرية أساسية عن اللغة - يجب أن تكون نفسية في نهاية المطاف . وعلى الرغم من أن نظريته لم تكن مقبولة في عمومها فقد أثرت بعض أفكاره - التي كانت في الغالب مثيرة وأصيلة - في تشكيل الآراء السائدة في مسار اللسانيات العامة في العقود الأولى من القرن العشرين .

90 – وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر اتجاه نفسي في الحلقات اللغوية الفرنسية بلغ ذروته في بداية القرن العشرين (انظر فيما يلي ف ١٦١) . وشهدت نهاية القرن التاسع عشر أيضاً بداية الدراسات الدلالية (انظر فيما يلي ف ٤٠٤) التي ترعرعت في المناخ نفسه ، وهو مناخ الاهتمام بالعلاقة بين عالم النفس والصيغ اللغوية .

91 – ثم تولى منظرون بارزون في مجال اللسانيات وعلم الدلالة ، (أ . جاردنر A. Gardiner ، ك . بولر K. Buehler وآخرون) ، مواصلة الجهود في مجال التراث الخاص بالمعالجة النفسية للغة في القرن العشرين .

إحـــالات

92 - قدم أوتو فونك Otto Funke معلومـات عن شتاينتهـال وفوندت في كتابه «دراسات في تاريخ الفلسفة اللغوية» .

Studien zur Geschichte der Sprachphilosophie, pp. 55 57.

(انظر فيما سبق ف ٧٨) .

- وكـذلك فـعل أرينز Arens في «علـم اللغـة» Sprachwissenschaft (كتب عن شتاينتهال الصـفحات ٢٥٢ - ٢٦٠ ، وعن فـوندت الصـفحات ٣٦٠ - ٣٧٠) .

ويمكن أن تجد المعلومات المتصلة بممثلي المـذهب النفسي (بصـفة أساسـية شتاينتهال وفـوندت ومارتي) أيضاً في كتاب شـيكوباڤا Čikobava ، «قضية اللغة بوصفها مجالاً للدرس اللساني»

Problema jazyka kak predmeta jazykoznanija

(موسكو ، ١٩٥٩) الصفحات ٢١ - ٣١ .

- انظر أيضاً زڤيجنسيف Zvegincev : **«تاريخ اللسـانيات»**

Istorija jazykoznanija, I section IV,

- «النزعة النفسية واللسانيات»

"Psyxologizm v jazykoznanii", pp. 105 - 107.

مقتطفات من مؤلفات لشتاينتهال ويوتبنيا .

انظر الكتب السابق ذكرها :

- هـ . شتاينتهال H. Steinthal : **«النحو والمنطق وعلم النفس ، أسسها ووجوه الارتباط بينها»**

"Grammatik, Logik und Psychologie. ihre Prinzipien und ihr Verhaeltnis zur einander"

(برلين ، ١٨٥٥) .

- وكتاب پوتبنيا Potebnja ، **«مذكرات في نحو الروسية»**

"Iz Zapisok po russkoj grammatike"

(نشر الكتابان الأولان في ١٨٨٨ ، والثالث في ١٨٩٩ ، والرابع في ١٩٤١) .

- وكتاب ڤوندت Wundt : **«اللغة»** Die Sprache ، (ليبزيج ، الطبعة الأولى ١٩٠٠ ، والثالثة ١٩١٢) .

لمزيد من المعرفة بموقف النحاة المحدثين من مبادئ ڤوندت انظر :

- ب . ديلبروك B. Delbrueck : **«التساؤلات الأساسية في البحث اللساني مع مراعاة علم النفس اللساني عند ڤوندت»**

Grundfragen der Sprachforschung mit Ruecksicht auf W. Wundts Sprachpsychologie (Strassburg, 1901).

- ف . ڤوندت W. Wundt : **«تاريخ اللغة وعلم النفس اللساني ، مع مراعاة تساؤلات ب . ديلبروك الأساسية في البحث اللساني»**

Sprachgeschichte und Sprachpsychologie, mit Ruecksicht auf B. Delbrueecks Grundfragen der Sprachforschung

(ليبزيج ، ١٩٠١) .

- انظر ج . فـــون دير جـــابيلنتس G. von der Gabelentz : «اللسانيات» ؛ Die Sprachwissenschaft (Leipzig, 1891. 1901).

- أ . مارتي A. Marty : «بحوث في أسس النحو العام والفلسفة اللسانية» Untersuchungen zur Grundlegung der allgemeinen Grammatik und Sprachphilosophie (Halle, 1908).

- و «مجموعة كتابات» "Gesammelte Schrifte" (Halle, I, 1916, II. 1, 1918, II, 2, 1920).

- أوتو فونك Otto Funke : «الصيغة اللغوية الداخلية ، مقدمة في فلسفة أ . مارتي اللسانية» "Innere Sprachform; Eine Einfuehrung in A. Martys Sprachphilosophie" (Reichenberg, 1924).

استكملت البحوث النفسية في القرن العشرين . ويمكن أن تعرف اتجاهاتها ونتائجها من المؤلفات التالية :

- أ . جاردينر A. Gardiner : «نظرية الكلام واللغة»

The Theory of speech and Language (Oxford, 1932, 1952).

- ك . بولر K. Buehler : «نظرية اللغة . وظيفة التصوير في اللغة»

"Sprachtheorie. Die, Darstellungs Funktion der sprache" (Jena, 1934).

- أوتو إرنست Otto Ernst : «اللسانيات والفلسفة»

"Sprachwissenschaft und Philosophie" (Berlin, 1949).

- فر . كاينتس Fr. Kainz : «علم النفس اللساني» في أربعة كتب

"Psychologie der Sprache" (Vienna, 1951 - 1956).

الحـــواشي

(١) يوحنا فردريك هربرت Johann Friedrich Herbart (١٧٧٦ - ١٨٤١) ، وأكبر شهرته تعود إلى أنه مؤسس علم التربية المرتكز على الدراسات النفسية .

(٢) قدم شتاينتهال عام ١٨٦٠ مسحاً للأنماط اللغوية الأساسية في كتابه «خصائص الأنماط الأساسية للبنية اللغوية» Charackteristik der hauptsaechlichsten Typen des Sprachbaues (برلين ، ١٨٦٠) . وقد نقح فر . ميستلي Fr. Misteli هذا الكتاب ، ونشره (بالعنوان نفسه) في برلين عام ١٨٩٣ .

(٣) اقترح فوندت التمييز بين العمليات النفسية الأساسية والمركبة . فالعمليات الأساسية تتصل اتصالاً مباشراً بالعمليات الفسيولوجية : إذ هي في الواقع عمليات نفسية فسيولوجية (والواقع أن بحث فوندت التجريبي كان متصلاً بمثل هذه العمليات حقيقة) . وعدّ فوندت العمليات المتصلة اتصالاً مباشراً بالفكر (كالعواطف والمذاهب العقدية ، إلخ) عمليات مركبة . ولهذا السبب تتعذر دراستها بالطرق المختبرية .

(٤) لكي يؤكد فوندت أن التغيرات الصوتية كانت نتاجاً لعمليات نفسية خاصة بصفة أساسية ، شرح – على سبيل المثال – ظاهرتي المماثلة Assimilation والمغايرة الصوتية Dissimilation ، وألقى الضوء على الدور الحاسم للدوافع الاستدعائية في هذه الحالات .

(٥) لم يظهر تأثير تعاليمه في أوروبا فحسب ، بل في أمريكا أيضاً ، حيث حظيت جهوده في علم النفس التجريبي بشهرة كبيرة في العقدين الأولين من القرن العشرين . ويدين تبسيط أفكار فوندت في الولايات المتحدة الأمريكية بالكثير لعالم النفس الأمريكي إ . ب . تيتشنر E. B. Titchener .

(١١)

النحـــاة المحـدثـــون

93 - في التسعينيات من القرن الماضي ظهرت في جامعة ليبزيج (بألمانيا) جماعة من اللسانيين الموهوبين المجتهدين كان دورهم في تطور الدراسات اللسانية على درجة بالغة الأهمية . عرفت هذه الجماعة في البداية باسم «مدرسة ليبزيج» . أما الآن فاسم «النحاة المحدثون» ("Jung-grammatiker") معروف على نطاق واسع . ويستخدم لا للدلالة على هذه الجماعة فحسب ، بل يستخدم علماً على جميع اللسانيين المتأخرين ، الذين يعتنقون التصورات المنهجية نفسها . وقد ابتكر الاسم عندما كانت جماعة ليبزيج ، التي تضم أعضاء من الجيل الجديد ، تقود حملة ضد الأفكار المحافظة للسانيين القدامى (الذين كان من بينهم بعض الأسماء المشهورة ، إذ كان كيرتيوس Curtius ـ مثلاً ـ ألدّ الخصوم للجماعة «الجديدة» ، انظر فيما سبق ف ٥٦) . واستعمل الجيل القديم المصطلح «محدثون» (النحاة المحدثون Jung-grammatiker) تهويناً من شأن القيمة الحقيقية لوجهة النظر المضادة ، التي ظهرت حديثاً في اللسانيات . ولكن جماعة ليبزيج أسعدها هذا الاسم الذي أوحى بمعالجة جديدة حية . وهكذا حظي اسم (النحاة المحدثون) بقبول فوري من كلا الجانبين ، وبقي حتى يومنا هذا رمزاً لمدرسة جادة مجتهدة ، تستحق مكاناً رفيعاً في تاريخ اللسانيات .

94 – وقد كان الفضل الأكبر للنحاة المحدثين في أنهم أضفوا الانضباط التام على المنهج التاريخي المقارن ، الذي كان حديث التأسيس . وكانت بداية تحقيق هذا الإنجاز من خلال دراسة التغيرات الصوتية . ومن الطبيعي أن تلحظ مظاهر الاطراد في التغيرات الصوتية(١) . ولكن ما من جيل قبلهم أصر إصراراً واضحاً على الاتساق المطلق للقواعد الحاكمة على وقوع الظواهر الصوتية : فالأصوات تتغير وفقاً لقوانين ثابتة لا تعرف الشذوذ . وتنشأ مظاهر الشذوذ بعد ذلك بسبب القياس (أي : نتيجة لتدخل العوامل النفسية : فالنتيجة الطبيعية لتغير صوتي في صيغة لغوية معينة تجري تنحيته بتأثير صيغة أخرى ذات صلة بالصيغة الأولى ، ترتبط ارتباطاً لا شعورياً بها ، حيث لم يقع التغير بسبب عدم اكتمال شروطه) .

95 – وكان عالم اللغات السلافية أوجست ليزكين August Leskien (١٨٤٠ – ١٩١٦) ، وعالم اللغات الهندية الأوروبية كارل بروجمان Karl Brugmann (١٨٤٩ – ١٩١٩) أول الباحثين الذين قرروا – بإصرار النحاة المحدثين المتميز – الاطراد الذي يبدو في تجليات القوانين الصوتية . وقوبلت دراسة ليزكين «القوانين الصوتية لا تعرف الشذوذ» Die Lautgesetze kennen keine Ausnahme (١٨٧٦) باهتمام واسع . ولكن الحدث الأهم كان نشر دراسة ك . بروجمان – هـ . أوستهوف H. Osthoff ، «بحوث صرفية» Morphologische Untersuchungen (ليبزيج ١٨٧٨) ، إذ عدت هذه الدراسة – بوصفها بياناً بالعقيدة العلمية للنحاة المحدثين – الإعلان النهائي بتأسيس هذه المدرسة .

96 – وفكرة اتساق قوانين اللغة – التي تكمن وراء المبادئ التي

يؤمن بها النحاة المحدثون - بالإضافة إلى التوجه التاريخي المقارن الذي اتسمت به همومهم اللسانية ، هي التي حددت الشكل الأساسي لدراسة اللغة عندهم : فقد فحصوا ، بصبر وانتباه بالغ إلى التفاصيل ، كل حقيقة لسانية خلال جميع مراحل تطورها ، مسجلين بدقة القوانين العاملة في كل مرحلة ، ومحاولين إيجاد تفسير مناسب لكل استثناء من القواعد جرى رصده . إنهم أحالوا اللغة إلى «ذرات» ، وقد كان هذا هو ما وصفوا به على يد أجيال جديدة لاحقة من النحاة ممن هجروا تقاليد النحاة المحدثين في مناهج البحث اللساني وتصوراته . والحق أن النحاة المحدثين في حماسهم لكل التفصيلات اللغوية ، حتى ما كان منها غير ذي خطر ، كثيراً ما افتقدوا رؤية الصورة الكلية للبنية اللغوية ، حيث لا وجود لشيء قائم بذاته وإنما يوجد متحداً مع الأجزاء الأخرى المكونة للكل . غير أنه من الحق كذلك أن عملهم المتقن أدى إلى تراكم المزيد من المعرفة بالحقائق اللغوية المحددة ، كانت كافية لتوفير أساس متين للمرئيات النظرية الجديدة التي تطورت بعد ذلك .

97 - ولم تكتسب الدراسات التاريخية المقارنة تمام انضباطها إلا بقيادة النحاة المحدثين من حيث المقاربة المنهجية . وقد تعرضت بعض التفسيرات الأولى للحقائق اللسانية للتعديل والتوسيع (على نحو ما جرى لقانون جريم)[٢] .

وقد تمت إعادة تركيب أقدم أطوار اللغات الهندية - الأوروبية على نحو أكثر ثباتاً وشمولاً ، ويرجع الفضل في ذلك أساساً إلى ك . بروجمان[٣] (وقد كانت أفضل المعالجات من نصيب القضايا الصرفية

والصوتية . وكتب ب . ديلبروك[٤] أول مؤلف أساسي كبير عن بناء الجملة) . كما لقى تاريخ اللغات الهندية - الأوروبية الحية كذلك ما هو جدير به من اهتمام .

98 - انكب النحاة المحدثون على تاريخ اللغة ، مقتنعين اقتناعاً راسخاً بأن المنهج التاريخي في الدراسة يوفر أنسب معالجة منهجية تحقق الأهداف النبيلة الرامية إلى المتابعة العلمية للمعرفة . وأكدوا هذا الموقف في عدد من المناسبات[٥] . وكان أكثر المؤيدين تشدداً هرمان بول Hermann Paul (١٨٤٦ - ١٩٢١) ، وهو أحد الأعلام في مدرسة النحاة المحدثين .

99 - وعلى حين اعتاد النحاة المحدثون الآخرون تقديم براهين عملية تثبت تصوراتهم المنهجية انصرف الاهتمام الأساسي عند پول إلى الدراسة النظرية للقضايا المنهجية . ولقى كتابه الأساسي «أسس تاريخ اللغة» Principien der Sprachgeschichte (انظر فيما يلي ف ١٠٧) مزيجاً من المدح المتحمس والنقد الحاد . وتجلت في كلتا الحالين على نحو لافت عظمة الجهد العلمي للنحاة المحدثين ، كما تجلت نقاط ضعفهم في مجال المناهج والنظرية اللسانية .

100 - وأعلن پول موقفه - بصراحة - معارضاً الوصف البسيط لحالة لغوية بعينها دون الرجوع إلى النظرة التاريخية ، ولهذا لم يحظ على الإطلاق بالتسامح من جانب اللسانيين في القرن العشرين الذين كرسوا أنفسهم - غالباً - للمعالجة الوصفية (انظر فيما يلي ف ١٣١) . وقد تناسى

هؤلاء أن كتاب پول «أسس تاريخ اللغة» يتضمن بعض الملاحظات الممتازة التي تلمح مباشرة إلى الكثير من الأفكار الجديدة التي ظهرت لاحقاً . وذاع ذكره - أساساً - بوصفه رائداً دءوباً للنزعة التاريخية .

101 - انطلق پول من اقتناعه بأن اللسانيات فرع من الدراسة يتصل بدراسة الثقافة الإنسانية . ولكي تُفهم الأنماط الحقيقية للثقافة كان من أوائل الضرورات أن نتعرف الظروف التاريخية التي أثرت تأثيراً مباشراً في تشكيلها . واتباعاً لهذا الأساس لم يتورع پول - في إصرار - عن وصف كل ما هو غير تاريخي في الدراسات اللسانية بافتقاد العلمية ، وهو الحكم الذي لم توافقه عليه الأجيال اللاحقة .

102 - وتقتضي دراسة الثقافة - ضمناً - دراسة المجتمع . وينبغي أن تعد اللغة - أولاً وقبل كل شيء - ملكاً للمجتمع المتكلم كله . ومثل هذه اللغة الجماعية تمثل النمط الوسيط المميز لمجتمع بعينه ، أي أنها أوفر تجليات الكلام حظاً من النمطية ، وهي ما يمكن تأسيسه عن طريق ملاحظة الكلام الصادر عن مختلف الأفراد ، الممثلين للمجتمع كله ، وبالبحث عن النمط الوسط في الكلام (استخدم پول المصطلح «الكلامية» "Sprachusus" علماً على النمط الوسط في الكلام) ؛ غير أنه ألح على أن الحقيقة اللغوية السليمة ليست لغة الجماعة المتكلمة . و«اللغة الجماعية» Collective Language ما هي إلا وجود نفسي ، إنها فكرة توجد في داخلنا . إن الحقيقة الوحيدة هي لغة الفرد ، التي هي التجلي الفعلي للكلام . وما قاله پول (بطريق غير مباشر شديد الالتفاف والإسهاب) ظهر

بعد ذلك في الجذور الخاصة بنظرية دي سوسير De Saussure الرائد الثوري في تاريخ اللسانيات (انظر فيما يلي ف ٢٥٩) .

103 - كان النحاة المحدثون على اقتناع راسخ باتساق القوانين الحاكمة على تطور اللغة ، ورأوا أن هذه القوانين كانت خارجة عن سيطرة البشر . وكان بعض الدارسين ، مثل بروجمان ، يميل إلى التماس الأسباب المتعلقة باختلاف اتجاهات التطور اللغوي - بصفة أساسية - في البنية الفسيولوجية للإنسان (أي في بنية جهاز النطق) . على حين التمسها آخرون - أساساً - في الأسباب النفسية لكي يفسروا تغيرات اللغة (وكانوا في الغالب متأثرين بروح تعاليم ڤوندت ، انظر فيما سبق ف ٨٤) . وكانت صياغة پول أوفر الصياغات حظاً من الحسم في هذا الموضوع ، إذ كان هو الذي قدم أنجح توليف للأفكار الشائعة في زمانه .

104 - أعطى پول الأولوية للعامل النفسي لأنه اعتقد بوجود صلة مباشرة بين تطور الثقافة وتطور العالم الداخلي للإنسان . وفضلاً عن ذلك فقد ألح على أن اللغة التي نتكلمها توجد داخلنا في شكل شبكة من الأحاسيس السمعية الحركية المتميزة التي تكون في حالة من الترابط الدائم . وعن طريق الإصغاء والتفكير ينمي المرء حصيلته من أشكال الاستدعاء اللغوي . ويسجل كل إنسان الممارسات اللغوية لبيئته فيما وراء وعيه في صورة نموذج ، ولكنه لا يعيد إنتاجه على نحو دقيق ؛ ذلك أن طرق تداعي الأفكار عند كل فرد تتيح عدداً من وجوه الاختلاف الطفيف

عن ذلك النموذج . وإذا نقلت هذه الخلافات إلى أفراد آخرين كان ثمة احتمال أكبر أمام هذا الاختلاف لكي يكتسب المزيد من الأهمية ، إلى الحد الذي يسبب تغيرات ملحوظة في اللغة .

105 - غير أن پول لم يحصر نفسه في التفسيرات النفسية عند تعرضه لهذه القضية ، فأكد على وجه الخصوص أيضاً أهمية العنصر الفسيولوجي : فالمرء يستشعر ميلاً إلى ما هو أسهل من الحركات النطقية ، وهو يلبي هذا الميل بطريقة لا شعورية . ويعتمد نوع الحركة التي هي أكثر ملاءمة لفرد بعينه على التركيب الفعلي لأعضاء النطق . وكذلك أولى پول بعض العناية إلى أهمية ظروف الحياة الموضوعية للإنسان (المناخية والجغرافية والاجتماعية) . وعلى الرغم من أنه كان بعيداً من تأسيس نظرية دقيقة لتطور اللغة قدم پول سلسلة من الملاحظات المتميزة في هذا الاتجاه ، وهي التي كانت مثيراً خصباً للتأملات التي أبداها رواد القرن العشرين في النظرية اللسانية .

106 - وكان النحاة المحدثون أول من اهتم اهتماماً جاداً بقضية اللهجات الحية ، فقد رأوا أن اتساق العملية المتواصلة للتطور اللغوي (وهي الموضوع الذي كان يمثل لهم مركز الاهتمام العلمي) يمكن أن يلحظ على نحو أفضل داخل إطار كيان لغوي حي . غير أنهم لم يحققوا النتائج التي توقعوها في هذا المجال . ولم تدعم هذه النظرية ببراهين جديدة ، بل إن أول الملاحظات النقدية لمناهجهم - في الحقيقة - سمعت من جانب علماء اللهجات (انظر فيما يلي ف ١٤١) . وأكد علماء

الجغرافية اللغوية شيئاً كان ممثلو النحو التاريخي البارزون قد فشلوا في تأكيده بدرجة كافية ، وهو الأهمية الكبرى للعوامل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية في تشكيل صورة اللهجات (انظر فيما يلي ف ١٤٧) . وفي بداية القرن العشرين دخل إلى مجال اللسانيات منهج لساني ذو معايير جديدة ، صاغها علماء اللهجات ، وكان له أثره البعيد في إثراء الدرس اللساني من حيث النظرية والتطبيق .

إحـــالات

107 – قدمت أ . ف . ديسنيكايا A. V. Desnickaja : أفضل وأكمل مسح – حتى الآن – لعمل النحاة المحدثين ، في دراسة بعنوان : «قضايا دراسة القرابة في اللغات الهندية الأوروبية»

Voprosy izučenija rodstva indoevropejskix jazykov (Moscow - Leningrad, AN SSSR, 1995),

(موسكو – لينجراد ، أكاديمية العلوم السوفييتية ، ١٩٥٥) ، الفصل الثاني «من تاريخ الدراسات المقارنة للغات الهندية الأوروبية»

"Iz istorii sravnitel'nogo izučenija indoevropejskix jazykov".

انظر أيضاً كتب طومسن Thomsen و پدرسن Pedersen (انظر فيما سبق ف ٥٩) .

– نشرت شيكوباڤا Čikobava النقاط الأساسية لمذهب پول في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه «قضية اللغة بما هي مجال للدرس اللساني» Problema jazyka kak predmeta (انظر فيما سبق ف ٩٢) .

– انظر أيضاً هر . تسيمر Hr. Zimmer : «جولات النحاة المحدثين في مجال بناء الجملة»

Junggrammatische Streifzuege im Gebiete der Syntax (Colberg, 1882).

- ك . بروجمان K. Brugmann : «حول الوضع الحالي للسانيات»

Zum heutigen Stand der Sprachwissenschaft (Strassburg, 1885).

- كما نوصي على وجه الخصوص بالاطلاع على كتاب پول : «أسس تاريخ اللغة» Principien der Sprachgeschichte (Halle, 1880) ، (توجد أربع طبعات متالية ، آخرها في ١٩٢٠) .

الحـــواشي

(١) تحـدث شـلايشر ، مثـلاً ، عن اطراد القـوانين الصـوتيـة في «النظرية الدراوينيـة» Die Darwinische Theorie (فايمر ، ١٨٦٣) .

(٢) استكمل ك . فرنر K. Verner قانون جريم (انظر فيما سبق ف ٥٥) عام ١٨٧٧ في دراسته «استثناء تحريك الصوت الأول»

Eine Ausnahme der ersten Lautverschiebung", Kuhn's Zeitschrift fuer vergleichende Sprachforschung XXIII.

وتضمن التوسع بياناً بأن الصوامت الانطلاقية الاحتكاكية الجرمانية المهموسة في موقعية الوسط ، والتي تقابل المهموسات الهندية - الأوروبية القديمة *p, *t, *k تبقى مهموسة إذا كانت الحركة السابقة لها مباشرة منبورة ، أما إذا لم يقع النبر على الحركة السابقة للاحتكاكي مباشـرة فإن الصوت المهموس يتحول إلى مجهور (وينطبق هذا أيضاً على الصوت s في اللغات الجرمانية) . وقد قدم أ . مييه A. Meillet عالم الدراسات المقارنة قانون فرنر بعد ذلك بشكل مختلف إلى حد ما في دراسته «الخصائص العامة الجرمانية»

Caractères généraux des langues germaniques (Paris. 1917).

وتبعاً لما قدمه مييه من تحديد تصبح الأصوات الانطلاقية الاحتكاكية مجهورة إذا وقعت بين عنصرين مجهورين بحيث يكون أولهما حركة تحتل موقعية البداية ، ولكن ينعدم الجهر إذا كان هذا المقطع الأول منبوراً .

(٣) كان ك . بروجمان مؤلف الكتاب المعروف «مختصر النحو المقارن للغات الهندية - الجرمانية» Kurze vergleichende Grammatik der indogermanischen sprachen (Strassburg, 1902 - 1904).

وقد أعد ، مع ب . ديلبروك - الطبعة الأولى من المؤلف الأساسي في الدراسات الهندية - الأوروبية : «الموجز في النحو المقارن للغات الهندية الجرمانية»

Grundriss der vergleichenden Grammatik, der indogermanischen Sprachen;

وقد أعد بروجمان الكتابين الأول والثاني بين عامي ١٨٨٦ و١٨٩٢ ، كما أعد ديلبروك الثالث والرابع والخامس ، تلك التي نشرت ما بين عامي ١٨٩٣ و١٩٠٠ تحت عنوان «بناء الجملة المقارن في اللغات الهندية - الجرمانية»

Vergleichende Syntax der indogermanischen Sprachen

واستقل بروجمان بتأليف الطبعة الثانية المنقحة لهذا الكتاب . وكان عنوان الكتاب الأول مقدمة ودراسة الأصوات Einleitung und Lautlehre ، (١٨٩٧) ، أما الكتاب الثاني فقد كان عنوانه «علم بناء الكلمة واستخدامه»

Lehre von den Wortformen und ihrem Gebrauch

(نشر في أجزاء : الجزء الأول ١٩٠٦ . والثاني ١٩٠٩ - ١٩١١ ، أما الجزء الثالث فنشر القسم الأول منه في ١٩١٣ . والقسم الثاني في ١٩١٦) .

(٤) ترجع شهرة بيرتهولد ديلبروك - أقرب معاوني بروجمان - خاصة - إلى دراسته في بناء الجملة ، الذي كان اهتمام النحاة المحدثين به ضئيلاً نسبياً . وما زال كتابه «بناء الجملة المقارن . . .» حتى الآن مصدراً قيماً للمعرفة المتعلقة بتاريخ بناء الجملة في اللغات الهندية الأوروبية .

(٥) انظر على سبيل المثال ، الآراء التي نشرها ك . بروجمان ، ف . شترايتبرج W. Streitberg في الدراسة : «في العيد المئوي لميلاد فر . بوب» ، «بحوث هندية - جرمانية»

"Zu Fr. Bopps hundertjaehrigen Geburtstage", Indogermanische Forschungen, I, (1892), p. VII.

وفي مواضع كثيرة .

(١٢)
هوجو شوخاردت ، ممثلاً «للمستقلين»

108 – يستخدم مصطلح «المستقلون» Independents لوصف معاصري جماعة ليبزيج الذين ابتعدوا عن الدائرة اللسانية للنحاة المحدثين ، واتبعوا نهجاً مستقلاً من الأفكار اللسانية الخاصة بهم . ولم يكن هؤلاء كثيرين في العدد ، فنحن إذا استبعدنا علماء الجغرافية اللسانية (انظر فيما يلي ف ١٣٩) وممثلي مدرسة قازان (انظر فيما يلي ف ١٨٦) فلن يبقى إلا شخصية واحدة بارزة ؛ إنه رجل ذو أفكار لسانية أصيلة تتسم بالتحدي هو هوجو شوخاردت Hugo Schuchardt (١٨٤٢ - ١٩٢٨) .

109 – وعلى الرغم من انتمائه لجيل النحاة المحدثين نفسه لم يلتحم شوخاردت معهم ؛ فقد كان موقعه على الجانب الآخر ، في صفوف نقاده . ولكنه لم ينتقدهم من وجهة نظر محافظة ، بل على النقيض . ولما كان رجلاً ذا نظرات وأفكار مستقلة لذا لم يستطع قبول المفهوم الذي احتل موقع المركز في النظريات اللسانية عند النحاة المحدثين وهو أن التغيرات اللغوية تحدث وفقاً لقوانين ثابتة ومتسقة ، تحمل شبهاً قوياً من قوانين الطبيعة العمياء . ورأى عقله النفاذ أن هناك تفسيرات أخرى محتملة . وبذلك كان من أوائل من ألقوا الضوء على أهمية العنصر الجغرافي في التطور اللغوي ، كما كان أيضاً من أوائل من أشاروا إلى دور الأفراد في حفز التغيرات اللغوية : ذلك أن إبداع فرد ما يمكن أن يشيع عن طريق التقليد .

110 – نشر شوخاردت أفكاراً تتسم بالتحدي ، ولا سيما عن اللغات «المختلطة» "Mixed" Languages . ووفقاً للمفاهيم التقليدية لعلماء المقارنات كانت الروابط الوراثية «نقية» (أي أن كل لغة كانت مرتبطة بأسرة لغوية واحدة فيما يتعلق بأصلها) . وهكذا وجه شوخاردت اهتمامه إلى ما يسمى «اللغة المبسطة» Pidgin Language ، وتعني اللغات التي ظهرت نتيجة لتمازج بُنى لغوية متباعدة كل التباعد (مثل اللغة التي تحدث بها بعض الوطنيين الأفارقة على أساس من الإنجليزية ، ولكن مع سمات نمطية تنتمي إلى لغتهم الخاصة)[١] . وقادته بحوثه إلى نتائج اصطدمت اصطداماً حاداً مع المفاهيم التقليدية لعلماء المقارنات . وما زال كثير من ملاحظاته في هذا الفرع البحثي من الأساسيات حتى اليوم ، حين تعمق الدارسون هذه القضايا أكثر مما فعل شوخاردت في أعماله الرائدة[٢] .

111 – وقد انعكست أصالة شوخاردت أيضاً في اهتمامه الحي بالقضايا الخاصة بمعنى الكلمات (التي كانت مخالفة تماماً للنحاة المحدثين) . وحين أنشئت دورية «كلمات وأشياء» Woerter und Sachen في ١٩٠٩ ، التي عولجت فيها المسائل الدلالية بالإضافة إلى الاشتقاقية ، صار شوخاردت مشاركاً بارزاً . وأثر عمله إلى حد بعيد في ظهور الاهتمام بتلك المجالات من البحث اللساني .

112 – ومع ذلك فإن كثرة كثيرة من أفكار شوخاردت قد كان لها أصداء بعد وفاته أكثر مما كان لها في حياته ؛ فالحقبة التي عاش فيها تنتمي إلى حقبة النحاة المحدثين . ولم يحظ هذا الباحث الموهوب بالقبول التام – في الحقيقة – إلا من الأجيال اللاحقة التي تنبأ لها بما ستعتنقه من أفكار .

إحـــالات

113 – جاء أفضل عرض لنقد شوخاردت للنحاة المحدثين في كتابه **«حول القوانين الصوتية المناقضة للنحاة المحدثين»**

Ueber die Lautgesetze gegen die Junggrammatiker (Berlin, 1885).

ويمكن التماس هذا الكتاب (مختصراً بعض الشيء) وبعض الكتب الهامة لشوخاردت (اختارها ليوشبيتسر Leo Spitzer ، محرر المختارات) في كتاب بعنوان **«هوجو شوخاردت – بريفيير ، مرشداً في اللسانيات العامة»** (Hugo Schuchardt-Brevier, Ein Vademecum der allgemeinen Sprachwissenschaft Halle, 1928).

(الطبعة الثانية المنقحة) .

وظهرت ترجمة روسية لهذا الكتاب (مع عدد من الإضافات) في موسكو عام ١٩٥٠ ، نشرها ر . أ . بوداجوف R. A. Budagov ، بعنوان : **«هـ . شوخاردت ، مقالات مختارة في اللسانيات»**

G. Šuxardt, izbrannye stati po jazykoznaniju.

الحــواشي

(١) في مسـألة «اللغة المخـتلطة» انظر أ. مبيـه «المنهج المقارن في اللسانيات التاريخية» La Mèthode comparative en linguistique historique (Oslo, 1925).

(٢) من المعروف الآن - على سبيل المثال - أن التمييز النظري بين «النقي» و«المختلط» لا يقوم على أساس صحيح ؛ فكل اللغات يدخلها «الاختلاط» بدرجات متفاوته .

(١٣)

البحث اللساني في القرن العشرين

مقـــدمـــة

الخصائص الأساسية للدرس العلمي في القرن العشرين

114 - بعد القرن التاسع عشر ، الذي رفع فيه الباحثون من أصحاب وجهة النظر الوضعية Positivist المنهج التاريخي شعاراً رئيساً لمنطلقهم النظري ، بدأ نوع من ردود الفعل ، وشهد القرن العشرين تطوراً لاتجاه جديد كل الجدة في التفكير العلمي . وجاء بعد الحقبة التي أمضاها العلماء في تجميع الحقائق حقبة أخرى خصصت لمزيد من التفكير العميق في المعارف المكتسبة . وحينئذ فقط نشأت آراء جديدة تضع في حسابها الطبيعة المعقدة للظواهر التي صارت موضوعاً للبحث العلمي . وبفضل هذه المنطلقات الجديدة ، التي انبثقت من التنظيم المنهجي للحقائق المتجمعة ، دخل الجنس البشري عصراً من المدنية والثقافة لا يمكن التنبؤ به حتى الآن .

115 - وفي تاريخ مبكر يرجع إلى نهاية القرن التاسع عشر حقق عمل الباحثين نتائج قيمة ، مما ضمن تقدماً ديناميكياً متميزاً منذ ذلك الحين . لقد بدأ علم الفيزياء العصر العظيم لنظريته في الكم quantum theory . وطور علم الأحياء نظرية الطفرة mutation ، على حين كان علم النفس يؤسس «نظرية الجشطالت» "Gestalt-theory" (نظرية الأبنية العامة والأساسية) وغير ذلك من الإنجازات .

وأثرت العقود الأولى من القرن العشرين معارفنا بمفاهيم مثل النسبية ، والإلكترونيات ، وكيمياء شبه الغرويات ، والتحليل النفسي ، والسلوكية . وواجهنا أيضاً منذ الحرب العالمية الثانية مزيداً من المفاهيم العلمية الجديدة مثل علم الذرة ، وعلم التحكم أو التوجيه (السبرنطيقا Cybernetics) ، ونظرية الاتصال . . . فنحن نشهد - بلا شك - موجة هائلة صاعدة من المعرفة الإنسانية .

116 - وقد شهد القرن العشرون الاتجاهات العامة لوضع الأساس لمنهج علمي جديد . وبدأ البحث العلمي ، في عمله بالتنظيم المنهجي والتعميم ، مُلحاً على أهمية استنباط الخصائص غير المتحولة للظواهر . ولهذا كان من الضروري - عند ملاحظة مجموعة من المعلومات التي تجمعها صلات معينة - أن نعثر على النموذج النمطي لها (ما يمكن أن يصطلح عليه في علوم الأحياء الطراز الوراثي Genotype في علاقته بالطراز الفيزيقي Phenotype) . وينتج النموذج النمطي «المثالي» الخاص بنوعه من إلقاء الضوء على الخصائص الشائعة والمهمة في سلسلة من الظواهر المتعينة ، وإهمال الخصائص غير الأساسية ، وهي الخصائص الفردية والمتغيرة والخاضعة للمصادفة . وهكذا بدأ المنهج العلمي في التحليل يميل نحو تجريد الثوابت من المتغيرات القائمة بالفعل .

117 - والحق أن مظهر التضاد الأساسي بين البحث في القرن التاسع عشر والبحث في القرن العشرين يكمن في أن الاهتمام بتجريد السمات غير المتحولة قد حل محل الاهتمام - الذي انفرد وحده فيما مضى - بالطبيعة المحسوسة في الحقائق .

118 - وقد أبدى فريق من الباحثين تحفظاً خاصاً - كثيراً ما كان يرقى إلى درجة الشك - تجاه المنهج التجريدي الذي تبناه البحث العلمي الحديث . وكان هؤلاء هم الذين قامت أفكارهم بالكلية على أساس من مفاهيم الدرس العلمي التقليدية في القرن التاسع عشر . (وقد كان جميعهم - تقريباً - تضمهم مدارس علمية حتى وقت قريب) . غير أن أعمال المنهج المجرد كان هو الذي قاد إلى النتائج التي هي أكثر قابلية للتطبيق ، وهذه النتائج هي التي ضمنت في نهاية الأمر المستوى الذي بلغته مدنيتنا الحديثة .

119 - إن الملاحظة العميقة للحقائق تقود الباحثين إلى اقتناع لا يتزعزع بأن هذا العالم ليس خليطاً مشوشاً من التفاصيل ، ولكنه نظام (أي أنه كل منظم) . ولتأكيد هذه الحقيقة جعل الدرس العلمي في القرن العشرين من القاعدة التالية شعاراً لعمله : لكي نستكمل معرفتنا عن العالم ينبغي أن نبحث عن «بنية» النظام ، أي العلاقة بين مفردات النظام ، وهكذا ظهر عصر البنيوية في البحث العلمي ، ذلك العصر الذي تميز بأحداث كانت علامات دالة له ، مثل نجاح أينشتاين Einstein في الفيزياء الحديثة ، الذي بدأ ينبثق منه نوع من المدنية حديث تماماً بالنسبة للجنس البشري ، وهي المدنية «الذرية» .

120 - كان حقاً على أنصار البنيوية ، عند بداية تقدمهم الرائد في العلم ، أن يتغلبوا على مقاومة «التقليديين» Traditionalists لمثل هذه الاتجاهات الجديدة وغير المألوفة من التفكير العلمي الذي تطلبته البنيوية (وقد عبّر عن ذلك ناقد قديم[1] ، في عبارة اختيرت كلماتها بعناية ، فقال في تعليله له : إن ذلك إنما كان لأن الدور العلمي لرجال مثل كوبرنيكوس Copernicus ، وأينشتاين في زمننا ، لا يكمن أساساً في اكتشاف حقائق

جديدة ، بل أيضاً في إيجاد طرق جديدة للنظر في المادة القديمة) . وقد صارت فترة افتقاد الثقة ، والنقد غير اللائق ، والاستخفاف ، هي الآن ماضياً بعيداً . وقد أثبت المستوى الحالي للنتائج المتحققة ، إثباتاً تاماً ، صدق الاقتناع بأن العلم الذي استند تماماً على الطبيعة المحسوسة للحقائق لا يمثل إلا المرحلة الأولى من معرفتنا ، على حين لا يمكن تحصيل المرحلة الممعنة في النضوج إلا بالبحث البنيوي .

121 - وكان المفهوم المميز لباحثي القرن العشرين هو أن العمل العلمي ينبغي أن يرتبط - في مجموعه - ارتباطاً لا ينفصم بنظرية المعرفة «الإبستيمولوجيا» Epistemology . ولما كان مفهوم البنية واقعاً في موقع المركز من البحوث المعرفية ، فقد بحث الدارسون إمكان إيجاد أكثر الإجراءات فعالية لوصف البنية بمصطلحات علمية . ولما كان الكلام البشري غير ملائم لمثل هذه الأغراض ؛ من حيث أنه ليس بالضرورة منضبطاً ومنطقياً ، فقد وحد الدارسون جهودهم لكي يضطلعوا بتأسيس قواعد «اللغة الواصفة» Meta-language ، أي لغة التحليل العلمي التي هي أوفر اللغات حظاً من المنطقية . وقد أنجز هذه المهمة علماء الرياضيات ، والمناطقة ، واللسانيون ، وهم الأكثر أهلية له . وهكذا صار القرن العشرون عصراً للتعاون بين المجالات المعرفية المتداخلة الاختصاص .

122 - قاد كل ذلك إلى تغير في تكوين المتخصص في مفردات المجالات المعرفية . فعلى حين كانت الثقافة اللسانية التقليدية ذات طابع إنساني بياني ، فإن اللساني الحديث مزود ، علاوة على ذلك ، بالمعرفة التي يحصلها من العلوم الدقيقة . وباختصار فإن النمط الكلي للثقافة مختلف في

جوهره ، ويتطلب من الباحث آفاقاً من المعرفة أبعد بكثير مما كان يمكن أن يحلم به المرء في العصور الماضية (وهي ما يمكن أن نسميه «عصر ما قبل البنيوية» pre-structural) .

123 - وتتسق الخصائص الأساسية لتطور اللسانيات مع خصائص العلم في القرن العشرين على وجه الإجمال . وتتمثل هذه الخصائص في تحقيق إنجازات ثورية في مجال المنهج العلمي وسعت آفاق التفكير العلمي إلى حد كبير . وأدى ما تحقق من تقدم عظيم ومتميز للنظرية اللسانية إلى نتائج عملية تقدم إسهامها المتميز لثقافتنا ومدنيتنا .

124 - وتختلف اللسانيات الآن عن لسانيات القرن التاسع عشر على النحو التالي : اختلاف في التنظيم المنهجي للمعرفة ، وفي تفسير للحقائق المعروفة على نحو جديد ، وفي توسيع مجال اهتماماتها توسيعاً ملحوظاً ، وفي انغماس دارسيها في تعاون يتسم بتداخل التخصصات لإنجاز مهمات واسعة النطاق ، وفي نقل إجراءات منهجية من فروع العلم الأخرى وإعادة غرسها في مجال اللغة لتحليل الظواهر اللسانية .

125 - بدأت أكثر الفترات ازدهاراً في تاريخ الدراسات اللسانية بداية فعلية - وهي فترة لا نتوقع لها نهاية حتى الآن - حين تسلم البنيويون زمام القيادة .

وامتاز أنصار اللسانيات البنيوية بوعي دائم بالتيار الصاعد الذي تسير فيه المعرفة البشرية إجمالاً . وكانوا يتطلعون إلى معالجات منهجية حديثة ، وإلى كل ما هو جديد . وقد أظهروا أكبر قدرة على اللحاق بالاتجاهات العامة التي سار فيها تطور العلم ، وعلى اتخاذ مكان لهم في مقدمة الصفوف .

ولقد غلب على اللسانيات التقليدية التأثر بالمجالات المعرفية الأخرى (كعلم النفس والمنطق وعلم الأحياء وعلم الاجتماع) . ولم تستطع أن تسهم - بمفردها - إسهاماً واضحاً في تقدم التفكير العلمي . أما البنيوية فقد أحدثت تغيراً أساسياً : فاللسانيات لا تقف الآن على مستوى واحد مع سائر المجالات المعرفية الأخرى من حيث نجاح مناهج البحث فحسب ، بل إن المجالات الأخرى تفيد من تجربتها في معظم الأحيان .

126 - لم ينشأ عن ظهور البنيوية استئصال اللسانيات التقليدية ، ذلك أن أنصارها لا يزالون حتى اليوم يقومون بأعمال لسانية مفيدة . ومع ذلك فإن المعالجة البنيوية للغة هي وحدها التي أكسبت اللسانيات في النصف الأول من القرن العشرين سمتها الخاصة والنمطية المتميزة . وكانت كل الاتجاهات الأخرى غير البنيوية - تلك التي بقيت من الماضي أو ظهرت بعد ذلك - ذات أهمية هامشية في تحديد الخط الأساسي لنموها .

127 - وفي القرن العشرين كانت الأصوات ، كما هي الحال في القرن التاسع عشر ، موضوعاً لأكثر الدراسات اتساماً بالتركيز . ولأن الأصوات هي أبسط العناصر اللسانية ، وأكثرها قابلية للبحث ، فقد تمثل فيها أكثر مجالات العمل جدارة بالاهتمام ، كما تمثلت فيها أكثر أنواع التربة ملاءمة لبناء النظريات .

128 - لا يقتصر تميز البحث النحوي النمطي في القرن العشرين على نموه نمواً يفوق التصور من حيث الكثافة ، ولكنه يتميز أيضاً بعامل حيوي آخر . ففي اللسانيات التقليدية كان النحو التاريخي والمعاصر متداخلين تداخلاً وثيقاً حتى إن الموقف اللساني الفعلي جرى تفسيره

أساساً في ضوء التغيرات الأولى التي شهدتها اللغة ، هذا على حين يؤكد النحو البنيوي وجوب الفصل الحاد بين الدرس الآني والزماني (انظر فيما يلي ف ٢٦٠) .

129 - وعلى حين كانت لسانيات القرن التاسع عشر مقصورة - تقريباً - على اللغات الهندية الأوروبية ، تبدي لسانيات القرن العشرين اهتماماً مماثلاً - إن لم يزد - بالقضايا اللسانية في اللغات الواقعة خارج الأسرة الهندية - الأوروبية . واحتفت أولى الدراسات النحوية الوصفية الحديثة (أي البنيوية) بدراسة اللغات الغريبة عن هذه الأسرة اللغوية ، حتى ظهرت في بعض الأحيان شكاوى لها ما يسوغها من أن لغة قبيلة نافاهو الهندية ، مثلاً ، وصفت على نحو أكثر دقة من أي لغة من اللغات الهندية - الأوروبية . غير أن ذلك إنما كان في المراحل المبكرة الأولى من عمر اللسانيات البنيوية . أما الآن فإن أعمالاً كالدراسات الوصفية التي أنجزها هال لبنية اللغات الفرنسية والإيطالية (١٩٤٨)[٢] . و«الموجز في بنية اللغة الإنجليزية» Outline of English Structure لتريجر وسميث Trager & Smith أصبحت من الأعمال الأساسية بالفعل[٣] . وظهر أول نحو وصفي لإحدى اللغات السلافية ، وفقاً للمناهج الحديثة ، في ١٩٥٢ على يد هوراس ج . لنت[٤] Horace G. Lunt ، أحد ممثلي مدرسة هارفارد (انظر فيما يلي ف ٢٣٦) .

130 - ونتيجة للابتعاد عن مادة اللسانيات الهندية ـ الأوروبية ، والتخلي عن المعايير النحوية التقليدية في العمل التحليلي ، واجه اللسانيون المعاصرون ضروباً من الأنماط الحقيقية للأبنية اللسانية لم يحلموا بها

آنذاك . وتمثل دراسات علم التنميط Typology اللغوي الآن فرعاً جديداً ومهماً داخل مجال النظم اللسانية .

131 - ولقد أهمل تاريخ اللغة زمناً عند معظم البنيويين . وحصل انطباع ، لدى من لا يملكون ما يكفي من المعرفة ، بأن أحد أبرز التناقضات بين لسانيات القرن التاسع عشر والعشرين يكمن في أن الأولى أبرزت أهمية النزعة التاريخية ، وقللت من شأن القيمة العلمية للدراسة الوصفية التي تعالج الحالة المعاصرة للغة ما ، على حين كان نقيض ذلك هو الصحيح في لسانيات القرن العشرين ؛ فتاريخ اللغة مهمل ، والجهود الأساسية مركزة على دراسة الوضع اللساني الآني . ولئن كان هذا صحيحاً بالنسبة لحالة لسانيات القرن التاسع عشر فإن القول بمثله في حق لسانيات القرن العشرين غير وارد ، وذلك إذا ما صرفنا النظر عن السنوات الأولى لظهور البنيوية . فلم يتراجع تاريخ اللغة إلى الموقع الخلفي إلا عند نشوب المعركة الهادفة إلى إقرار الدراسة الوصفية اللسانية الآنية . أما بعد ذلك فقد اتخذ تاريخ اللغة مكانه المناسب في إطار الهموم العلمية .

واكتسب تاريخ اللغة محتوى مختلفاً تماماً في زماننا ، ففي الماضي كان دوره يكمن في إلقاء الضوء على التقدم التطوري لجزئيات لسانية مختلفة . أما الآن فينتظر من تاريخ اللغة أن يشرح التطور اللساني في مجمله ، وهذا يعني ألا تقتصر دراسة التاريخ على جزئية واحدة ، بل تمتد إلى دراسة الأسباب التي قادت إلى إحلال نظام لغوي بعينه محل نظام آخر .

132 – إن الدراسات اللسانية المقارنة لم تهمل في زماننا ، ولكن النمط الفعلي للهموم العلمية ومناهج العمل كلها يختلف إلى حد بعيد عن جميع ما هو تقليدي . وتحتل أنماط البنى اللسانية وعلاقاتها المتبادلة مركز الاهتمام ، على حين أدخلت المعايير الرياضية في تحليل صلة القربى بين اللغات (انظر فيما يلي ف ٤٤٥) .

133 – وما زالت الدراسات التأثيلية هي أكبر الدراسات حظاً من التقليدية . وعلى أي حال فيمكن أن نلمس تقدماً ملحوظاً يرجع الفضل فيه أساساً إلى علماء الجغرافية اللغوية (انظر فيما يلي ف ١٤٧) في مقارنة منجزاتهم بمنجزات القرن الماضي ، إذ أدخلت معايير اجتماعية وثقافية وتاريخية جديدة عند إعادة بناء أصل الكلمات .

134 – عند بداية القرن العشرين كان علم اللهجات هو أكبر المجالات المعرفية حظاً من التقدم . واليوم يسير بقوة في طريق التقدم ، وهو يساير الاتجاهات الحديثة في المنهج اللساني . ويظل هذا المجال ، على أي حال ، مفتوحاً أمام قفزات كبيرة في عالم المجهول مستعيناً بتطبيق أكثر جرأة للمفاهيم البنيوية والإجراء الإحصائي .

135 – ولم يبلغ علم التراكيب وعلم الدلالة – وهما أوفر الدراسات اللسانية حظاً من التعقيد – طور النضج إلا في القرن العشرين (انظر فيما يلي ف ٤١٩ ، ٤٠٤) . وكذلك تطورت الدراسات الأسلوبية تطوراً كلياً في القرن العشرين (انظر فيما يلي ف ١٦٥) – وذلك بالإضافة إلى فروع اللسانيات مثل علم السيميولوجيا Semiology (انظر فيما يلي ف ٣٩٧) ، وعلم التزمين اللغوي Glottochronology (انظر فيما يلي ف ٤٤٥) ،

واللسانيات النفسية Psycholinguistics (انظر فيما يلي ٣٥٢) ، والنحو المنطقي Logistic Grammar (انظر فيما يلي ف ٣٩٤) ، والنحو التوليدي Generative Grammar (انظر فيما يلي ف ٤٢٢) ، واللسانيات الموازية Paralinguistics (انظر فيما يلي ف ٣٤٩) ، أو علم اللغة الحركية Kinesics (انظر فيما يلي ف ٣٥٠) التي لم يكن تصور برنامجها البحثي متاحاً في القرن التاسع عشر .

136 - بل إن الدراسات الفيلولوجية نفسها تغيرت تغيراً ملحوظاً فيما يتعلق بالموضوعات التي تناولتها ، إذ أضافت الدراسات الفيلولوجية ، إلى ذخيرتها من القضايا التقليدية ، التاريخ الثقافي للغة ، ودراسة اللغة الخاصة ببيئة اجتماعية بعينها (مثل : دراسة العامية) ، والدراسات الشاملة للأدب الشعبي .

137 - وتتسم الدراسات اللسانية في هذه المرحلة من مراحل تطورها (بداية الستينيات من القرن العشرين) بملمحين أساسيين : انتصار البنيوية على مفهوم اللغة عند النحاة المحدثين ، واتساع نطاق التعاون مع المجالات المعرفية الأخرى .

ويتجلى انتصار المقاربة البنيوية للغة أوضح ما يكون في حقيقة واقعة ؛ إذ أصبح من النادر أن يوجد باحث واحد ، من الباحثين الذين اكتسبت أعمالهم أهمية خاصة في مجال تطور النظرية اللسانية ، لا يعتنق المسلمة الأساسية التي قالت بها البنيوية ، وهي الاعتقاد بأن اللغة نظام تواصلي ، ينبغي على الباحثين أن يفحصوا أبنيته .

وفي الأماكن التي تطورت فيها البنيوية منذ بداية أمرها دون أن تواجه

بالعوائق (مثل الولايات المتحدة الأمريكية) لا يوجد إلا عدد قليل من اللسانيين الذين لم يألفوا المبادئ الأساسية في المقاربة البنيوية للغة . أما الأماكن التي بدأ فيها انتشار البنيوية في وقت متأخر جداً (كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي) فلا يوجد ممثلون للنحو التقليدي اليوم إلا بين الجيل القديم ، إذ تقبل كل الباحثين بحماس إنجازات المنهج البنيوي . وفي الوقت الحالي تتخذ المناهج البنيوية طريقها حثيثاً إلى تلك المراكز التي كانت إلى عهد قريب ، ولسبب ما ، واقعة خارج التيار الأساسي لتطور اللسانيات .

والواقع أنه يوجد عدد من اللسانيين المعاصرين ممن لا ينتمون إلى أية مدرسة بعينها ؛ فقد تلقوا العلم وفقاً للأسس التي قامت عليها اللسانيات التقليدية ، وعملوا في المجالات التقليدية للقضايا اللسانية ، ولكنهم تبنوا الأفكار البنيوية الأساسية للغة (مثل أفانيسوف Avanesov وشيفيلوف Shevelov في علم اللغات السلافية ، وكوريلوفيتش Kurylowicz في الدراسات الهندية - الأوروبية والنظرية اللسانية ، وتسنيير Tesnière ودي جروت de Groot في مجال البحث البنيوي ، إلخ) .

والأجيال التي تربت علمياً على نحو يتسق مع روح البحث البنيوي تعرض الآن عن معالجة القضايا اللسانية التقليدية . ويظهر اهتمامها الأكبر في تلك المجالات البحثية التي تقدم أفضل الفرص للتعاون مع المجالات المعرفية الأخرى .

ولم يعد التعاون المكثف الذي يقوم به الباحثون اللسانيون مع الباحثين في المجالات المعرفية الأخرى موضوعاً لنقد واسع النطاق .

ولدينا الآن عدد من الدراسات ، التي تخاطب جمهورا لسانياً ، ولا يعتمد وصف الظواهر اللسانية فيها وتصنيفها على المصطلحات اللسانية فحسب ، بل يتم الوصف والتصنيف وفقاً لمعايير تلائم فروعاً أخرى من الدرس العلمي[٥] . وينشر الباحثون اللسانيون ، الذين يعملون مع ممثلي المجالات المعرفية الأخرى ، كتباً في موضوعات علمية اشتركوا في دراستها[٦] . كما يصدرون - أيضاً - دوريات علمية اجتذبت المشاركين فيها من فروع بحثية[٧] مختلفة كل الاختلاف . والأمل معقود على نمو هذا النوع من النشاط في المستقبل .

إحـــالات

138 - أعطي ف . أ . زفيجينسيف V. A. Zvegincev تقريراً واضحاً ومختصراً عن الحقائق الأساسية المتعلقة ببعض الاتجاهات الرئيسة في لسانيات القرن العشرين مع مقتطفات من أصدق الأعمال تمثيلاً للمدارس المختلفة في كتابه :

Istorija jazykoznanija XIX i XX vekov v očerkax i izvlečenijax, II (Moscow, 1960).

- وتستعرض المجموعة المسماة «**الاتجاهات في اللسانيات الأوروبية والأمـــريكيـــة ١٩٣٠ - ١٩٦٠**» Trends in European and American Linguistics 1930 - 1960 (Utrecht - Antwerp, 1961) الاتجـــاهـات اللسانية الأساسية في الولايات المتحدة الأمريكية . وفيما يتعلق بالمدارس الأوروبية توجد تقارير عن عمل المدرسة الجلوسماتيكية Glossematicians واللسانيين الفرنسيين (إلى حد ما) ومدرسة جنيف (مقتصرة على معالجة علاقتها بما عرض لمبادئ دي سوسير من تطور) . كما قدمت وصفاً لحاضر الدراسات الهندية الأوروبية ، وبعض المعلومات عن مستوى التطور الحالي في اللسانيات الإيطالية .

أما أدق المعلومات عن الذخيرة الواسعة من القضايا اللسانية المهمة التي عالجتها لسانيات القرن العشرين فينبغي التماسها في تقارير المؤتمرات الدولية : مثل المؤتمر الدولي الرابع الذي عقد في كوبنهاجن سنة ١٩٣٦ (Actes du IV Congrès International des Linguistes, Copenhagen, 1938),

والمؤتمر الدولي السادس الذي عقد في باريس ١٩٤٨

(Actes du IV Congrès International des Linguistes, Paris, 1949).

والمؤتمر الدولي السابع الذي عقد في لندن عام ١٩٥٢

(Seventh International Congress of Linguists, Preliminary Reports, London, 1952).

والمؤتمر الدولي الثامن الذي عقد في أوسلو

(Proceedings of the Eighth International Congress of Linguists, Oslo, 1958). Reports,

الحــواشي

(١) انظر : ج . ج . وارنوك G. J. Warnock «التحليل والتخيل» الثورة في الفلسفة "Analysis and Imagination". The Revolution in Philosophy (London. 1956), p. 121.

(٢) روبرت أ . هال ، ج ر . .Robert A. Hall, Jr «اللغة الفرنسية» "French" ، رسائل اللغة Language Monographs, No. 24 (1948) ؛ «النحـو الوصـفي للإيطاليـة» "Descriptive Italian Grammar". Cornell Romance Studies. Vol. 2 (1948).

(٣) ج . ل . تريجر G. L. Trager وهـ . ل . سميث ج ر . .H. L. Smith Jr «الموجز في بنية اللغة الإنجليزية» "An Outline of English Structure", SIL, Occasional Papers, No. 3 (Norman. Okla., 1951).

(٤) هوراس ج . لنت Horace G. Lunt ، «نحو اللغة المقدونية الأدبية» Grammar of the Macedonian Literary Language (Skopje. 1952).

(٥) كتاب ج . جرينبرج J. Greenberg ، «مقالات في اللسانيات» Essays in Linguistics (Chicago, 1957)

هو كـتاب نمطي من هذه الوجـهة . ونجـد فيـه أفكاراً أنثـروبولوجيـة ورياضـية بالإضافة إلى المفاهيم اللسانية .

(٦) مثال ذلك كتاب «الدقائق الخمس الأولى . عينة تمثل تحليلاً مجهرياً للمقابلة» The First Five Minutes. A Sample of Microscopic Interivew Analysis (New York. 1960)

الذي نشره الباحث اللساني الأمريكي شارلز ف . هوكيت Charles F. Hockett بالتعـاون مع ر . ف . بيتـينجـر R. F. Pittenger وج . ج . دانهي J. J. Danhy ، وهما متخصصـان في قضايا التحليل النفسـي . ويعالج الكتاب تشخيص حالة

نفسية معينة ، تم التوصل إليه عن طريق دراسة السلوك الكلامي للشخص الخاضع للتحليل .

(٧) في الولايات المتحدة بدأ حديثاً ظهور دورية علمية هي «مجلة البحث السمعي» The Journal of Auditory Research ، ومن بين المشاركين فيها متخصصون في الصوتيات الأكوستيكية Acoustics ، وعلم الأعصاب Neurology ، واللسانيات Linguistics ، والتواصل Communication ، وعلم الموسيقى Musicology ، وعلم النفس Psychology .

(١٤)

اللسانيات غير البنيوية

الجغرافيا اللغوية – تأسيس المناهج

139 – قامت الجغرافيا اللغوية على أساس من البحث في اللهجات، أي على تراكم المعلومات المتعلقة بالخصائص اللهجية للغة معينة، وعلى الانتشار الجغرافي لخصائص لغوية مفردة. وكما خضعت الظواهر اللهجية للمنهج الوصفي، كذلك جرت دراستها في ضوء التطور التاريخي في آن معاً.

140 – وقد قدم البحث اللغوي الذي أجري بهذه الطريقة مادة لشروح التغيرات اللغوية تتسم بالجدة وبمزيد من الدقة. وأثرت المعلومات المتجمعة معارفنا عن تاريخ الثقافة، وتمخض النمط المستخدم في البحث الميداني في جملته عن قضايا منهجية متنوعة، وحفز اللسانيين إلى إخلاص أنفسهم لمجالات من الدراسة لم تكن مطروقة حتى ذلك الحين.

141 – ولم تبدأ الجغرافيا اللغوية في الوصول إلى تمام نضجها، والتأثير في تشكيل المفاهيم اللسانية إلا مع بزوغ فجر القرن العشرين، على الرغم من أن جذورها امتدت إلى القرن التاسع عشر. لقد وضعت أصول الجغرافيا اللغوية تقريباً عام ١٨٧٠، عندما اهتم النحاة المحدثون

باللهجات ؛ لاقتناعهم بأن الظواهر اللهجية يمكن أن تقدم أفضل برهان على صدق نظرياتهم المتعلقة باطراد القوانين اللسانية (انظر فيما سبق ف ١٠٦) . غير أن هذه البحوث ، بدلاً من أن تقدم الدليل المنشود ، واجهت جمهور المثقفين بدليل يثبت أن اللهجات - شأنها في ذلك شأن اللغة الأدبية - احتوت على عدد كبير من ظواهر الشذوذ .

142 - انبثقت الإنجازات النظرية للجغرافيا اللغوية انبثاقاً مباشراً من العمل الميداني . والواقع أن هذه المدرسة ازدهرت من خلال مسار العمل في إعداد أطالس اللهجات . ومنذ البداية كان علماء اللهجات الفرنسيون رواداً في هذا العمل ، ثم أسهم من بعد ذلك باحثون إيطاليون ، من أنصار المدرسة اللسانية الحديثة ، بتقديم نتائج مهمة (وقد شاعت في علم اللهجات تسمية هذا الاتجاه باسم اللسانيات المساحية Areal Linguistics ، انظر فيما يلي ف ١٧٦) .

143 - وشهدت نهاية القرن التاسع عشر بداية حقبة من العمل المثمر في أطالس اللهجات الخاصة بلغات أوروبية متفرقة ، ولا سيما من اللغات الرومانسية والجرمانية . وكان أول الأطالس الكبيرة ، وهو «الأطلس اللساني الألماني» Deutscher Sprachatlas (ويرجع تاريخ نشره إلى ١٨٧٦) من عمل عالم اللسانيات الألماني جورج فنكر George Wenker . ويكتسب هذا العمل أهمية من كونه أول إنجاز جاد ، على الرغم من أنه لا يخلو من مظاهر ضعف منهجية[١] .

144 - وتشكلت الأفكار الأساسية لدى النصير الشهير للجغرافية اللغوية جول جييرون Jules Gilliéron (١٨٥٤ - ١٩٢٦)، تحت تأثير المدرسة اللسانية الفرنسية[٢]. وظهر عمله بعنوان «الأطلس اللساني لفرنسا» L'Atlas Linguistique de France (في أجزاء، ما بين عامي ١٩٠٢ و١٩١٢) على أساس من مادة جمعت ما بين عامي ١٨٩٧ و١٩٠١[٣] ويعد هذا الأطلس الآن عملاً أساسياً في علم اللهجات.

145 - وقد جاء من بعد جييرون علماء آخرون في اللغات الرومانسية ساروا في طريقة (لويس جوشات Louis Gauchat، ج. جينجاك J. Jeanjaquet، إ. تابوليه E. Tappolet وآخرون). وقدم باحثان سويسريان مساهمات قيمة، وهما ك. يابرج K. Jaberg و ج. يود J. Jud إسهامات مهمة؛ فقد أنجزا «أطلس اللغة والأشياء في الإيطالية ولغات جنوبي سويسرا» Sprach und Sachatlas Italiens und der Suedschweis (ما بين عامي ١٩٢٥ و١٩٤٠). حيث درسا الكلام القروي والحضري كليهما. وكان منهج البحث اللهجي الذي طوراه مؤثراً ومثمراً إلى حد كبير.

146 - وقد ظهرت الإنجازات الأساسية للجغرافيا اللغوية في مجال الدراسات المعجمية. وعند فحص الكلمات المستخدمة وانتشارها في الخطاب العام، صمم علماء الجغرافية اللغوية على هدف إعادة بناء تاريخ تلك الكلمات، واضعين نصب أعينهم دلالاتها وتصريفها ووظيفتها البنيوية.

147 - وقد جرى إرساء تقليد في تفسير تاريخ الكلمات بمساعدة ما يصل بالعوامل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية من معارف. كذلك جرت

دراسة علم النفس القومي ، وفحصت الوثائق اللسانية الخاصة بالماضي والحاضر فحصاً دقيقاً . ودافع أنصار الجغرافيا اللغوية في الواقع عن أهمية معرفة كل الظواهر المتنوعة التي تعتمد عليها حياة اللغة . وظل هذا النهج في معالجة الحقائق إنجازاً بارزاً في علم اللهجات الحديث .

وكان دارسو اللغات الرومانسية أول من تبنى هذا الاتجاه المنهجي . فلقد ألقيت - على سبيل المثال - أضواء جديدة على الأحوال التي سبقت تحول غربي أوروبا إلى الرومانسية في القرون الأولى من هذا العصر (وبذلك حدث التمييز بين اللاتينية المسيحية واللاتينية الوثنية ، بالإضافة إلى التمييز الذي ثبت بالفعل بين اللاتينية الدارجة واللاتينية الفصحى . وكان هذا مهماً في تفسير ما حدث للثروة المعجمية الفرنسية من تطور .

148 - وهناك مقولات معينة أكدها الجغرافيون اللسانيون تعد الآن بدهيات في علم اللهجات الحديث ، ومن ذلك ما يلي :

أ - توجد الاختلافات اللهجية غالباً في مجالي المعجم والصوتيات ، وتقل إلى حد كبير في مجال الخصائص الصرفية والنحوية .

ب - للعوامل التاريخية الاجتماعية أهمية حاسمة في التباين اللغوي (في ظل النظام الإقطاعي ازداد عدد اللهجات ، وكان هذا نتيجة مباشرة لانعزال المناطق المتفرقة المستقلة ، أما في عصر المركزية السياسية فقد قلّت درجة التباين) .

جـ - وللظروف الجغرافية أيضاً تأثير حيوي على التباين اللغوي . فالمنطقة الجبلية هي منطقة لغوية هامشية إذا ما قورنت بمنطقة من مناطق السهول : فعلى حين يمكن للمبتكرات اللغوية أن تنتشر انتشاراً واسعاً في مناطق السهول بسبب يسر الاتصالات ، يبقى كلام المناطق الجبلية منعزلاً - بسبب موقعها - عن تيارات التطور الرئيسية المنتشرة في السهول .

د - إن اختفاء اللهجات ، في وقتنا الحالي ، قد عجل به ما يبذله الفلاحون من جهود لتبني النماذج الثقافية الشائعة لدى جماهير المدينة .

149 - ومن أهم ما قدمته الجغرافيا اللسانية من إسهامات لنظرية اللغة تفسيراتها للقوانين الأساسية التي تحكم التطور المعجمي ويرجع الفضل الأساسي في هذا المجال إلى جييرون Gilliéron ، فهو الذي كشف عن عاملين يسببان الابتكارات التي تحدث في مجال الثروة اللفظية ، وهما تضارب المشترك اللفظي ، ومظاهر عدم التناسب في بنية الكلمات .

150 - ويعني مصطلح «تضارب المشترك اللفظي» "Homonymical Conflict" أن يكون لدينا كلمتان من المشترك ، لكل منهما معنى يختلف عن معنى الأخرى باختلاف السياق ، ثم يعرض لاستعمالهما التغيير فتستخدمان في سياق واحد ؛ ومن ثم يتعذر فهم المعنى على نحو دقيق ، وحينئذ تتولى كلمة جديدة مهمة التعبير عن أحد المعنيين ، وتختفي بذلك حالة الاشتراك اللفظي (٤) .

151 - وتتغير البنية الصوتية للكلمات بمرور الزمن ؛ إذ يحدث أن تكون لدينا كلمة هي في الأصل مناسبة كل المناسبة لوظيفتها ، ثم تصير هذه الكلمة بالغة الطول أو بالغة القصر ، أو أن تكتسب الكلمة عنصراً صوتياً ما يثير تداعيات تختلف عن المتوقع منها . وفي مثل هذه الحالات تحل محلها كلمة جديدة تكون أكثر ملاءمة(٥) .

152 - وقد قدمت أعمال چيرون أكبر إسهام في مجال مراجعة العقيدة العلمية القائلة بالاطراد المطلق للقوانين الصوتية . وقد تجلت أوفر مناقشاته حظاً من الإقناع في دراسته التي عنوانها «إخفاق الصوتيات التأثيلية» La faillite de l'étymologie phonétique (Neuville, 1919)

إحـــالات

153 - بالإضـافـة إلى كـتـب جيـيـرون التي سـبق ذكـرها انظر أيضـاً دراسات :

- يابرج Jaberg : «الجغرافيا اللسانية» (Sprachgeographie (Aarau, 1908

- **المظاهر الجغرافية للغة**

Aspects géographiques du langage (Paris, 1936)

- و «**الأطلس اللساني أداة للبحث**»

Der Sprachatlas als Forschungsinstrument.

(بالاشتراك مع يود Jud, Halle, 1928) .

- وممن ألف في الجغرافيا اللسانية : أ . دوزا A. Dauzat «**الجغرافيا اللسانية**» (La géographie linguistique (Paris, 1922 .

- إ . جاميلشيج E. Gamillscheg : «**الجغرافيا اللسانية**»

Die Sprachgeographie (Bielefeld, 1928)

ج . بوتيجليوني G. Bottiglioni : «**الجغرافيا اللسانية**»

"Linguistic Geography"

«**حاضر اللسانيات**»

"Linguistics Today" (New York, 1954) pp. 255 - 267.

- وأجـمع الأعـمال في مجـال تاريخ دراسـة اللهجـات هو كـتاب سيفر

بوب Sever Pop : «علم اللهجات : لمحة تاريخية ومناهج في البحث اللساني»

"La dialectologie: Aperçu historique et méthodes d'enquêtes linguistique" (Louvain, 1950).

(في مجلدين) .

ويمكن التماس سرد بالمراجع التي تناولت العقود الأولى من نشأة الجغرافيا اللسانية في دراسة ج . شرينين J. Schrijnen «دراسة في بيليوجرافية اللسانيات الجغرافية العامة»

"Essai de bibliographie de géographie linguistique générale" (Nimwegen, 1933).

وقد نشر ماريو روكس Mario Roques مسرداً بمؤلفات جيرون : «بيليوجرافية لأعمال جول جيرون»

Bibliographie des travaux de Jules Gilliéron (Paris, 1930).

الحـــواشي

(١) عهد فنكر باستبانته الخاصة باللهجات إلى مدرسين بمدارس القرى غير مدربين، ومن ثم لم تكن النتائج دائماً موضع الثقة.

(٢) تتلمذ جييرون على عدد من اللسانيين الفرنسيين البارزين في السبعينيات والثمانينيات، هم: جاستون باريس Gaston Paris وأرسين دارمستيتر Arsène Darmesteter ولويس هافيه Louis Havet وبول ماير Paul Meyer.
وكان لجاستون باريس، بصفة خاصة، تأثير كبير على تطور التكوين اللساني عند جيرون.

(٣) وضع جيرون استبانة تتكون من ألفي سؤال، واقتصر على باحث ميداني واحد، ولكنه باحث متميز هو إ. إدمونت E. Edmont.

(٤) مثال: اعتادت لهجة الجاسكون أن تستخدم الكلمة gat لمعنيين: ١- قطة (من Cattus)، ٢ - ديك (من Gattus). وفي جملة مثل (le chien a étranglé le gat) لا يتضح ما إذا كان المتحدث قصد أن الكلب خنق القطة أم الديك. وقد أزيل هذا التضارب بإدخال الكلمة Vicaire للديك؛ حتى يستعمل الاسم Gat للدلالة على «القطة». (انظر جيرون روكس «دراسات في الجغرافيا اللسانية» "Études de géographie linguistique. XII"، كلمات متضاربة Mots en collision، أ - الديك والقطة، «مجلة الفيلولوجيا الفرنسية»

"Revue de philologie française. 4. 1910. pp. 278 - 288"

(٥) بين جيرون أن الكلمة الأصلية للنحلة "Bee" وهي Apis حل محلها كلمات أخرى في تلك اللهجات الفرنسية التي أدى التطور الصوتي فيها إلى اختصار الشكل "Apis" إلى صوت مفرد هو é. ويعد كتاب: «علم أنساب الكلمات التي تدل على النحلة بحسب الأطلسي اللساني في فرنسا»

Généalogie des mots qui désignent l'abeille, d'après l'Atlas linguistique de France (Paris, 1918).

- حيث يناقش جيرون هذه المسألة - أحد الأعمال الأساسية في الجغرافيا اللسانية.

علم اللهجات الحديث

154 - لم تهمل البنيوية دراسات اللهجات ؛ ذلك أن الأجيال اللاحقة من البنيويّين لم تزد على أن عززت ذلك الاهتمام الذي أبداه الممثلون التقليديون الأوائل للبنيوية بإمكان تطبيق المنهج الجديد في مجال اللهجات[٦] . وعندنا الآن عدد متزايد من الدراسات الوصفية لنظم اللهجات ، مما يعني أن الخصائص اللهجية لا يجري عرضها على أنها مجرد تجميع للتفاصيل ، وإنما يتم الكشف عن تلك الأسس التي تجعل من العلاقات القائمة بين تفاصيل بعينها نسقاً ذا صيغة محددة . وعندئذ تقارن الأنساق المتناظرة في اللهجات المختلفة ، مما يلقي ضوءاً جديداً على ظواهر التماثل والتنوع بين اللهجات ، ويكشف آفاقاً جديدة للنظرية اللسانية . وإبان الحقبة البنيوية في اللهجات استخدمت مصطلحات ومفاهيم جديدة ، مثل «النظام الثنائي» (وهو عرض بياني لاثنين من الأنساق تبرز به أوجه التماثل والاختلاف) ، واللهجات الفردية Idiolect (وتعني جميع الخصائص الكلامية المميزة لفرد ما ، بما في ذلك جميع الفروق الشخصية الدقيقة) .

155 - في ظل الجغرافيا اللسانية تطور البحث في مجال «التماس اللغوي»[٧] Languages in Contact ، ويعني مشكلة النظام اللغوي في مجتمع ثنائي اللغة Bilingual Community (مجتمع يتحدث فيه بلغتين في آن) . وقد سهّل التأثير المتبادل للبنى اللغوية المختلفة ، والتي فرض

عليها العيش في اتصال مباشر بعضها مع بعض ، الخروج بنتائج لسانية عامة ذات أهمية بالغة . ولهذا أبدى الباحثون اللسانيون المحدثون اهتماماً كبيراً بهذه القضايا . ووجد المشتغلون باللسانيات النفسية Psycholinguists بصفة خاصة (انظر فيما يلي ف ٣٥٢) ، وهم الذين كانوا مهتمين اهتماماً خاصاً بقضية عملية التواصل ، أرضية مشتركة في هذا المجال مع علماء اللهجات ، ونقلوا لهم تجربتهم الخاصة في دراسة الظواهر اللسانية(٨) .

156 - وقد كشف علماء اللهجات الأمريكيون (هانزكيوراث Hans Kurath ، ورافن ماكداقيد Raven McDavid ، ووليم لابوف William Labov) عن اتجاه بحثي مهم بتركيز اهتمامهم على التنوعات التي يكون ارتباطها بالطبقات الاجتماعية أوثق من ارتباطها بالجغرافيا . وتطبق الآن الطرق الرياضية أو الإحصاء بحماس متزايد في توصيف اللهجات وتصنيفها . وتعد الاحتمالات التي تكشفت عن طريق التوسع في استخدام الإجراءات الرياضية في علم اللهجات ، وكذلك قضية القيمة الحقيقية للمعايير البنيوية لتصنيف اللهجات ، ذات أهمية موضوعية .

وقد استنبطت مدرسة ف . دوروسزيفسكي البولندية W.Doroszewski منهجاً لبحث ما يسمى «بخطوط التوزيع» Quantitative Isoglosses . وتسجل خطوط التوزيع هذه شيوع الظواهر اللسانية التي تكون موضوعاً للتنوع داخل إطار الجماعة اللغوية نفسها .

157 - يمكن العثور على مدخل للقضايا الخاصة بالمنهج في علم

إحـــالات

اللهجات الحديث في المؤلفات الآتية : أوريل فاينريش Uriel Weinreich «هل علم اللهجات البنيوي ممكن؟» .

"Is a Structural Dialectology Possible?", Word, to (1954), pp. 388 - 400.

- «جين فـوركـيـه Jean Fourquet : «اللسـانيـات البنيـوية وعلـم اللهجات» ، «أسئلة وبحوث في مجال فقه اللغات الجرمانية»

"Linguistique structurale et dialetologie", Fragen und Forschungen in Bereich und im Kreis der germanische Philologie (Berlin, Deutsche Akademie der Wissenschaften, 1956).

- ڤيتولد دوروسزيڤسكي Witold Doroszewski : «اللسانيات البنيوية ودراسات الجغرافيا اللهجية»

Le Structuralisme Linguistique et les études de géographie dialectale" 8th Proceedings, pp. 540 - 564.

- إدوارد ستانكيڤتش Edward Stankiewicz : «حول الانفصال والاتصال في علم اللهجات البنيوي

"On Discreteness and Continuity in Structural Dialectology", Word, 13 (1957), pp. 44 - 59.

- پاڤل إيڤيتش Pavle Ivić : «في بنية التنوعات اللهجية»

"On the Structure of Dialectal Differentiation", Word, 18 (1962), pp. 33 - 53.

- س . ف . فوجيلين C. F. Voegelin ، و زيليج س . هاريس Zellig S. Harris : **«مناهج لتحديد الوضوح بين اللهجات في اللغة الطبيعية»** "Methods for Determining Intelligibility Among Dialects of Natural Language", Proceedings of the American Philosophical Society, 95 (1951), pp. 322 - 329.

- ج . هـ . جرينبرج J. H. Greenberg : **«قياس التنوع اللغوي»**

"The Measurement of Linguistic Diversity", Lg, 32 (1956), pp. 109 - 115.

في قضايا **«التماس اللغوي»** انظر ، بالإضافة إلى مؤلفات ڤاينريش وهاجن السالف ذكرها ، الدراسات التي نشرها هذان الباحثان في 8th Proceedings :

- أوريل ڤاينريش Uriel Weinreich : **«حدود البحث في الدراسات المتعلقة بثنائية اللغة»** (مع ببليوجرافيا ممتازة) .

"Research Foritiers in Bilingual Studies" (pp. 786 - 797).

- إينار هوجن Einar Haugen : **«التماس اللغوي»**

"Language Contact" pp. 771 - 785.

كان أول مسح مختصر استخدم المعايير البنيوية للهجات في إحدى اللغات هو "Nařeči česká" الذي قام به ب . هاڤرناك B. Havránek في :

Československá vlastivěda, III (Prague, 1934).

- وقدم أ . ف . إيزاتشنكو A. V. Isačenko ، نموذجاً لوصف بنيوي لإحدى اللهجات في :

Narečje vasi sele na Rožu (Ljubljana, 1939).

- وأول دراسة لهجية مفصلة ، وضعت على أسس بنيوية ، لإحدى اللغات هي كتاب پاڤل إيڤيتش Pavle Ivič عن اللهجات الصربوكرواتية بعنوان **«اللهجات الصربوكرواتية»**

Die Serbokroatischen Dialekte, I. Band (The Hague, 1958).

الحـــواشي

(٦) مـثـال ذلك ف . س . تروبتـسكوي N. S. Trubetzkoy الذي أعلن عن جـدوى إدخال المعايير الصوتية في علم اللهجات ، في دراسته عن «الصوتيات والجغرافيا اللسـانية»

"Phonologie et géographie linguistique", TCLP, IV (1931), pp. 228 - 234.

(٧) شاعت فكرة «التماسّ اللغوي» ، وكذلك المصطلح نفسه في الدوائر العلمية على يد اللساني الأمـريكي أوريل فاينريش Uriel Weinreich في كتابه «التماس اللغوي» Languages in Contact (New York, 1953) وعــالج إينر هوجن Einar Haugen القـضايا نفـسها . انظر كتـابه «اللغة النرويجية في أمريكا ، دراسة في السلوك الازدواجي للغة»

The Norwegian Language in America, A study in Bilingual Behavior (Philadelphia, 1953).

(٨) ومن ثم تبنى علمـاء اللهـجات اليـوم بـدرجة متـزايدة مـصطلحـات من نـظرية المـعلومات (انظر فيـما يلي ف ٤٤٩) مثل البـذرة الشـفـرة Code Corn (ذلك المصطلح الذي يشيع في اللغة ، ولهذا يكون على درجة واحدة من الوضوح عند جميع المتكلمين) ، أو الشفرة الضوضائية Code Noise (وهي التي لا تشكل نمطاً لسانياً عاماً ، حتى إنه ليظل غريباً وغير واضح بالنسبة لبعض المتكلمين) .

المدرسة اللسانية الفرنسية

الدراسات النفسية الفسيولوجية ، والنفسية ، والاجتماعية للغة

158 - تطورت تقاليد البحث الصوتي في فرنسا منذ زمن روسيلو Rousselot (انظر فيما يلي ف ٢١٧) . كما ظهر أيضاً منذ زمن ميشيل بريال Michel Bréal (انظر فيما يلي ف ٤٠٤) اهتمام قوي بالقضايا المتعلقة بدلالة الكلمة ، تزايد خلال الحقبة التي بلغت فيها الجغرافيا اللسانية ذروتها ، وقوى التفاتها الدءوب إلى دراسة تاريخ الكلمات (انظر فيما سبق ف ١٤٦) . وبنهاية القرن التاسع عشر كان ثمة ميل ثابت إلى ربط الحقائق اللغوية بالظواهر الاجتماعية ، بفضل النفوذ المؤثر لفرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (انظر فيما يلي ف ٢٤٢) ؛ فقد حاضر دي سوسير في باريس من (١٨٨١ - ١٨٩١) . وترك كل هذه المؤثرات تتفاعل لتكون سمة مميزة على تطور اللسانيات الفرنسية في القرن العشرين .

159 - عاشت الدراسات النفسية الفسيولوجية Psycho-physiological Studies للغة (أي اختبار المماثلة والمغايرة تحت تأثير العوامل النفسية والفسيولوجية التي تتحكم فيها) الحقبة التقليدية لها في نهاية القرن التاسع عشر ، حين نشر موريس جرامونت Maurice Grammont (عام ١٨٩٥) دراسته عن «اختلاف الصوامت في اللغات الهندية - الأوروبية ، وفي اللغات الرومانسية» La dissimilation consonantique dans les langues indo-européenes et dans les langues romanes.

وقد التمس جرامونت أسباب العمليات الصوتية - مثل المماثلة أو

المغايرة – في تأثير الظروف النفسية والفسيولوجية . وما زال هذا التقليد العلمي الخاص بالبحث النفسي الفسيولوجي موجوداً في فرنسا (وقد تأثر في الوقت الحالي بالتطور السريع الذي شهدته الأبحاث المماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية ، في إطار الدراسات النفسية اللسانية ؛ انظر فيما يلي ف ٣٥٢) .

160 – وأدت المعالجة النفسية الفسيولوجية للغة إلى صرف مزيد من الاهتمام إلى لغة الأطفال (أي مسألة أولية الكلام) . وكان أول الباحثين الذين ضموا الظواهر المعقدة الخاصة بالازدواجية اللغوية إلى دراسة هذه القضايا هما الفرنسي رونجا (1913) Ronjat واليوغسلافي پاڤلوڤيتش Pavlović (1920) .

161 – ويتضح التفسير النفسي للحقائق اللغوية بصفة خاصة في مؤلفات ج . فندريس J. Vendryes ، أحد الأعلام في تلك المدرسة . ويطلق كثير من الباحثين على الاتجاه اللساني الخاص بفندريس مصطلح اللسانيات التأثيرية Affective ؛ فلقد عالج اللغة مقتنعاً بأن كل حدث كلامي يحمل أثراً انفعالياً . إن الحدث الكلامي ليس مجرد تقرير ، ولكنه تعبير خاص بانفعال معين ، ذلك أنه ما من شخص يعطي المعلومة ذاتها مرتين بطريقة واحدة أبداً (وهنا يتفق فندريس مع بالي Bally ، (انظر فيما يلي ف ٢٦٥) ، ومع أنصار المثالية الجمالية Aesthetic Idealism ، (انظر فيما يلي ف ١٧٢) .

162 – وترتكز الدراسة الاجتماعية للغة على توطيد الارتباط بين الظواهر اللغوية والاجتماعية . وقد كان انطوان ميليه Antoine Meillet

(1866 - 1936) أحد الأعلام المناصرين للسانيات الاجتماعية "Sociological Linguistics"، مع تخصصه في الدراسات الهندية - الأوروبية المقارنة . وقد أسهم إسهاماً كبيراً لاستنباط نظرية اجتماعية في دراسة اللغة، تؤمن بالأفكار الأساسية التالية :

ليست اللغة ظاهرة بسيطة : إذ إنها بنية مركبة من طبقات (أساليب) مختلفة، تكتسب شكلها من بيئة اجتماعية معينة (لغة التجار والصناع، والشارع والمكتب والجيش، إلخ) . ولا تتأثر عملية التشكيل بالمستوى الثقافي وطريقة الحياة في محيط اجتماعي خاص فحسب، ولكن التأثير الأكبر هو للنشاط الاقتصادي والتقني للبشر .

ويقوم «الاقتراض الاجتماعي» ("Emprunts Sociaux") بالدور الأساسي في تغيير معنى الكلمات : فالكلمات التي تنتقل من طبقة اجتماعية إلى أخرى تكتسب ظلالاً جديدة للمعنى - فالكلمة العامة يمكن أن تتخصص، والعكس صحيح . وينشأ التطور الدلالي من تطبيق قاعدتين متجادلتين : التعميم Generalization والتخصيص Specialization .

163 - وقد أثرى تدقيق النظرية الاجتماعية الدراسات الدلالية (التي أولاها الفرنسيون اهتماماً فعالاً منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم، انظر فيما يلي ف ٤٠٤) . وبدأ الباحثون ينظرون إلى تاريخ اللغة في ضوء جديد(٩) . وعلى أي حال فقد كان لهذه المفاهيم أثرها اللافت للنظر في النهضة التي شهدتها الدراسة الأسلوبية للغة .

إحــالات

164 – انظر المؤلفات الأساسية التي كتبها أ . ميليه A. Meillet ، «اللسانيات التاريخية واللسانيات العامة

Linguistique historique et linguistique générale vol. I (Paris, 1921). Vol. II (Paris, 1938).

و م . جرامونت M. Grammont : **«بحث في الصوتيات»**

"Traité de phonétique" (Paris, 1933, 1956)

وانظر أيضاً ج . فندريس J. Vendryes : **«اللغة»**

"Le Language", (Paris, 1950; First ed. 1922).

– ف . برونوت F. Brunot : **«الفكر واللسان»**

"La pensé et la langue", (Paris, 1936; First ed. 1922).

– هـ . ديلاكروا H. Delacroix : **«اللغة والفكر»**

"Le language et la pensée", (Paris, 1924).

– م . كوهين M. Cohen : **«نحو دراسة اجتماعية للغة»**

"Pour une sociologie du langage", (Paris, 1956).

– ج . ماتوري G. Matoré : **«منهج للدراسة المعجمية ، المجال الفرنسي»**

"La méthode en lexicologie, Domaine Français:, (Paris, 1953).

قدم ألف سومرفلت Alf Sommerfelt : استقراء لبحوث المدرسة الفرنسية (في مجال علم النفس الفسيولوجي Psychophysiology خاصة) في «المدرسة الفرنسية للسانيات»

"The French School of Linguistics", Trends, pp. 283 - 293.

الحـــواشي

(٩) يشتمل كتاب ف . برونوت F. Brunot تاريخ اللغة الفرنسية من أصولها حتى عام ١٩٠٠ "Histoire de la langue française des origines à 1990" (Paris, 1905) على بيان ظاهر لهذا الاتجاه ، وفي الكتاب وصف حقائق من ماضي اللغة بهدف إلقاء الضوء على المراحل التي تعكس المناخ الثقافي للعصور السابقة .

البحـــث الأســـلوبي

165 - يمكـن للبـحث الأسـلوبي أن يكون ذا صـلة بظواهر مـتنوعـة . فعلم الأسلوب التقليدي - على سـبيل المثـال - يختص بفحص الوسائل اللغوية التي يعبر بها المرء عن شخصيته ومزاجه وقدراته ونظرته للحياة (وتحليل الأساوب بهذا المعنى عمل يقوم به أنصار النظرية التقليدية في دراسة الأدب ، ويحلل بعض اللسانيين بهذه الطريقة نفسها ولا سيما أنصار المثالية الجمالية ، (انظر فيما يلي ف ١٧٣) . ويمكن لعلم الأسلوب أيضاً أن يكون «اجتماعياً» إذا تركز الاهتمام على الأشكال اللغوية التي يتجلى فيها نمط الثقافة في المجتمع . ولقد كان ممثلو المدرسة اللسانية الفرنسية أكثر نشـاطاً في هذا النوع من الدراسـة . والواقع أن فـهم علم الأسلوب بهـذا المعنى ، على وجه الحصر ، يمكن أن يقال معه إن اللسانيات الاجتماعية الفرنسية هي أسلوبية في جوهرها .

166 - ومع انتشار أفكار بالي Bally (انظر فيما يلي ف ٢٦٤) ، بدأ مؤلفون بأعيانهم ممن ينتمون إلى المدرسة الفرنسية في إيثار مفهوم لعلم الأسلوب أكثر اتساعاً ، ويوحي من التمييز التقليدي الذي أرساه دي سوسير بين الإبداع اللغوي الفردي («الكلام» "Parole") ، واللغة بما هي خاصية مميزة للجماعة اللغوية في مجموعها («اللسان» "Langue" ، انظر فيما يلي

ف ٢٥٩) ؛ حيث أضيف تمييز ثالث هو («اللغة» "Language") ، وتعني المفهوم الكلي للغة ، الذي يتضمن كلاً من «اللسان» "Langue" و«الكلام» "Parole" (وقد دقق ‹يلاكروا هذه الفكرة) . ويتتبع «علم الأسلوب الفردي» Individual Stylistics (الذي يناظر فكرة «الكلام») ما يعطي الفرد شخصيته بالمفهوم اللساني . ويتضمن «علم الأسلوب الجماعي» "Group Stylistics" الفحص الاجتماعي للغة (وهو الذي يسمى بمجال «اللسان» "Langue") ، أما علم الأسلوب العام General Stylistics فيعني بتأسيس جميع الوسائل التي يمكن للمقولات الأساسية للعقل البشري أن يستخدمها عندما يتبنى الشكل اللغوي (وهو نوع من المقاربة الكلية التي تعكس فكرة «اللغة» Language)[١٠] .

167 - وقد درس اللسانيون الفرنسيون الأسلوب من الوجهة العملية وفقاً للقاعدة التي تقضي باحتواء الوصف الأسلوبي لجميع الظواهر اللسانية التي تنحرف عن المعيار النحوي النمطي في لغة بعينها . وغالباً ما يلتمس تفسير هذه الانحرافات في الدوافع النفسية . ويتزايد استعمال الطرق الإحصائية في هذا المجال خلال السنوات الأخيرة (انظر فيما يلي ف ٤٤٢) .

168 - ويقوم أنصار اللسانيات البنيوية ، في مدرسة هارفارد خاصة ، - الآن - بتطوير نمط جديد كل الجدة من أنماط البحث الأسلوبي (انظر فيما يلي ف ٢٣٦) . ويتمثل المنطلق النظري لهذه المدرسة في مسلمة منهجية ترى في اللغة وسيلة للتواصل . وهكذا تقتصر اللسانيات - في

أدق معاني المصطلح - على أدنى حدود التعبير التي يتحقق عن طريقها التواصل ، أما علم الأسلوب فيعالج - تحديداً - كل ما يضاف إلى هذا الحد الأدنى لكي يضمن للرسالة وضوحها ، أو يضفي عليها التوكيد ، أو يلقي عليها ضوءاً ما . وثمة بحث طريف يحقق الآن تقدماً في هذا المجال .

إحـــالات

169 - انظر بيير جيرو Pierre Guiroud : «الأسلوب»

"La stylistique", (Paris, 1957), (= Que sais- je?, No. 646).

- ج . ماروزيو J. Marouzeau : «موجز في علم الأسلوب الفرنسي»

"Précis de stylistique française", (Paris, 1946).

- م . كوهين M. Cohen : «النحو والأسلوب»

"Grammaire et style", (Paris, 1954).

- م . ريفاتير M. Riffaterre : «قضايا تحليل الأسلوب الأدبي»

"Problèmes d'analyse du style littéraire"

في Romance Philology, Vol. XIV, No. 3 (1961), pp. 216 - 227.

لفحص الإجراءات المنهجية الحديثة في التحليل الأسلوبي انظر :

- ب . جيرو : «اللغة والعروض من خلال آثار بول ڤاليري»

"Language et Versification d'après l'oeuvre de Paul Valéry"

«دراسة للشكل الشعري في علاقاته ببنية اللغة»

"E'tude sur la forme poétique dans ses rapports avec la structure de la langue" (Paris, 1953).

ويمكن التماس نظرية أسلوبية تمت صياغتها في ظل المبادئ العلمية

لمدرسة براغ في كتاب ف . تريفنيتشيك F. Trávniček :
"O Jazykovém Slohu", (Prague, 1953).

أما آراء مدرسة هارفارد فقد عرضت في دراسات ضمتها مجموعة أبحاث تحت عنوان : «الأسلوب في اللغة» "Style in Language"
ed. Thomas A. Sebeok (Cambridge Mass., 1960).

وهي دراسات ر . جاكوبسون R. Jakobson : «اللسانيات والبوطيقا»
"Linguistics and Poetics", pp. 350 - 377.

وكذلك إ . ستانكيفيتش E. Stankiewicz : «اللسانيات ودراسة اللغة الشاعرة» "Linguistics and the Study of Poetic Language", pp. 69 - 81.

الحــواشي

(١٠) كـان الفـرنسيـون أول من ارتضى مـا يعـرف بـاسم «الصـوتيـات الأسلوبيـة» "Phonostylistics" (أخذاً عن أعمال ترويتسكوي) : وتعني فحص الوظيفة التعبيرية للأصـوات . وقـد تكـلم جـرامـونت ، في تاريخ يعـود إلى ١٩١٣ ، عن جـدوى العوامل الصوتية في التعبير عن الانفعال في (الشعر الفرنسي : وسائل التعبير والتوافق) (Les vers français, ses moyens d'expression, son harmonie).

المثالية الجمالية في اللسانيات

(مقــدمـــة)

170 - شهدت بداية القرن العشرين قيام حركة مضادة للنزعة العقلانية في الفكر الفلسفي الأوروبي ، وتمثل أبرز تعبير عنها في مذهب الحدس عند برجسون[١١] Bergson ، والمذهب الجمالي لبنيدتو كروتشه[١٢] Benedetto Croce . وقد أكد أنصار هذه الأفكار الفلسفية أهمية دور الفرد وتكوينه النفسي الخاص في إبداع اللغة . وكانت بعض الدوائر اللسانية في أوروبا الغربية مهتمة بهذه الفكرة ، وقد قطعت اللسانيات شوطاً أبعد في تعبيرها عن مثل هذه الأفكار ؛ فقد قدم هوجو شوخاردت Hugo Schuchardt (انظر فيما سبق ف ١٠٩) وجهة نظر يمكن تلخيصها على النحو الآتي : اللغة إبداع فردي ، تقوم الجماعة بتعميمه عن طريق التقليد ؛ والتكوين النفسي للفرد هو العامل الحاسم في إبداع اللغة ، وهذا التكوين محكوم بالظروف الخارجية التي يخضع المرء في حياته لتأثيرها ، والتي تشكل شخصيته بطريقة حتمية . وحيث إن اللغة في الأساس هي التجلي الفردي لتكوين نفسي معين ، فيجب أن تعرف بوصفها ظاهرة أسلوبية ، وأن تعالج في البحث العلمي على هذا النحو . وهكذا ظهرت معالجة جديدة للغة - بتأثير تلك الأفكار - دعت إليها المدرسة اللسانية الألمانية المعروفة بمدرسة المثالية الجمالية (مدرسة فوسلر) ، كما دعا إليها اللسانيون المحدثون "Neo - Linguists" من الإيطاليين .

مدرسة فوسلر

171 - كان كارل فوسلر Karl Vossler (١٨٧٢ - ١٩٤٧) ، الأستاذ بجامعة ميونيخ ، من أشد خصوم النحاة المحدثين تعصباً . وقد بسط القول في نظرياته من خلال معارضاته لهم . وقد تشبع تشبعاً تاماً بالفلسفة المثالية في زمنه ، وتأثر بصفة خاصة بكتابات كروتشه الجمالية . وكان في اللسانيات أكثر التصاقاً بهامبولدت (انظر فيما سبق ف ٦٨) ؛ لاعتقادهما المشترك بأن اللغة لها الارتباط الأوثق والمباشر بعقلية الشعب .

172 - وقد بنى فوسلر ، وهو المثالي بعقيدته وبمنهجه وبإقراره الخاص ، نظريته اللسانية في جوهرها على المفاهيم الآتية :

أ - ليس للأشكال المادية المختلفة في الحياة معنى في ذاتها . ولكن دلالتها الأساسية كامنة في أفكار الشعب عنها . وفي كل شيء يجري إبداعه ينبغي أن يبحث المرء عن الشيء الوحيد ذي القيمة : ألا وهو فكرة المبدع ، وباعثه الداخلي ، والمبدع نفسه . ذلك أن كل عمل في الحقيقة ليس إلا التعبير عن شخصية فرد ما .

ب - اللغة أداة الروح . وهي الظاهرة المادية التي يمنح المرء من خلالها المظهر المنطوق لأفكاره ومشاعره الخاصة . ومن ثم فليس للبحث اللساني فعالية حقيقية إلا بقدر ما يكون سبراً للأسلوب ، أي أنه يشخص الفكرة ومبدعها الذي هو الإنسان تشخيصاً أمعن في المباشرة .

جـ - إن الإنسان فاعل نشيط فيما يتعلق بلغته، أي أنه يختار ما سيقوله، وكيف يقوله. وسيتكيف هذا الاختيار بالتركيب النفسي الخاص بالمتكلم. ولذا فإن ثمة حقيقة ينبغي أن تكون مؤكدة وحاضرة دائماً في الأذهان، وهي وجود علاقة مبدأ السببية بين المرء بوصفه حاملاً لعالم نفسي خاص واللغة التي ينتجها.

د - ونحن نرى جوهر الإنسان في لغته (تماماً كما نراه في المرآة)، وهذا الجوهر هو الطموح إلى نموذج جمالي مثالي. والأسلوب هو في حقيقته التعبير الفردي عن نموذج جمالي مثالي لإنسان ما في لحظة انكشف المباشر عن الذات.

هـ - يكشف الإنسان عن شيء خاص به في كل شيء يقوله، وهو في كل لحظة يجد نفسه في مناخ انفعالي مختلف. ومن ثم فإن ما قيل مرة لا يمكن أن يتكرر: ففي عملية التكرار يعيد المتحدث إنتاج ظل من ظلال المعنى[١٣] الأصلي على وجه التقريب، ولكنه لا يعيده إعادة دقيقة على نحو ما كان عليه على الإطلاق.

173 - وأوفر أتباع فوسلر حظاً من الشهرة هما أوجين ليرك Eugen Lerch، و ليو شبيتسر Leo Spitzer. وكما فعل فوسلر بحث أوجين ليرك، المتخصص في اللغة الفرنسية، عن ارتباط مباشر بين البنى اللغوية وعقلية الأمة[١٤].

عمل ليوشبيتسر في مجال دراسة علم الأسلوب وعلم الدلالة والتأثيل اللساني في اللغات الرومانسية. وذاع صيته بوصفه مؤسس «الأسلوبيات المثالية» Idealistic Stylistics وما يسمى «النقد الأسلوبي»[١٥]

Stylistic Criticism . وقد بسط وجهة نظره القائلة بأن الأعمال الأدبية ينبغي تقويمها في أشد مظاهرها تعقيداً ، من المنطلق اللساني علاوة على المنطلق الأدبي والجمالي . وقد ناصر بقوة اندماج تجربة المنظرين اللسانيين ومناهجهم مع ما للمنظرين من نقاد الأدب من تجربة ومناهج (ولهذا السبب يطلق بعضهم على مدرسته اللسانية «مدرسة الأسلوبيات الأدبية» (The School of Literary Stylistics) .

174 - وقد تعرض فوسلر وأتباعه لنقد منصف ، ففكرتهم الأساسية التي يتصورونها عن هدف اللسانيات ومجال نشاطها غير قابلة للإثبات . فقد قادت آراؤهم النظرية ذات النظرة الأحادية والقاصرة - على نحو ما أسلفنا الإشارة إليه - إلى تفسيرات تحكمية للحقائق اللسانية . غير أن مدرسة فوسلر لم تخل من ميزة . فقد حفز أعضاؤها في الباحثين اهتماماً أعظم فاعلية بقضايا الأسلوب ، وقدموا ملاحظات تمتاز بالتحدي في هذا المجال .

إحـــالات

175 - انظر أعمـال فوسلر التي سبق ذكرها (ف ١٧٢) ، وشبيتسر (ف . ١٧٣) . ويقدم كتابا شبيتسر : **«دراسـات أسلوبية»** "Stilstudien" (Munich, 1928) ، و**«مقالات في علم الدلالة التاريخي»**

"Essays in Historical Semantics" (New York, 1948).

أيضاً عرضا بالغ الجودة لموقف اللسانيات المحدثة . وتظهر آراء ليرك بوضوح في دراسته **«موجز في المعارف الفرنسية»**

"Handbuch des Frankreichkunde", (Frankfurt - Diestweg, 1933).

وفي دراسته عن **«معرفة الأمة من خلال علم الأسلوب»**

"Nationkunde Druch Stilistik", Festschrift fuer E. Wechssler (1929).

وانظر أيضاً مجموعة دراسات بعنوان : **«الفيلولوجيا المثالية الجديدة»** "Idealistische Neuphilologie" ، طبعة الاحتفال بذكرى كارل فوسلر Festschrift fuer Karl Vossler (Heidelberg, 1922) ، التي تتضمن دراسات لكل من ب . كروتشه ، ك . بولر K. Buehler ، إ . ليرك E. Lerch ، إلى جانب ل . شبيتسر .

ويعطي تيودور أوسترمان heodor Ostermann معلومات أوفر عن أعمال فوسلر في **«ببليوجرافيا خاصة بمؤلفات كارل فوسلر»**

"Bibliographie der Schriften Karl Vossler, 1897 - 1951" (Munich, 1951).

وهناك مراجعات نقدية كثيرة لمدرسة فوسلر . وبين الدراسات الحديثة التي تتسم بطابع تفنيدي وشمولي تبرز دراسة ف . أ . زفيجينسيف V. A. Zvegincev **«المثالية الجمالية في اللسانيات : كارل فوسلر ومدرسته»** "Estetičeskij idealizm v Jazykoznanii: K. Fossler iego škola" (Moscow University, 1956).

الحـــواشي

(١١) كان هنري برجـون (١٨٥٩ - ١٩٤١) من أعظم فلاسفة أوروبا الغربية تأثيراً، في النصف الأول من القرن العشرين .

(١٢) كان بنيدتو كروتشه (١٨٦٦ - ١٩٥٢) أحد مؤسـسي مدرسة المثالية الحديثة في الفلسفة بإيطاليا . ويعد كتابه «علم الجمال بوصفه علماً للتعبير واللسانيات العامة»
"Estetica come scienza dell espressione e linguistica generale" (Bari, 1922)
أهم مؤلفاته ، وهو مؤلف ذائع الصيت بين اللسانيين .

(١٣) نشر فوسلر نظريته في كتابه «الوضعية والمثالية في اللسانيات»
"Positivismus und Idealismus in der Sprachwissenschaft" (Heidelberg, 1904).
وتابع تطويرها في «اللغة بوصفها خلقاً وتطوراً . بحوث نظرية مع أمثلة تطبيقية»
"Sprache als Schöpfung und Entwicklung. Eine theoretische Untersuchungen mit praktischen Beispielen (Heidelberg, 1905).

«أبحاث مجموعة في الفلسفة اللغوية»

Gesammelte Aufsätze zur Sprachphilosophie (Munich, 1923).

«الفكر والثقافة في اللغة»

"Geist und Kultur in der Sprache" (Munich, 1925).

وقد وجدت نظرية فوسلر برهانها العملي في كتابه «ثقافة فرنسا في مرآة التطور اللغوي»
Frankreichs Kultur im Spiegel seiner Sprachentwicklung (Heidelberg, 1913).

وقد نشرت الطبعة الثانية في ١٩٢٩ بعنوان «ثقافة فرنسا واللغة» Frankreichs Kultur und Sprache . وهو يدلل - مثلاً - على أن نسق الكلام المكون من : الفاعل - الفعل - المفعول ، وهو الذي يميز اللغة الفرنسية ، إشارة واضحة لحب الفرنسيين للنظام والمنطق .

(١٤) يؤكد ليوك على أساس من التحليل اللغوي أن الفرنسيين شعب ودود ، ولكنهم يميلون إلى الاستخفاف برفاقهم . لذا فهم يؤثرون استخدام صيغة المستقبل بدلاً من الأمر ، كما في «ستجيء غداً» "tu viendras demain" .

(١٥) لآرائه الخاصة التي يعالج بها العمل الأدبي عرض واف في كتابه «اللسانيات وتاريخ الأدب : مقالات في علم الأسلوب»
"Linguistics and Literary History: Essays in Stylistics" (Princeton, 1948).

وهو يؤكد هنا أنه لا يمكن أن تعالج كل الإنجازات الأدبية بطريقة واحدة : فكل عمل له خاصيته المتفردة ، التي ينبغي أن تحدد اختيار المقاربة النقدية المناسبة (وهذا الرأي في الواقع هو صدى مباشر لأفكار برجسون وكروتشه التي شاعت زمناً) . إن العمل ينبغي إدراكه أولاً بالحدس على الرغم من أن هذا الانطباع الذاتي ينبغي التأكد منه عن طريق التحليل . والنقد الموضوعي بالكلية حلم طوباوي : فالمرء يتفاعل مع العمل الذي يقرأه في ضوء تجربته الشخصية ، وتتحدد طبيعة هذه التجربة بدرجة أكبر عن طريق تكوينه النفسي الفردي . وأي عمل هو كل متكامل ، ومركزه هو روح المؤلف . وكل واحد من التفاصيل يؤدي إلى هذا المركز الروحي ، لأن كلاً من هذه التفاصيل يحفزه الفكر . والعمل جزء ثابت من كيان أكبر وأعم ، وهو الكل الذي يعبر فيه روح الكاتب عن روح الأمة (وهنا يبدو شبيتسر شارحاً أميناً لأحد أفكار فوسلر الأساسية) .

اللسانيات الجديدة

176 - يمثل المدرسة اللسانية الجديدة مجموعة من الباحثين الإيطاليين الذين تطورت مفاهيمهم اللسانية في معزل عن أفكار هامبولدت وشوخاردت وكروتشه وفوسلر . وبالإضافة إلى ذلك حظيت مؤلفات علماء الجغرافية اللسانية ولا سيما جيرون - فيما بينهم - بتقدير كبير . ونحن مدينون لهم قطعاً بسبب جهودهم في تبسيط معايير الجغرافيا اللسانية (وقد عرفت هذه المدرسة أيضاً باسم «اللسانيات الجغرافية أو المساحية "Geographical or Areal Linguistics" ، انظر فيما سبق ف . ١٤٢) . ووجه اللسانيون الجدد نقداً عنيفاً للنحاة المحدثين ، على نحو ما فعل أتباع فوسلر ، وكانوا في هذا النقد أقرب إلى التحيز وعدم الإنصاف .

177 - وقد نشر ماتيو جوليو بارتولي Matteo Giulio Bartoli (١٨٧٣ - ١٩٤٦) ، أحد أوائل اللسانين الجدد وأعلامهم ، مقالاً في عام ١٩١٠ يمكن أن يعد الإعلان الرسمي لهذا الاتجاه ، وعنوانه : «في أسس اللاتينية الحديثة» "Alle fonti del neolation", Miscellanea in onore de Attillio Hortis (1910), pp. 889 - 913.

ويتضمن هذا المقال كل المبادئ الأساسية لهذه المدرسة مصحوبة بأمثلة لتطبيقها المنهجي . وبالإضافة إلى هذا المقال هناك كتابان - نشرا

في ١٩٢٥ - قد قاما بدور بارز في تشكيل المدرسة هما كتابا م . بارتولي «مقدمة في اللسانيات الجديدة (الأسس - المجال - المنهج)»

Introduzione alla neolinguistica (Principli - Scopi - Metodi) (Geneva, 1925).

ماتيو بارتولي وجوليو برتوني Matteo Bartoli e Giulio Betroni. "Breviario di neolinguistica" (الجزء الأول : «الأسس العامة» "Principi Generali" لجوليو برتوني ؛ والجزء الثاني : «المعايير التقنية» "Criteri tecnici" لماتيو بارتولي) (Modena, 1925) .

178 - وكان ڤيتوريو بيزاني Vittorio Pisani وجوليانو بونفانت Giuliano Bonfante أيضاً مناصرين بارزين لهذه المدرسة . وعندما تعرضت المدرسة ، التي كثر تعرضها للنقد ، وعانت على وجه الخصوص من هجوم ساحق شنه عليها الباحث اللساني الأمريكي روبرت هول(١٦) Robert Hall ، كان رد بونفانت هو تقديم تحليل تفصيلي لمنطلقاتها النظرية(١٧) . وقد كشفت معالجته الواضحة الشاملة للقضايا على نحو لافت عن جذور اللسانيات الحديثة وهي : المثالية الجمالية في ألمانيا ، والجغرافيا اللسانية في فرنسا .

179 - ويمكن إيجاز الموقف النظري للسانيين الجدد على النحو التالي :

- يبدع الإنسان اللغة بالمعنى الروحي كما يبدعها بالمعنى المادي ، بإرادته ، وكل ما يتصل باللغة هو نتيجة لكلتا العمليتين الروحية والفسيولوجية .

- لا يمكن لوظائف الأعضاء بمفردها أن تفسر شيئاً في اللسانيات . فهي لا يمكنها إلا أن توجد الظروف التي يجري إبداع ظاهرة معينة تحت تأثيرها . أما الأسباب الكامنة وراء الظواهر اللسانية فتقع في مجال النشاط الروحي الإنساني .

- لا وجود للمجتمع المتكلم "Speaking Society" . فهو خيال . تماماً كالرجل العادي "Average Man" . والحقيقة الوحيدة هي «الشخص المتكلم» "Speaking Person" . فكل ابتكار لغوي يبدأ به .

ويلتقط المجتمع لابتكار اللغوي الذي يبدعه الفرد ، على نحو أكثر تأكيداً وكمالاً وسرعة . إذا كان مؤلف التغيير شخصاً ذا أهمية (صاحب مركز اجتماعي كبير ، أو مواهب إبداعية ظاهرة ، أو مهارة حوارية ، إلخ) .

- ليس في اللغة شيء يمكن أن يعد غير صحيح ؛ فكل شيء موجود هو صحيح إذ إن مجرد وجوده يعني صحته .

واللغة - في جوهرها هي التعبير عن إحساس جمالي ، وهذا الإحساس قابل للتنوع . ويمكن أن ينظر إلى تغيرات (الموضة) في الواقع . على نحو ما ينظر إليها في مظاهر أخرى من الحياة تعتمد بدرجة مساوية على الحس الجمالي (الفن والأدب والأزياء) .

وتنشأ التغيرات في معاني الكلمات نتيجة للمجازات الشعرية . وفحص هذه التغيرات له قيمة بوصفه وسيلة للتعرف على الآليات التي يعمل بها الخيال البشرى .

وتنشأ التغيرات في البنية اللسانية نتيجة لتداخل اثني Ethnic Intermixture ، لا بمعنى اختلاط الأعراق ، ولكن بمعنى تداخل الثقافات الروحية .

وفي الواقع الفعلي تكون اللغة مركزاً لعاصفة من نزعات تطورية مختلفة ، كثيراً ما يناقض بعضها بعضاً . وإذا رغبنا في فهمها فعلينا أن نعالج الظواهر اللغوية من زوايا مختلفة على نطاق واسع . وفي المقام الأول يجب أن نضع نصب أعيننا أن تطور لغة بعينها مشروط أساساً بالظروف الجغرافية والتاريخية . (ومثال ذلك أن تاريخ اللغة الفرنسية لا يمكن أن يفحص فحصاً دقيقاً دون الرجوع إلى تاريخ فرنسا - أي بملاحظة الدور الذي قامت به المسيحية ، والتوسع الألماني ، والإقطاع ، والتأثير الايطالي ، والمناخ في البلاط ، وعمل الأكاديمية ، والثورة ، والحركة الرومانسية ، إلخ) .

180 - وقد حددت هذه الركائز النظرية مجالات النشاط العملي الذي قام به اللسانيون الجدد . فقد قدموا إسهاماً كبيراً في تطوير الدراسات المعجمية ، واستحقوا ثناء خاصاً لعملهم الجاد في علم اللهجات ، وقد كان لهذا العمل تقليد راسخ في إيطاليا حتى منذ نشر مؤلفات أسكولي (١٨) .

181 - وفي علم اللهجات استنبط اللسانيون الجدد مناهج لتطبيق المعايير التاريخية والاجتماعية والجغرافية على القضايا اللغوية . وقد أظهروا اهتماماً قوياً بالفحص المقارن للصيغ الموجودة في اللهجات التي ترتبط

فيما بينها بصلات القرابة ، ووجهوا اهتماماً خاصاً للعوامل الجغرافية التي تحدد مساحات الظواهر اللهجية (ومن هنا كان المصطلح Areal Linguistics ، انظر فيما سبق ف ١٧٦) .

182 - وظهرت نتائج هذه الدراسات الجغرافية في تقارير نظرية محددة ، ظلت أساسية في علم اللهجات الحديث . ومن بين ذلك ، على سبيل المثال ، ما يختص بالتمييز بين المناطق المركزية والهامشية ، وهو ذو أهمية حاسمة لتصنيف اللهجات .

ويستخدم المصطلح (مركزي) لكل منطقة لغوية يظهر فيها ابتكار لغوي . ولكن التغيرات اللغوية لا تحدث بطريقة متجانسة في الأماكن نفسها . فليس هناك منطقة كلامية تكوّن المنطقة المركزية باعتبار جميع سماتها اللغوية . فالأفكار الخاصة «بالمركزي» Central و«الهامشي» Peripheral يجب أن ينظر إليهما هنا على أنهما مفهومان نسبيان .

وتحتفظ المناطق اللغوية الهامشية (بالمعنى الجغرافي) - عادة - بعدد من السمات المهجورة ، ولكن هذا لا يعني أن جميع الخصائص اللغوية الموجودة في منطقة هامشية ما - خصائص مهجورة . غير أنه إذا أظهرت منطقتان هامشيتان مختلفتان صيغة لغوية واحدة ، فإنها في غالب الأحوال تكون مهجورة .

183 - وكان اللسانيون الجددامن أوائل من لفت الانتباه إلى الظاهرة التي بحثتها بعد ذلك مدرسة براغ ، وسميت «تداعي اللغات» Association of Languages (انظر فيما يلي ف ٢٩٧) . وقد اشتغلوا بما

يسمى «نظرية الطبقة السفلى» Substratum Theory (فكرة أنه إذا هجر شعب لغته الأم إلى لغة أخرى ، فمن الحتمي أن تتغير هذه اللغة الأخيرة بتأثير اللغة الأولى ، التي تمثل حينئذ الطبقة اللغوية السفلي) . ولا يمكن لجدوى هذه الإنجازات النظرية أن تكون موضع الإنكار .

184 - وكان من بين المواقف المثالية التي أثارت أكبر قدر من النقد أن اللسانيين الجدد عبروا عن اتفاق واضح بشكل ما مع نظرية وحدة الأصل في اللغة Monogenesis of Language ، بمعنى افتراض أن كل لغات العالم نشأت عن لغة واحدة مشتركة(١٩) .

إحـــالات

185 - بالإضـافة إلى مـؤلفات بارتـولي وبرتوني ، التي سـبقت الإشـارة إليها ، انظر أيضاً م . بارتولي (Saggi di linguistica spaziale (Torino, 1945 .

- ج . برتوني «**الجغرافيا اللسانية**»

La Geografia Linguistica (Udine, 1925)

وأيضاً الأعمال المتعلقة بمناقشات هول وبونفانت Hall and Bonfante المشار إليها .

- وهناك إشارة جيدة للتكوين العام للمدرسة اللسانية الإيطالية ، إبان التطور المبكر للسانيات الجغرافية ، أي حوالي عام ١٩٣٠ ، في المجموعة :

Silloge linguistica dedicata alla memoria di Graziadio Isaia Ascoli nel primo centenario della nascita (Torino, 1929).

- انظر أيضاً ف . برتولدي V. Bertoldi : «**الكلام بوصفه وسيلة للتعبير**»

La parola quale mezzo d'espressione (Naples, 1946).

- ج . بونفانت ، «**حول إعادة التركيب والمنهج اللساني**»

"On Reconstruction and Linguistic Method", Word, I (1945) pp. 131 - 161.

- ف . بيزاني ، «**التأثيل اللساني : التاريخ والقضية والمنهج**»

L'Etimologia: Storia, Questioni, Metodo (Milan, 1947).

- ف . برتولدي : «**فن التأثيل اللغوي**»

L'arte dell'etimologia (Naples, 1952).

الحــواشي

(١٦) اتجه نقد هول أساساً (Lg. 22. 1946. pp. 273 - 283) إلى افتقاد الأصالة في الأفكار والمناهج .

(١٧) «موقف اللسانيات الجديدة (رد على نقد هول للسانيات الجديدة)
"The Neolinguistics Postion (A Reply to Hall's Criticism of Neolinguistics", Lg. 23, No. 4 (1947), pp. 344 - 375.

(١٨) اشتهر جراتسيادیو إيزايا أسكولي Graziadio Isaia Ascoli (١٨٢٩ - ١٩٠٧) ، وهو قيمة أصيلة في زمنه ، باهتمام بالغ القوة بحياة اللهجات ، وبموقف نقدي تجاه النحاة المحدثين . وكانت مفاهيمه ، التي أثرت تأثيراً كبيراً في صياغة نظرة الباحثين اللغويين الإيطاليين ، وثيقة الصلة في بعض جوانبها بأفكار علماء الجغرافيا اللسانية الفرنسيين (وهناك رأي يعتقده الإيطاليون أساساً ، أنه في الواقع كان مؤسس الجغرافيا اللغوية) . وقد نشرت مؤلفاته الأساسية في الدورية
Archivio glottologico Italiano, from Vol. 1 (1873) to Vol. 16 (1902 - 1905).

(١٩) استلهم بعض العلماء هذه الفكرة من العقيدة المسيحية عن أصل الإنسان . وقد وجدت أكثر مناصريها إخلاصاً لها في الباحث الإيطالي ألفريدو ترومبيتي Alfredo Trombetti (الذي بسط القول في كتابه «وحدة أصل اللغة»
"L'unita d'origine del linguaggio", Bologna, 1905.

وقد حاول أن يستنبط البراهين في حقيقة أن الكلمات ذات المعنى الواحد تقريباً - في اللغات المختلفة - يمكن أن تبدي عرضاً، بعض أوجه الشبه من حيث البنية الصوتية) .

مدارس الدراسات السلافية التقدمية

مدرسة قازان

186 - يستخدم اسم «مدرسة قازان» اليوم للدلالة على الأفكار اللغوية التي قام بتطويرها في السبعينيات من القرن الماضي قطبان هما : جان بودوان دي كورتيني Jan Baudouin de Courtenay (١٨٤٥ - ١٩٢٩) وميكولاي كروزتسيفسكي Mikolaj Kruszewski (١٨٥١ - ١٨٨٧) . وقد تبلورت أهم هذه الأفكار حينما كان بودوان دي كورتيني يحاضر في جامعة قازان في روسيا - وهو ما يفسر أصل المصطلح . وعلى الرغم من المعطيات الزمنية فإن مدرسة قازان تنتمي إلى لسانيات القرن العشرين .. وقد مثلت الآراء التي اعتنقها كل من بودوان دي كورتيني وكروزتسيفسكي ، في تلك الأيام البعيدة لمدرسة قازان ، عالماً من الأفكار جديداً كل الجدة يتسم بالطزاجة والتميز ، وقد بلغت أفكارهما مبلغ النضوج في حقبة متأخرة جداً من القرن الحالي . والحق أن هذه الآراء المتسمة بالتحدي والآتية إلينا من الماضي قد تمَّ اكتشافها وفهمها ، وحازت الإعجاب في زماننا .

187 - وعلى الرغم من أن قازان لم تكن مكاناً ملائماً للعمل بالنسبة لرجل ذي طموحات بحثية جادة ، إلا أنها برهنت على أنها مركز بحثي نشيط إلى حد معقول وهو ما أثر في حد ذاته تأثيراً إيجابياً على عمل بودوان دي كورتيني . وقبل زمن بعيد وجد الأستاذ الشاب في كروزتسيفسكي رفيقاً مثالياً ليناقش معه الموضوعات اللسانية . وقد كان

كروزتسيفسكي تلميذاً موهوباً رغب أن يناقش رسالته للدكتوراه معه . وقد أدى الحوار بينهما إلى ظهور أفكار كثيرة عن اللغة لم يسمع عنها حتى ذلك الوقت ، غير أنهما لم يكن لديهما فرصة لإحكام نظرية لسانية عامة على أساس متين ، أو لتأسيس مدرسة : فقد أجبر بودوان دي كورتيني سريعاً على مغادرة قازان ومواصلة حياته التي لم تعرف الراحة ؛ بوصفه قومياً بولندياً ثائراً ، مشكوكاً فيه من الحكومة الروسية[٢٠] ، أما كروزتسيفسكي فقد مات قبل أن يمهله الوقت ليعطي لأفكاره شكلاً محدداً . ولم ينقذه من النسيان إلا مذكرات أستاذه . فقد جمع بودوان دي كورتيني بين الكتابة والحديث عنه[٢١] ، ولفت النظر إلى أهمية الأفكار التي عرضها في رسالته للدكتوراه[٢٢] . وكان الافتراق عن كروزتسيفسكي خسارة كبيرة لبودوان دي كورتيني ؛ فلم يعثر قَطّ على رفيق مثله لإنشاء نظريات جديدة ذات نطاق واسع . ولم يكن لمؤلفات بودوان دي كورتيني الأخيرة أبداً - رغم طرافتها وأهميتها من نواح كثيرة - القوة التي كانت عليها أيام قازان[٢٣] . ومن ثم كان مصطلح «مدرسة قازان» أكثر ملاءمة من مصطلح «مدرسة بودوان دي كورتيني» .

188 - ويمكن أن نلتمس الأشكال الأولى لكثير من الأفكار الأساسية للسانيات الحديثة في آراء هذين القطبين . وعلى سبيل المثال فقد أكدا الحاجة إلى تمييز كل من اللغة التي تنتمي إلى الكيان الكلي لجماعة اجتماعية بعينها (بالمعنى الذي يعبر عنه المصطلح «اللسان» Langue عند دي سوسير De Saussure ، انظر فيما يلي ف ٢٥٩ ، عن كلام الفرد («الكلام») ("Parole") ، والاستقراء الخاص بتطور الحقائق اللغوية من منظور ملاحظتها لسانياً في نقطة زمنية بعينها (كان بودوان دي كورتيني من

أوائل الباحثين الذين أخلصوا أنفسهم لدراسة الوضع المعاصر لإحدى اللغات) . ولقد كانت اللغة عند هذين القطبين ملتقى لاتجاهات متعارضة تكيف تطورها ، وهي : القوى المحافظة التي ترغب في الحفاظ على الوضع القائم ، والقوى التقدمية التي تسعى إلى الابتكار بل إن أول مفهوم حديث عن الصوتيم بدأ تطوره أيام الصحية اللسانية الشهيرة في قازان (وإن كان بودوان دي كورتيني قد تخلى عنه فيما بعد ، انظر فيما يلي ف٢٧٥) .

وأياً ما كان الأمر فإن هذه الجهود كلها لم تكن منهجية بدرجة كافية ، وكثيراً ما ضاعت الملاحظات القيمة في طوفان من التقريرات التي تتسم بالغموض والإفاضة والتناقض في الغالب . وكان التقاط الاتجاه الأساسي لمسار الأفكار الأصلية عندهما أكثر عسراً بسبب وجود كم هائل من المبتكرات الاصطلاحية .

189 - ويقع الفضل الأكبر لمدرسة قازان في أن أفكارها كانت باعثاً على نشأة النظريات الثورية عند كل من فرديناند دي سوسير وحلقة براغ (انظر فيما يلي ف ٢٤٤) . ولم يتحقق الناس من مدى قوة هذا التأثير (ولا سيما بالنسبة إلى دي سوسير) إلا بعد ذلك بوقت طويل . ومن ناحية أخرى كان معاصرو بودوان دي كورتيني وكروزتسيفسكي غافلين كل الغفلة تقريباً عن الإنجازات المدهشة التي جرت في قازان . ومن سوء الحظ أن الإصدارات اللسانية القادمة من مقاطعة نائية في الإمبراطورية الروسية ، والتي كانت مكتوبة بإحدى اللغات السلافية ، لم تكن متاحة على نحو كاف بالنسبة للحلقات اللغوية في أوروبا الغربية ، وهي التي كان لها القول الفصل في تأسيس النظريات اللسانية في القرن التاسع عشر .

190 - وحتى في العالم السلافي لم يكن الاهتمام بهذا النهج الجديد والمؤثر للتفكير اللساني كبيراً كما كان يمكن أن يحدث إذا استمر التعاون بين بودوان دي كورتيني وكروزتسيفسكي طويلاً يسمح بتنظيم أفكارهما الأصلية وتكثيفها وترسيخ أساس نظري جديد . غير أن مدرسة قازان لم تختف إلا بعد أن تركت آثارها في الأقطار السلافية . فقد كان لبودوان دي كورتيني تلاميذ موهوبون كثيرون استطاعوا أن يعتنقوا آراءه التقدمية في اللغة وأن يطوروها بالممارسة . وكان هناك تطورات في النشاط اللساني جديرة بالانتباه وخاصة في سانت بطرسبرج (حيث شغل بودوان دي كورتيني منصب الأستاذية مرتين) . وبطبيعة الحال لم يكن هناك اكتشافات لافتة لآراء جديدة في اللسانيات ، ولكن تعاليم الأستاذ جرى تعزيزها بأمانة في إطار علم اللغات السلافية . والواقع أن المصطلح «مدرسة بطرسبرج» يشير إلى جيل من علماء اللغات السلافية اكتسبوا خبرتهم وفقاً لمذهب بودوان دي كورتيني ، وهم ل . ف . شيربا L. V. Ščerba ، ل . ب . ياكوبنسكي L. P. Jakubinskij ، إ . د . بوليفانوف E. D. Polivanov ، وغيرهم كثير (ومن بينهم علمان سوفييتيان بارزان من علماء الدراسات السلافية هما ف . ف . فينوجرادوف V. V. Vinogradov و س . ب . برنشتين S.B.Bernstein) . وكان ل . ف . شيربا (١٨٨٠ - ١٩٤٤) ، تلميذ بودوان دي كورتيني ، أبرز الممثلين لمدرسة بطرسبرج .

إحـالات

191 - يعطي ر. ياكوبسون تقريراً ممتازاً عن مدرسة قازان في «مدرسة قازان للسانيات البولندية وتأثيرها في الفونولوجيا»

"Kazanska Szkda Polskiej lingwistyki i jej miejsce w światowym rozwoju fonologii", Biuletyn polskiego towarzystwa Jezykoznawczego, zesz. XIX (Wroclaw-Crakow, 1960), pp.3-34.

- وتستحق مقالة أ. أ. ليونتيف A. A. Leont'ev : «آراء بودوان دي كورتيني في اللسانيات العامة»

"Obščelingvističeskie vzgljady I. A. Boduena de Kurtene", V Ja, VIII, 6 (1959), pp. 115 - 127

عناية خاصة.

- وتوجد معلومات أكثر تفصيلاً في مجموعة الدراسات التي نشرتها الأكاديمية السوفييتية للعلوم لإحياء الذكرى السنوية الثلاثين لوفاة بودوان دي كورتيني : إ. أ. بودوان دي كورتيني ١٨٤٥ - ١٩١٩ (وقد أسهم فيها أ. أ. ليونتيف، ف. ن. توبوروف V. N. Toporov ، فياتش. ف. إيفانوف Vjač. V. Ivanov ، أ. س. بوسفيانسكايا A. S. Posvjanskaja ، ف. ب. جريجوريف V. P. Grigor'ev ، و ن. س. تولستوي N. S. Tolstoj . وقد ألحق كل من ل. إ. بوكاريفا L. E. Bokareva ، وأ. أ. ليونتيف بالكتاب قائمة شاملة بمؤلفات بودوان دي كورتيني).

- وقد تمثل أفضل إيضاح لأعمال مدرسة بطرسبرج في الدراسات اللسانية التي أنجزها ل . ف . شيربا . انظر ل . ف . شيربا L. V. Ščerba ، «أعمال مختارة في اللسانيات والصوتيات»

"Izbrannye raboty po Jazykoznaiju i fonetike, I (Leningrad, 1958).

- وانظر أيضاً : أ . أ . ليونتييف A. A. Leontév : «بودوان دي كورتيني ومدرسة بطرسبرج في اللسانيات الروسية»

"I. A. Boduen de Kurtene i Peterburgskaja škola russkoj lingvistike", V Ja, x, 4 (1961), pp. 116 - 124.

الحــواشي

(٢٠) نال بودوان دي كورتيني أخيراً في ١٩١٨ كرسي الأستاذية في وطنه ، وارسو ، بعد تنقله عدة مرات من جامعة إلى أخرى (سانت بطرسبرج وقازان ودوربات وكراكوف ، ثم سانت بطرسبرج مرة أخرى) .

(٢١) انظر بودوان دي كورتيني :

"Mikolaj Kruszewski, Jego życie i prace naukowe", Prace filologiczne, 11, Fasc., 3 (1888) pp. 837 - 849 and III, FAsc., 1 (1889) pp. 116 - 175.

(٢٢) تعد الآن مقدمة هذه الرسالة ، التي نشرت منفصلة في ١٨٨١ ، تحت عنوان «حول التبدلات الصوتية» Ueber die Lautabwechslung ، عملاً أساسياً من أعمال مدرسة قازان ، وفيها عبر أوضح تعبير عن المفاهيم التقدمية للفونيم .

(٢٣) انغمس بودوان دي كورتيني في النزعة النفسية (انظر فيما سبق ف .ف . ٨٨ – ٩٢) ، وهي النزعة التي استولت على الحلقات اللسانية الأوروبية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . بل إن أفكاره عن الصوتيم اكتسبت تفسيراً نفسياً جديداً .

مدرسة فورتوناتوف أو مدرسة موسكو

192 - كان أستاذ النحو المقارن بجامعة موسكو ، فيليب فيدوروفيتش فورتوناتوف Filip Fedorovič Fortunatov (١٨٤٨ - ١٩١٤) معاصراً لبودوان دي كورتيني . وكانت آراؤه في اللغة تقدمية أيضاً بالنسبة لذلك الزمن ، وإن لم تبلغ مبلغ آراء بودوان دي كورتيني في حقبة قازان . وكان فورتوناتوف في المقام الأول رجلاً معنياً بالدراسة العملية ، وأخلص نفسه أساساً لدراسة المادة اللسانية الفعلية . ولكن الطريقة التي عالج بها ظواهر لغوية بعينها كشفت عن حسن متميز باتساع الأفق البحثي (فقد فهم ، مثلاً ، الحاجة إلى التمييز بين الزماني Diachrony والآني Synchrony ، انظر فيما يلي ف ٢٦٠) ، وكان قادراً بحدسه أن يختار المعايير الخاصة بالتحليل اختياراً صحيحاً (إذ تجنب بنجاح إدخال علم النفس في اللسانيات) .

193 - ولم يترك فورتوناتوف عدداً كبيراً من المؤلفات ، ولكنه أسس رغم ذلك مدرسة لغوية مرموقة (إذ كانت أفكاره المنهجية مصدر إلهام للعمل الذي قام به أعلام بارزون في الدراسات السلافية مثل بشكوفسكي Peškovskij ، شاخماتوف Šaxmatov ، بيليتش Belić وآخرون) . وكانت محاضراته الجامعية الشهيرة مصدراً له فعاليته الخاصة في التأثير .

إحـــالات

194 - انظر كـتـــاب ف . ف . فـــورتوناتوف F. F. Fortunatov :
«أعـمـال مـخـتـارة» "Izbrannye trudy" (Moscow, I, 1956; II, 1957)
الذي يتضمن معلومات عن حياة فورتوناتوف وعمله ، وغير ذلك . وانظر أيضاً ما يقوله زفيجينسيف Zvegincev في «تاريخ اللسانيات»
"Istorija Jazykoznanija I (Section VI).

آراء بيليتش اللسانية

195 - كان ألكسندر بيليتش Alexander Belić (١٨٧٦ - ١٩٦٠) - أشهر اللسانيين اليوغوسلاف الذي نشأ في ظل ريادته البحثية معظم المتخصصين في اللغة الصربوكرواتية - أحد تلاميذ ف . ف . فورتوناتوف (وكان من بين أساتذته عدد من أعلام النحاة المحدثين مثل ليسكين Leskien وبروجمان Brugmann وسيفرز Sievers) . وفي بواكير عمله اللساني كان بيليتش دارساً للسلافية في المقام الأول ، ولكن دراسته الأخيرة عنيت أساساً بالنظرية اللسانية . وتتمثل في عمله أيضاً كل محاسن الصفات عند النحاة المحدثين ، ولا سيما أكثرهم تقدمية . وتتعلق أفكاره الأصيلة - التي انبثقت في أغلبها من دراسته الجادة للغة الصربوكرواتية - بنظرية السينتاجمية Theory of Syntagmatics (وهي العلم الذي يدرس أنماط تآلف الكلمات على المستوى النحوي) . وكان بيليتش أحد رواد هذا المجال في الدرس اللساني . ويتمثل إسهامه الأساسي في لفت الانتباه إلى بحث الوظيفة البنيوية للكلمات ، حتى يمكن فهم كل من الاختلافات في تركيبها الصرفي ومبادئ تسلسلها .

إحـــالات

196 - تظهر آراء بيليتش في اللسانيات العامة بطريقة وافية في كتابه :

O jezičkoj prirodi i jezičkom razvitku (Belgrade, Vol. 1, 1941 - 45, second ed. 1958; Vol II, 1959).

مدرسة مار

197 - ظلت تقاليد مدرسة فورتوناتوف مستمرة في الاتحاد السوفييتي في السنوات الأولى التي أعقبت الثورة الروسية ، ولكن قبل ذلك بزمن بدأ اتجاه فكري جديد يسود اللسانيات السوفييتية ، وهو ما يسمى النظرية المارية Marrism ، التي أنشأها نيكولاي ياكوفليفيتش مار Nikolaj Jakovlevič Marr (١٨٦٤ - ١٩٣٤)

198 - بدأ مار مساره البحثي في ظل تراث النحاة المحدثين . وسرعان ما اشتهر على أنه متخصص بارز في اللغات القوقازية ، نشر عدداً من المؤلفات المرموقة في هذا الموضوع . وبالإضافة إلى ذلك فقد شغل نفسه بالنظرية اللسانية العامة ، ولكنه كان أقل نجاحاً في ذلك بكثير .

199 - وقد حفزه اتصاله المباشر بالمعطيات اللسانية من لغات لا تنتمي للأسرة الهندية - الأوروبية إلى تأمل الصلات المتبادلة بين اللغات ، ولا سيما علاقاتها السلالية .

وقد اتفقت أفكار مار عن أصل اللغة - في جوهرها - مع ما يسمى نظرية وحدة الأصل Monogenesis theory (التي اعتنقها بعض المنظرين اللسانيين ذوي الرؤية المثالية ، وفي مقدمتهم ترومبيتي Trompetti ، انظر حاشية ف ١٨٤) : فقد اعتقد أن كل أنماط اللغات في هذا الزمان نشأت من لغة أساسية واحدة . وفي رأيه أن البشر عبروا عن أنفسهم أولاً عن طريق الحركات الجسمية ، وأن الكلمات الأولى لم ينطق بها إلا لتكون عوناً

للسحر في الطقوس الصوفية . بل إن مار «اكتشف» أن التركيبات الصوتية سال Sal ، بير Ber ، چون Jon ، روش Roš ، كانت العناصر الصوتية الأساسية التي انبثقت منها كل لغات العالم فيما بعد عن طريق التعامل المتبادل . وكان مقتنعاً أيضاً أن البنية اللغوية البدائية للجنس البشري (وهي التي اشتقت منها كل لغات العالم فيما بعد) يمكن أن تستنبط ، حتى هذا العصر ، من خلال التنوع القائم في الظواهر اللغوية .

200 - وقد أدى هذا المفهوم عن وحدة الأصل إلى ظهور نظريته عن المرحلية Stadialism ، وهي الفكرة القائلة بأن جميع اللغات تتطور بفضل التحول المرحلي ، لتبلغ على التتابع مراحل أرقى في سلسلة التطور بمرور الزمن(٢٤) . إن الفروق النمطية Typological في البنية اللغوية ، الظاهرة بوضوح تام الآن ، مرتبطة بأن بعض اللغات قد اكتسبت أعلى مرحلة من التطور ، على حين أن ثمة لغات أخرى لم يتحقق لها ذلك . فهناك ، إذن ، نسق تراتبي هرمي واضح بين اللغات : يحتل بعضها مكاناً أعلى ، ويقع بعضها الآخر في مكان أدنى من حيث درجة التطور التي تحققت لها . وحاول مار أن يوضح نظامه التراتبي الهرمي . وفي تقديره أن الأسرة اللغوية الهندية ـ الأوروبية والأسرة السامية كلتيهما قد حققت أعلى درجات التطور .

201 - وفي تاريخ يرجع إلى عام ١٩٠٨ بدأ مار في تأسيس نظريته المرحلية بعزل ما يسمى بمجموعة اللغات «اليافثية» Japhetic ، التي كانت - في رأيه - تحتل مرتبة دون اللغات الهندية الأوروبية والسامية من حيث التطور . وحيث أن جميع اللغات اجتازت مستويات واحدة من التطور ، لذا أكد مار أن دراسة المجموعة اليافثية يمكن أن توفر معلومات بالغة القيمة عن

حقب ما قبل التاريخ - الموغلة في القدم - التي مرت بها أسرة اللغات الهندية الأوروبية .

202 - وبمرور الزمن غير مار كثيراً من التفاصيل في نظريته ، ولم يكن متسقاً على وجه الخصوص بالنسبة للغات التي يعدّها «يافثية» . ففي البداية قصرها على المجموعة القوقازية ، ولكنه مع حلول عام ١٩٢٠ أضاف رصيداً من اللغات أكبر بكثير .

203 - وفي عام ١٩٢٤ أعلن مار نفسه بطلاً للسانيات الماركسية . وعلى الرغم من أنه فنَّد في عام ١٩٢٦ الأفكار الخاصة بمؤلفاته المبكرة ، إلا أن رؤيته العقائدية الجديدة لم تكن تعني التخلي عن نظرياته المتعلقة بوحدة الأصل ، والمرحلية ، و«اليافيثية» . والحق أنه أضاف ببساطة إلى أفكاره المبكرة مفهوم أن اللغة صرح اجتماعي واقتصادي ذو خاصية طبقية واضحة . وأي مرحلة خاصة من مراحل التطور اللغوي مشروطة بموقف اجتماعي واقتصادي خاص . وهكذا تتغير بنية اللغة مع بنية المجتمع وأساسه الاقتصادي . ولما كانت المقولات اللغوية - شأن أشكال البنية الفوقية الأخرى - تعكس العلاقات الاجتماعية القائمة بالفعل ، لذلك فإن التطور اللغوي يتحرك تحركاً ثابتاً في قفزات ثورية من مرحلة تطورية إلى أخرى . إن الأيديولوجيات الجديدة في ارتباطها بتغير النماذج الثقافية ومستوى المدنية تؤدي مباشرة إلى إيجاد نظام لغوي جديد .

204 - وفي هذه الحقبة الماركسية الأخيرة من عمله دقق مار تدقيقاً نهائياً نظريته عن الاختلاط اللغوي . وفي رأيه أن ما يسمى في النحو التقليدي «اللغة الأصل» Parent Language ليس إلا خيالاً لا يستحق النظر .

ومن ثم يجب أن ينبذ هذا المصطلح وكل ما يتضمنه نبذاً تاماً (كان هذا سبباً في انهيار كل من النحو التقليدي المقارن وتاريخ اللغة أثناء سيادة المارية في الاتحاد السوفييتي) . وقد أكد مار أن اللغات تنشأ عن طريق التمازج والتداخل . وتتمشى مع نمو الكيانات السياسية (الدول) . ويتحقق المبدأ الجامع للتطور اللغوي في اختلاط اللغات المختلفة على نحو مطرد .

205 - ورأى مار أن اللغات القومية لا وجود لها ، وإنما الموجود هو لغات الطبقات الاجتماعية . وأعتقد أن كل لغة - ناشئة عن عملية التمازج - تشمل لغتين متعايشتين ، تماماً كما تتضمن كل ثقافة وجود طبقتين ثقافيتين : إحداهما تنتمي إلى المستغلين والأخرى إلى الذين يرزحون تحت الاستغلال . وطبقاً لقوانين التطور الاجتماعي يتحتم على لغة الرازحين تحت الاستغلال أن تحل محل لغة المستغلين .

206 - وبعد وفاة مار في ١٩٣٤ أخذ أعضاء «معهد اللغة والفكر» Institute of language and thought على عاتقهم مهمة القيام بمزيد من التطوير لأفكارهم ، وكان رائدهم إ . إ . ميشانينوف I. I. Meščaninov وقد صيغت النظرية المارية ذات الطابع الحتمي في الجانب الأكبر منها في الفترة ما بين عامي ١٩٣٠ ، ١٩٤٠ ، أي بعد وفاة مار . وحينئذ صارت نظرية مار تطبق - ضمن أشياء أخرى - على مجال لغوي أوسع ، مثل بنية الجملة (التي لم يكن مار نفسه يوليها اهتماماً خاصاً) .

207 - والمقولات التالية هي الأشهر بين كل الأفكار المتباينة التي اعتنقتها النظرية المارية : اللغة أحادية الأصل ، وتجتاز دائماً درجات واحدة من التطور . وهي بنية فوقية اجتماعية واقتصادية ، ذات خاصية طبقية واضحة .

208 - وقد عارض النقد البحثي الجاد لزمن طويل نظرية الأصل الأحادي بالنظرية التي هي أولى بالقبول وهي نظرية الأصل المتعدد : فاللغة نمت بين البشر من خلال قيامهم بالعمل ، في أجزاء مختلفة من سطح الأرض ، واكتسبت صيغتها بطرق متنوعة ، ولكنها احتفظت دائماً بالوظيفة الأساسية نفسها ، وهي كونها وسيلة للتفاهم المتبادل . وكانت فرضية مار الأساسية في واقع الأمر على خلاف مع التفسير الماركسي لأصل اللغة . وعندما تحقق أتباع مار أنفسهم من عدم قبول الرأي الخاص بوحدة الأصل اعترفوا بوضوح بإمكان حصول موقف نقدي في هذا الجانب .

209 - وعلى الرغم من أن أتباع مار التزموا الصمت - في أغلب الأحوال - فيما يتعلق بأفكار مار الغريبة عن «العناصر الأربعة» (sal, roš, jon, ber) نراهم قد سلموا بأن تفسيره للتحول المرحلي للغة يجب أن يراجع مراجعة تامة .

210 - وعلى أي حال فقد كان الجزم بأن اللغة مشروطة بعوامل اجتماعية واقتصادية مقبولاً على أنه مسلمة غير مسموح بالشك في صدقها .

وبسبب الاقتناع بأن هذا الموقف يحقق أقرب توافق ممكن مع الماركسية فلم يسمع في الاتحاد السوفييتي نقد جادله لسنوات طوال ، وكان من الممكن أن يظهر هذا النقد أن مذهب مار كان غير واقعي في حالات كثيرة . أما خارج الاتحاد السوفييتي فقد رفضت نظرية مار بوصفها غير علمية ، نتيجة لنقد جاد مدعم بالوثائق . فقد ثبت بالأمثلة العملية ، ضمن أشياء أخرى ، أن مقولة مار المسلمة المتعلقة بخضوع لغة المستغلين إلى لغة الرازحين تحت الاستغلال لا تتفق مع حقائق الواقع .

211 - ولم يبدأ النقد الجماعي لنظرية مار في الاتحاد السوفييتي إلا عندما بدأت السلطة السياسية العليا (ستالين) في الاهتمام بحالة اللسانيات السوفييتية[٢٥] غير المرضية .

وقد جرى تفنيد لنظريات مار باستخدام مقولة بسيطة ترى أن اللغة ، بما هي ظاهرة متميزة ، لا يمكن أن ترتبط ارتباطاً مباشراً ببنية أساسية أو فوقية . وقد أسقطت الآراء الأربعة التالية كل الأفكار التي يقوم عليها أساس نظرية مار ، وهي آراء نشأت عن المقولة التي سبق ذكرها ، إسقاطاً تاماً :

١ - من المعروف جيداً أن لكل أساس بنيته الفوقية ، التي ترتبط به ارتباطاً لا انفصام له ، حتى إن انهيار الأساس يعني اختفاء البنية الفوقية . وفي روسيا ، ومنذ عهد الثورة فصاعداً تم القضاء على الرأسمالية وأسست الاشتراكية ، ومع هذا فلم تدخل اللغة مرحلة جديدة .

٢ - كل بنية فوقية تخدم قاعدتها ، مما يعني - في هذه الحالة الخاصة - أن كل طبقة اجتماعية يجب أن يكون لها لغتها الخاصة . ولكن الدول الأوروبية الحديثة يتحدث فيها الرأسماليون والبروليتاريون لغة واحدة .

٣ - ترتبط البنية الفوقية بأساسها ارتباطاً زمنياً ، مما يعني أنها لا يمكن أن تعيش طويلاً بعيداً عنه . ولكن اللغة الروسية التي استخدمها بوشكن Pushkin تجاوز عمرها كلاً من الاقطاعية والرأسمالية ، وما زالت تؤدي وظيفتها حتى في ظل الاشتراكية بوصفها مثلاً لأعلى إنجاز لغوي .

٤ - لا ترتبط البنية الفوقية ارتباطاً مباشراً بالنشاط الإنتاجي للإنسان ، وليس كذلك اللغة . فمظاهر التقدم الجديدة في المدنية تدخل مصطلحات جديدة في حياة المجتمع ، على الرغم من أن الأساس يبقى بدون تغيير .

وخلال الحقبة التي كانت فيها نظريات مار واقعة تحت وابل من نيران النقد ، أعقبت تلك الملاحظات النقدية - التي وصمت في النهاية نظريات مار بعدم الكفاءة على أساس ماركسي - مناقشات[٢٦] أخرى قامت على أساس متين .

212 - وأدت نظرية مار إلى وقوع خصام طويل مع التراث العلمي لتطور اللسانيات الكلاسيكية في الاتحاد السوفييتي ، كما أدت أيضاً إلى عزله عن جميع الأحداث اللغوية الأساسية التي كانت تقع في بقية العالم . وكانت هذه هي الخسارة الكبرى التي منيت بها اللسانيات السوفييتية من جراء نظرية مار ، وهي خسارة أفدح حتى من كونها ضياع سنوات عمل طويلة كرست لتطوير نظرية علمية كانت خاطئة في أساسها .

وكانت النتائج الإيجابية الخاصة بالحقبة المارية قليلة حقاً ، ولكنها شملت استخدام الدراسات المتصلة بجميع الطرق المختلفة ، التي عكست فيها دلالات الكلمة أشكال الحياة الاجتماعية المختلفة ، كما شملت كذلك اهتماماً متزايداً بالعدد الكبير من لغات الاتحاد السوفييتي التي لا تنتمي إلى اللغات الهندية - الأوروبية .

إحالات

213 - نشرت مجموعة مؤلفات مار (في خمس مجلدات) ما بين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٧ في لينجراد تحت عنوان «أعمال مختارة»

Izbrannye raboty. AN SSSR, Gosud akademija istorii material'noj kultury).

وللاطلاع على أفكار أنصار النظرية المارية المتأخرين انظر إ . إ . مشيانينوف «مذهب جديد في اللغة - التنميط المرحلي»

I. I. Messčaninov Novoe Učenie o jazyke - Stadialnaja tipologija (Leningrad, Gosudarstvennoe social'no-ekonomičeskoe i, datelstvo, Leningradskoe otdelenie, 1936).

و «اللسانيات العامة». . Obšče jazykoznanie (Leningrad, 1936).

وانظر أيضاً : هربرت روبنشتين Herbert Rubenstein : «الصراع الحديث في اللسانيات السوفييتية»

The recent conflict in Soviet Linguistics", Lg, 27, No 3 (1951), pp. 281 - 287.

- لورنس ل . توماس : «النظريات اللسانية عند ن . ج . مار»

Lawrence L. Thomas, The linguistic Theories of N. J. Marr (Berkeley and Los Angeles, 1957).

أما الجدل الذي أدى إلى الإحاطة بالمارية بوصفها نظرية علمية فقد دار على صفحات الجريدة السوفييتية «برافدا» في مايو ويونيو ويوليو من عام ١٩٥٠ (Stalin's articles: 20. VI and 4 VII) .

الحــواشي

(٢٤) تتفق هذه النظرية مع بعض المفاهيم في لسانيات القرن التاسع عشر الألمانية ، وبصفة خاصة نظرية شلايشر ، انظر فيما سبق ف ٦٣ .

(٢٥) من المعتقد أن السبب في هذا الاهتمام هو أن بعض اللسانيين البارزين ، ممن لم يتفقوا مع أفكار مار ، طلبوا المعونة من الجهات العليا ، عندما تحققوا من عدم قدرتهم على تحسين الأوضاع .

(٢٦) حينئذ فقط - على سبيل المثال - تأكدت لدى جمهور العلماء حقيقة كانت مشهورة منذ وقت طويل ، وهي أن إنجلز Engels أوضح استحالة تفسير التغيرات الصوتية باستخدام الظروف الاقتصادية .

الصوتيات المختبرية

214 ـ كانت الصوتيات Phonetics أول مجال معرفي لساني يؤسس منهجاً منضبطاً للتحليل ، بفضل ما قدمته الآلات التقنية من مساعدة . وقد سهل تقدم علم الفيزياء تحقيق التقدم في الصوتيات ، فكلما زوده علماء الفيزياء بوسائل تقنية للتجارب حققت الصوتيات تقدماً ملحوظاً .

215 ـ ولقد فحص البشر الأصوات منذ أقدم العصور وحتى الآن[٢٧] ، غير أن الصوتيات لم تصبح مجالاً معرفياً جاداً إلا مع بداية القرن التاسع عشر . ويرجع الفضل في ذلك إلى البحث الذي أجراه عالم الرياضيات الفرنسي الشهير ب ج . فورييه B. J. Fourier (١٧٦٨-١٨٣٠) . وكان فورييه أول من قاس الموجات الصوتية . وقد طور نظرية الحزم المكونة Formants (ويقصد بها مجالات الرنين المميزة في الموجة الصوتية ، والتي تعتمد على مكان إحداث الموجة الصوتية في أعضاء النطق) .

216 ـ وتنقسم الصوتيات إلى قسمين : الصوتيات الأكوستيكية acoustic phonetics (التي تدرس طبيعة الموجات الصوتية) ، والصوتيات النطقية (أو الحركية) articulatory (or motor) phonetics (التي تدرس عمليات الكلام التي يعتمد عليها تشكيل الأصوات) . وكان أول عمل مهم في مجال الصوتيات الأكوستيكية هو (وصف للصوامت) قام به ولفجانج

دي كيمبلين Wolfgang de Kempelen ، وكان مخترعاً لإحدى الآلات الموسيقية[٢٨] . أما أول عمل منهجي في الصوتيات النطقية فكان لعالم النفس هـ . فون هيلمهولتس[٢٩] H. von Helmholtz .

217 ـ وكان الفرنسي ب . ج . روسلو P. J. Rousselot أول عالم صوتيات مختبرية experimental phonetics بين المتخصصين في قضايا اللغة (يلاحظ أنه بالإضافة إلى مصطلح مختبري experimental يستعمل أيضاً المصطلح معملي أو آلي instrumental ، وإن كان المصطلح الأول أكثر شيوعاً) . وقد أدخل روسلو جهاز «الكيموجراف» Kymograph الراسم الكهربائي للذبذبات في دراسة الصوتيات (ويستخدم لقياس الطاقة النطقية ، وإن كان قياسه غير دقيق إلى حد ما) وجهاز سقف الحنك الصناعي palatogramme (ويظهر الأثر الذي يصنعه النطق باللسان على حنك صناعي يجري إدخاله لهذا الغرض في فم أحد الأشخاص عند نطقه بأصوات أو كلمات مختارة عن قصد) . وقد رسخت تقاليد البحث الصوتي أساساً بتأثير وصفه[٣٠] لما أنجزه من بحوث صوتية استخدم فيها هذه الآلات .

218 ـ وقد اختصت دراسة الصوتيات في القرن التاسع عشر بعناية ملحوظة . ومن بين الباحثين الذين تركوا أعمالاً متميزة في هذا المجال (من أمثال بروكهBrüke ، جرامونت Grammont ، ماير Meyer وآخرون) يبرز اثنان بصفة خاصة لما أحدثاه من تأثير في معاصريهما ، وهما : سيفرز Sievers«أسس فسيولوجيا الأصوات» Grundzuege der Lautphysiologic

١٨٧٦) وسويت Sweet «مختصر في الصوتيات» Handbook of Phonetics, 1877) . وقد أرسى سويت وسيفرز في الواقع أسس الصوتيات الحركية .

219 ـ ولم يكن جميع علماء الصوتيات في القرن التاسع عشر سواءً في استخدامهم للأجهزة عند قيامهم بالتحليل الصوتي . بل إن بعضهم كان في شك من جدوى مثل هذه المساعدة (مثل سيفرز) ، وهو ما يمكن فهمه نظراً إلى أن الآلات في ذلك الوقت كانت بدائية إلى حد ما . ولم يبدأ علماء الصوتيات في اكتساب المساعدات التقنية التي تتسم بمزيد من الجودة إلا بعد الحرب العالمية الأولى .وقد ساعدت هذه الآلات الحديثة في النهاية على إعطاء إجابات صحيحة لتساؤلات أساسية كثيرة في الصوتيات[٣١] . بل إن هذه الآلات قد ساعدت على توسيع دائرة الهموم العلمية ، وبسط مجال البحث الصوتي على نحو فاق أحلام الباحثين حتى ذلك الحين .

220 ـ وفي العشرينيات من هذا القرن كانت ألمانيا على رأس المبرزين في الصوتيات المعملية في أوربا[٣٢] . ولكن البحث الصوتي الذي يستخدم الآلات كان يتطور سريعاً في الوقت ذاته في الولايات المتحدة الأمريكية . وفيها على التحديد جرى إدخال تحسينات جذرية على طرق التحليل المنضبطة في الصوتيات ، وذلك بفضل الالكترونيات .

221 ـ وقبل ١٩٣٠ بدأ المهندسون الأمريكيون في بحث الموجات الصوتية باستخدام آلة تقنية جديدة عرفت بالأنابيب المجوفة vacuum tubes . وأدخل هارفي فليتشر Harvey Fletcher الأنابيب المجوفة في

التحليل الصوتي التجريبي . وسرعان ما أصبحت دراسته عن «الكلام والسمع» Speech and Hearing (نيويورك ، ١٩٢٩) مألوفة عند علماء الصوتيات .

222 ـ ولكن كان استخدام «المطياف» Spectrograph هوما أحدث ثورة حقيقية في الصوتيات . وهو جهاز يجعل رؤية الصوت ممكنة : فالحزم المكونة التي تميز الأصوات تظهر للعين على هيئة خط . وكان الأمريكي مارتن جوس Martin Joos أول باحث لساني استخدم تحليلاً طيفياً مفصلاً في وصف الظواهر الصوتية . ويظل كتابه « الصوتيات الأكوستيكية» Acoustic Phonetics (١٩٤٨) أحد الأعمال الأساسية في الصوتيات الحديثة .

223 ـ وفي النصف الثاني من القرن العشرين حققت الصوتيات تقدماً ملحوظاً في كل الجهات . إن الصوتيات الآن ترتكز بالكلية على الطرق التجريبية التي تتضمن الاستخدام الواسع للآلات ، ويمكن أن تعد منهجاً معرفياً ذا صلة وثيقة بالفيزياء كصلته باللسانيات (بل بعلم وظائف الأعضاء حين تعنى الصوتيات بدراسة العمليات الحركية) .واكتسبت الصوتيات أهميتها نظراً لأن العون الذي تقدمه هو ذو أهمية متزايدة لإنجاز المشروعات اللسانية الكبيرة في هذا العصر[٣٣] .

224 ـ ويتصل البحث الصوتيمي اليوم اتصالاً وثيقاً بالبحث في الصوتيات حتى إنه ليستحيل إقامة خط فاصل دقيق بين هذين المجالين المعرفيين . وقد قام التحليل الصوتي للأصوات ، الذي أجرى باستخدام

أحدث الأجهزة التقنية ، بدور حاسم في دراسة السمات الفارقة في الصوتيم .

225 ـ وقد حفز تطور نظرية المعلومات (انظر فيما يلي ف ٤٤٩) ما يسمى بالبحث «الادراكي» perceptual في مجال الصوتيات ، وهو البحث الذي يهدف إلى تحديد السمات الصوتية ذات الأهمية لتحقيق الوضوح تحديداً يقوم على أسس دقيقة . ومثال ذلك الاختبارات التي يجري تنظيمها بحيث يتعرض صوت مسجل على شريط لنوع من التشويه ، ثم يطرح على المستمعين سؤال حول مدى ما فهموه منه . وفي هذا الصدد أيضاً أثبتت تسجيلات أجهزة الرسم الطيفي جدواها . فحين تتحول ظاهرة أكوستيكية إلى ظاهرة مرئية تتوافر إمكانات أكبر لرصد ما هو حيوي لتحقيق الوضوح ، وما يمكن إغفاله دون إفساد للفهم .

واليوم ينشد الباحثون العون أيضاً في هذا الاتجاه ، حتى يتمكنوا من تفسير الظاهرة المعقدة المتعلقة بالفروق التي تقع بين الأفراد عند إدراك الكلام .

226 ـ وفي الولايات المتحدة الأمريكية تم حديثاً إنجاز طريقة لتحويل «الكلام المرئي» visible speech تلقائياً إلى أصوات . كما ابتكرت أيضاً طريقة لإنتاج كلام يتم تخليقه بطريقة صناعية باستخدام الأجهزة الالكترونية . وهذا كله يهدف إلى إثراء معرفتنا بالصوتيات الإدراكية ، وهوالمجال الذي يمكن أن يكون استخدامه ذا فائدة بالغة في المجال العملي .

إحـــالات

277 ـ أهم الأعمال الأساسية القديمة في الصوتيات هي الكتب التي سبقت الإشارة إليها لكل من روسيلو (انظر فيما سبق ف ٢١٧)، سويت (انظر فيما سبق ف ٢١٨)، سيفرز (ف ٢١٨)، وينبغي أن يضاف إليها الكتيب المشهور لعالم الصوتيات الفرنسي م. جرامونت: **«بحث في الصوتيات»** Traité de phonétique (انظر فيما سبق ف ١٦٤).

وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية كانت الدراسات التالية أيضاً واسعة الانتشار: ر. هـ. ستيتسون R. H. Stetson: **«الصوتيات الحركية»** Motor phonetics، **«الملفات الهولندية في الصوتيات التجريبية»**

Archives Néerlandaises de phonétique expérimentale III (1928), PP. 1-216

ودراسة أ. سوتافالتا A. Sotavalta: **«علم الصوتيات وعلاقته بالعلوم الأخرى»**

Die Phonetik und ihre Beziehung zu den Grenzwissenschaften (Helsinki, 1936)

وتشمل الأعمال الأساسية الأمريكية الأولى في الصوتيات كتاب: ك. ل. بايك K. L. Pike: **«الصوتيات، تحليل نقدي للنظرية الصوتية وتقنية لوصف عملي للأصوات»**

A Critical Analysis of Phonetic Theory and a Technique for thePractical Description of Sounds (Ann Arbor, 1943)

ولكتاب الباحث الإنجليزي د . جونز «الفونيم ، طبيعته واستعماله» The Phoneme, its Nature and Use (Cambridge, 1950) منزلة كبيرة بين علماء الأصوات .

ولا تكتفي الدراسة المهمة التي قام بها م . جوس M. Joos «الصوتيات الأكوستيكية» Acoustic Phonetics (Suppl. to L.g, vol. 24, No. 2, 1948) بعرض الفرص التي يقدمها استخدام المطياف في الصوتيات ، بل تعطي أيضاً إشارة عامة إلى مزايا استعمال الآلات في العمل اللساني . وتتضمن الدراسة أيضاً نظريات معينة ، كانت مهمة في حينها ، حول إدراك الأصوات في صلتها بقضية الوضوح .

وحظي كتاب ن . إ . جينكين N. I. žinkin : «آليات الكلام» Mehanizmy reči (Moscow, 1958) بتقدير كبير . وفيه وضح للمرة الأولى دور الحجاب الحاجز في تشكيل الأصوات .

ومن أحسن المتون المعروفة في الصوتيات ما يلي : ر . م . س . هفنر «الصوتيات العامة» General Phonetics (ماديسون ، ١٩٤٩) ؛ إ . ديث E. Dieth «موجز الصوتيات» . Vademekum der Phonetik (برن ، ١٩٥٠) ؛ ف . براندنشتين W. Brandenstein : «مقدمة في الصوتيات وعلم النظم الصوتية» (ڤيينا ، ١٩٥٠) ؛ Einfuehrung in die Phonetik und Phonologie ؛ ل . ر . زيندر L.R. Zinder : «الصوتيات العامة» Obščaja Fonetika (لينينجراد ، ١٩٦٠) .

وتقدم دراسة ج . تريجر G. Trager : «الصوتيات ، معجم وجداول»
Phonetics, Glossary and Tables , SIL Occasional Papers, 6 (New York, University of Buffalo, 1958), PP. 1-27
معلومات مفيدة عن المصطلحات الأساسية للصوتيات الحديثة

وتمدنا الدراسات التالية بمدخل للمنهج التجريبي الحديث :

ل . پوتر K. Potter ، ج . أ . كوپ G. A. Kopp ، هـ . س . جرين H. C. Green : «الكلام المرئي» (نيويورك ، ١٩٤٧) ؛

إ . پولجرام E. Pulgram : «مدخل إلى التحليل الطيفي للكلام»
Introduction to the Spectrography of Speech (= Janua Linguarum 7) (The Hague, 1959)
وهو عمل متميز في اللسانيات : يعطي وصفاً واضحاً لأسس التحليل الطيفي دون إيغال في التفاصيل) ؛

س ج . م . فانت C.G. M. G. Fant : «حول إمكان التنبؤ بمستويات الحزم المكونة والمخططات الطيفية من خلال ترددات الحزم»
"On the Predictability of Formant Levels and Spectrum Envelopes from Formant Frequencies", For Roman Jakobson, PP. 109-121

ويتضمن الكتاب الضخم «دليل الصوتيات» Manual of Phonetics (الذي أشرف عليه ل . قيصر I. Kaiser ، امستردام ، ١٩٥٧) عدداً من البحوث لكتاب بارزين (ياكوبسون Jakobson ، هيل Halle ، بانكونسيللي - كالتسيا Panconcelli-Calzia ، وآخرين) تعطي المعلومات الأساسية عن

تاريخ الصوتيات وموقعها في إطار المجالات اللسانية ، وعلاقتها بعلم النفس وعلم وظائف الأعضاء ، كما يتضمن أيضاً استقراء لأهم المنجزات في مجال التحليل الصوتي الحديث .

وفي كتاب موريس هيل Morris Halle **«النموذج الصوتي للروسية»** The Sound Pattern of Russian (The Hague, 1959) نظرة تأملية ممتازة في تاريخ الصوتيات ولا سيما الجانب التجريبي منها ؛ وبصفة خاصة في الفصل الرابع : **«استقراء نقدي للدراسات الأكوستيكية في أصوات الكلام»** "Critical Survey of Acoustical Investigations of Speech Sounds", PP. 91-109

ويعطي ب . ديلاتر P. Delattre : تقريراً عن تطور الصوتيات التجريبية في الولايات المتحدة في دراسته **«المفاتيح السمعية للكلام : التقرير الأول الصوتيات»** Les indices acoustiques de la parole: "Premier Rapport" , Phonetica, 2 (1958), PP. 108-118 and 226-251

وهناك دراستان لا تقتصران على عرض منجزات الصوتيات التجريبية في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب ، ولكنهما تعرضان لها في العالم بصفة عامة ، وهما الدراستان اللتان نشرتا في وقائع المؤتمر الثامن 8th Preceedings لكل من :

س . ج . فانت **«الآلات الحديثة وطرق الدراسات الأكوستيكية للكلام»** "Modern Instruments and Methods for Acoustic Studies of Speech", PP. 282-358

| فيشر يورجنسن E. Fischer - Jorgensen : «ماذا يمكن أن تسهم به التقنيات الحديثة للصوتيات الأكوستيكية في خدمة اللسانيات؟»

"What can the New Techniques of Acoustic Phonetics Contribute to Linguistics?" PP. 433-499

أما كتاب جونار فانت Gunnar Fant «النظرية الأكوستيكية في إنتاج الكلام - مع إحصاءات على دراسات بالأشعة السينية لتنوعات النطق الروسي» مع قائمة مختارة من المراجع

Acoustic Theory of Speech Production with Calculations on X-Ray Studies of Russian Articulation with a Selective Bibliography (The Haugue, 1960)

- فيمثل أفضل ما حققته الصوتيات الأكوستيكية حتى الآن من نتائج .

الحـــواشي

(٢٦) حينئذ فقط ـ على سبيل المثال ـ تأكدت لدى جمهور العلماء حقيقة كانت مشهورة منذ وقت طويل ، وهي أن إنجلزEngels أوضح استحالة تفسير التغيرات الصوتية باستخدام الظروف الاقتصادية .

(٢٧) على حين انصرف اهتمام اليونانيين أساساً إلى الجانب الأكوستيكي في الأصوات (انظر فيما سبق ف ١٤) ترك لنا النحاة الهنود تصنيفاً ممتازاً للأصوات وفقاً لخصائصها النطقية . وكان من بين أهم الأعمال التي أنجزت في مجال الصوتيات قبل القرن التاسع عشر محاولات صنع «آلات موسيقية» ، أي آلات يمكنها «الكلام» . وفي زمن يعود إلى بداية القرن السابع عشر (١٦٨١) صنع الفيزيائي الإنجليزي روبرت هوك Robert Hooke هذه الآلة التي تنتج أصواتاً . وكانت هناك محاولات مماثلة في فرنسا وألمانيا خلال القرن الثامن عشر .

(٢٨) و . دي كمبلين : «آلية الصوت الإنساني بجانب وصف آلة متحدثة»

Mechanismus der menschlichen Stimme nebst der Beschreibung einer sprechender Maschine (Vienna, 1791).

(٢٩) علم التذوق الصوتي Die Lehre von den Tonempfindungen (1862)

(٣٠) نشرت في كتاب «أسس الصوتيات التجريبية»

Principes de Phonétique expérimentale (Paris, 1897 - 1905)

(٣١) بفضل مساعدة الآلات الدقيقة تعلمنا أخيراً أن الطبيعة الحقيقية للحركات Vowelsتعتمد على تركيز الطاقة في الترددات التي تتميز بها الذبذبة .

(٣٢) أحرز الألماني كارل شتومف Carl Stumpf ، مثلاً ، نجاحاً ملحوظاً في حل

المشكلات الصوتية بمساعدة الآلات . ودراسته «الأصوات الكلامية» Die Sprachlaute (برلين ، ١٩٢٦) ـ وإن كانت قد عدت بالغة القيمة في وقت ما ـ تعد الآن دراسة قديمة بسبب اكتشاف الطرق التقنية المتقدمة .

(٣٣) أطلق الباحث الألماني الشهير إ . تسفيرنر E. Zwirner على الصوتيات الحديثة التي كان أحد أنصارها مصطلح «علم القياسات الصوتية» Phonometrics ؛ مؤكداً بذلك الإسهام القيّم الذي يسهم به البحث الصوتي الحديث في اللسانيات . وقد استخدم هذا المصطلح ليتجنب المصطلح المألوف الذي يذكر بزمن كانت دراسة الأصوات فيه مجالاً معرفياً ذ وضع علمي مختلف كل الاختلاف .

١٥

اللسانيات البنوية

228 ـ بدأت حقبة اللسانيات البنوية قبل عام ١٩٣٠ في أوربا والولايات المتحدة معاً .

وشأن البنوية في اللسانيات كشأنها في فروع الدرس العلمي الأخرى ؛ إنها تعني ـ ابتداءً ـ مقاربة جديدة لحقائق معروفة بالفعل ، يُعاد النظر فيها تبعاً لوظيفتها في النظام . ويتضمن الموقف البنيوي ـ بالإضافة إلى ذلك ـ إلحاحاً على الوظيفة الاجتماعية(أي التواصلية) للغة ، وتمييزاً واضحاً بين الظواهر التاريخية والخصائص المميزة للنظام اللغوي في لحظة زمنية بعينها .

229 ـ وقد ظهر رواد هذه الحقبة الجديدة بأماكن متفرقة في الماضي ؛ في تاريخ مبكر يعود إلى القرن التاسع عشر[1] . غير أن هذه المحاولات المنعزلة لم تحظ من معاصريها بالاهتمام . وكان الصوت الوحيد الذي جعل من نفسه بحق صوتاً مسموعاً إلى درجة لا تزال أصداؤها تتردد حتى اليوم هو صوت فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (انظرليلي ف ٢٤٢) . إن دي سوسير يعد الآن مؤسس اللسانيات البنوية ، وذلك لأنه كان أول من ألهم معاصريه في قوة بأفكار جديدة عن اللسانيات ، بل إن أولئك الذين لم يخضعوا خضوعاً مباشراً لتأثيره بدأوا من الأسس النظرية نفسها التي تضمنتها آراؤه .

230 ـ وفيما يلي نورد مقولات دي سوسير الأساسية عن اللغة ، وهي المقولات التي يمكن أن نطلق عليها أبجدية اللسانيات البنيوية :

إن اللغة **نظام** ، ويجب أن تدرس على هذا : فلا ينبغي أن تؤخذ الحقائق الفردية معزولة بعضها عن بعض ، بل على أنها دائماً أجزاء من نسق كلي ، آخذين في حسابنا أن كل جزء تفصيلي يتحدد تبعاً لمكانه من النظام .

واللغة ـ ابتداء ـ هي **ظاهرة اجتماعية** تخدم غرض التفاهم المتبادل ، وينبغي أن تدرس على هذا : فالارتباط بين الصوت والمعنى يجب أن يتولد في العقل ، لأنه ذو أهمية حاسمة في عملية التواصل ، والتطور التاريخي للغة وحالتها الراهنة هما ظاهرتان مختلفتان اختلافاً جوهرياً . وليس من المقبول من حيث المنهج استحضار المعيار التاريخي في تفسير الحالة الحاضرة للغة ما .

231 ـ وتتضمن البنيوية في اللسانيات ـ وكذلك في مجال التخصصات الأخرى ـ أمرين : بحثاً عن الثوابت (انظر فيما سبق ف ١١٦) ، وجهداً لعزل الظواهر ذات الصلة بالنظام Relevant من الظواهر الزائدة عليه Redundant .

ويطمح جميع ممثلي اللسانيات البنيوية إلى إيجاد معايير موضوعية في التحليل(مما ينبغي معه استثناء المعايير الذهنية) .

232 ـ تميزت بداية البنيوية في اللسانيات بتنوع المواقف تبعاً للمعايير المستخدمة في تحديد وحدات التحليل اللساني . وقد تم اليوم تنحية

الفروق الأساسية ، بل إنه يوجد الآن تقارب في المناهج وفي الهموم اللسانية من حيث مجالها واتجاهها .

233 ـ بدأت البنيوية تطورها في أوربا والولايات المتحدة في آن واحد ، ولكن دون مزيد من الاتصال المتبادل بينهما[٢] . ومنذ البداية يتمثل الفارق الجوهري بينهما في أن اللسانيات الأوربية قامت على أساس من تأثير أفكار دي سوسير ، على حين أن دي سوسير كان ـ من الوجهة العملية ـ مجهولاً في أمريكا[٣] .

234 ـ وهناك ثلاثة أنماط أساسية من البنيوية الأوربية . وكان أول هذه الأنماط مدرسة جينيف Geneva School (انظر فيما يلي ف ٢٦٢) . وكانت هذه المدرسة هي البنيوية التقليدية كما يمثلها دي سوسير ، تلك التي تطورت فيما بعد إلى اتجاه له خصائصه المميزة . وأيا ما كان الأمر فإن إنجازات هذه المدرسة تنتمي إلى الماضي ، وإسهامها في المذاهب اللسانية اليوم ذو أهمية هامشية . ويتمثل النمط الثاني في أعمال مدرسة براغ Prague School وأنصارها (وتتشكل أساساً من علماء مبرزين في اللسانيات السلافية) (انظر فيما يلي ف ٢٩٢) . وتعرف مدرسة براغ أيضاً باسم اللسانيات الوظيفية Functional Linguistics (إذ إنها تهتم أساساً بالطريقة التي تؤدي بها الوحدة الصوتية وظيفتها في علامة تواصلية) . أما الآن فالتسمية السائدة لها هي المدرسة الصوتولوجية Phonological School (ذلك أن أنصار مدرسة براغ كانوا أساساً معنيين بالمشكلات الصوتولوجية) . وقد قامت المدرسة بدور ذي أهمية بالغة في تطور اللسانيات . وكانت أفكارها ومناهجها على وجه الإجمال أكثر الأفكار

والمناهج تمثيلاً للسانيات البنيوية بوجه عام . وقد نشأت الرؤية النظرية لأنصار البنوية هؤلاء من جذور اللسانيات التقليدية . فقد أطلقوا أنفسهم منذ البداية من ربقة التطرف ، وظلوا على اهتمامهم أساساً بالحقائق اللغوية الملموسة ؛ فهم لم ينزعوا إلى تجريد اللغة(على نحو ما فعل أصحاب الجلوسيمية ، انظر فما يلي ف ٣٦٨) ولم يلحوا على الوصف الشكلي المجرد دون أدنى إشارة إلى المعنى(وهو ما يمكن أن يكون مطابقاً للموقف البلومفيلدي ، انظر فيما يلي ف ٣٢٩) . وقد مارست مدرسة براغ اندفاعاً صاعداً ، فقد استحضرت أشد المواقف تقدمية في اللسانيات التقليدية لتدخله إلى النظرة العصرية الجديدة في مجال المنهج البحثي . أما النمط الثالث فيمثله أصحاب المدرسة الجلوسيمية (انظر فيما يلي ف ٣٧١) ، تلك التي يطلق عليها أحياناً السوسيرية المحدثة Neo Saussurianism (بسبب نزعتها المعلنة إلى التجريد مما ينسجم مع تفسير دي سوسير للعلامة اللسانية) . وتدين هذه المدرسة يقيناً بالكثير لتعاليم(دي سوسير ، كما هي مدينة بالقدر نفسه للمنطق الرمزي(انظر فيما يلي ف ٣٦٨) ، واهتمامها اليوم ببناء نظرية جامعة في العلامة اللغوية أكثر من اهتمامها بدراسة مشكلات لسانية محددة .

235 ـ خرجت أصول الحقبة البنيوية للسانيات الأمريكية من جامعة ييل . وقد أسس بلومفيلد المدرسة البنيوية التي تمتاز بالمنهج التوزيعي Distributional في التحليل(انظر فيما يلي ف ٣٣٠) . ومن ثم عرفت هذه المدرسة بعدد من الأسماء المتنوعة وهي : مدرسة ييل Yale University وأصحاب بلومفيلد Bloomfieldians و التوزيعيون Distributionalists .

وحين ولّى الأمريكيون آخر الأمر وجوههم شطر إنجازات البنيوية الأمريكية تبين لهم(إذا ما حُلّت مشكلة الفروق المصطلحية) وجود التقاء بين مدرستهم التوزيعية وأصحاب الجلوسيمية[٤] في معظم النقاط .

ولم يشاطر التوزيعيون ولا أصحاب الجلوسيمية مدرسة براغ اهتمامها الجوهري بالسمات المائزة للوحدات اللغوية(انظر فيما يلي ف ٣٠٢) ، ولكنهم ركزوا اهتمامهم على توزيع هذه الوحدات(أي على القواعد الحاكمة على إمكان توارد هذه الوحدات في سلسلة الكلام) .

ويرى الأمريكيون أن صياغة قواعد توزيع الوحدات اللغوية في سلسلة الكلام هي المقدمة الوحيدة التي يمكن بعدها تجميع أوفر المعلومات حظاً من الموضوعية والدقة عن وظيفتها داخل النظام . أما من جهة أصحاب الجلوسيمية فهم لا يبدون اهتماماً بالمظهر المادي للغة ، بل ينحصر همهم في تحديد جميع أنماط العلاقات القائمة بين العناصر التي يجري تنظيمها في نظام للتواصل . وهكذا تمثل كلتا المدرستين منهجاً شكلانياً Formalistic على التحديد ؛ فهما تقاربان التحليل اللساني دون اعتبار مقولة المعنى . غير أن التوزيعيين الأمريكيين وأصحاب الجلوسيمية يختلفون فيما بينهم اختلافاً جوهرياً في مفهوم أساسي واحد ؛ إذ يعنى الفريق الأول بالمادة اللغوية . على حين يهمل الفريق الثاني عن قصد المظهر(الصوتي) المادي من اللغة .

236 ـ كان وصول رومان جاكوبسون ، الممثل الرائد لحلقة براغ إلى الولايات المتحدة(خلال الحرب العالمية الثانية) من أهم الأحداث في

تاريخ البنيوية اللسانية غير البعيد . وسرعان ما أصبحت جامعة هارفارد أكثر مراكز حلقة براغ تميزاً ؛ حيث جرى تدريب جيل جديد من اللسانيين المحدثين . وفي أول الأمر وقعت صدامات حادة في الرأي بين مركز ييل ومركز هارفارد ؛ فلم يهمل رومان جاكوبسون وأتباعه استعمال المعايير التوزيعية في التحليل ، على الرغم من ثباتهم بإصرار على نظرية السمات المائزة . أما موقف أصحاب بلومفيلد في هذا المقام فقد تميز بالتحيز الواضح ؛ فقد استمسكوا بأن المقاربة التوزيعية للظاهرة اللسانية ينبغي أن تكون هي المقاربة الوحيدة التي يسمح بها ؛ بل إنهم حاولوا أن يحلوا المشكلات الصوتولوجية حلاً جامعاً مانعاً في ضوء نظرية التوزيع . وقد خرجت مدرسة براغ بالنسبة للدرس الصوتولوجي ظافرة ؛ فالدراسات الصوتولوجية تقوم اليوم على أساس فحص السمات المائزة(انظر فيما يلي ف ٣٠٢) . أما على الطرف الآخر فقد برهنت الترجمة الآلية على قيمة منهج بلومفيلد في مجال البحث الصرفولوجي والنحوي .

وقد ساعد تطور نظرية المعلومات وتوغل المعايير الرياضية في اللسانيات على تنحية معظم الفروق القائمة بين هاتين المدرستين . والآن أصبح القول الفصل في عالم اللسانيات لباحثين لسانيين من «النوع المختلط» ، وهذا هو نووام تشومسكي مؤسس النحو التحويلي مثال لهذا النوع المختلط ، فهو تلميذ لعالم توزيعي ، وضليع في إجراءات اللسانيات الرياضية ، وعارف بإنجازات مدرسة هارفارد(أي بإنجازات مدرسة براغ

البنيوية على النحو الذي حدَّثها به رومان جاكوبسون) . وموريس هيل Morris Halle (الذي أدخل لأول مرة المقاربة التوليدية إلى الدرس الصوتولوجي) تلقى تدريبه في هارفارد ، وتمرس بالمذهب التوزيعي واللسانيات الرياضية ونظرية المعلومات . وعالم الدلالة واللهجات أوريل ڤينريخ Uriel Weinriech أيضاً كانت له نظرته المعددة الجوانب .

237 ـ ولا ريب أن توغل البنيوية في الاتحاد السوفيتي كان ذا أهمية بالغة في تاريخ اللسانيات الحديثة ، ولم يحدث ذلك إلا بعد انهيار الماريَّة Marrism (انظر فيما سبق ف ف ١٩٧ـ٢١٢)[٦] . وقد كانت البنيوية السوفيتية أول الأمر ذات صفة اصطفائية واضحة[٧] . وعلى الرغم من أنها لمَّا تتجاوز هذا الطور إلى الآن ـ ثمة اتجاه ملحوظ نحو اللسانيات النفسانية Psycholinguistics (انظر فيما يلي ف ٣٥٢) في ارتباطها بنظرية المعلومات والترجمة الآلية . ومن المتوقع لجيل الشباب من البنيويين السوفييت أن تكون لهم إنجازاتهم البحثية الجديدة والأصيلة في المستقبل القريب .

238 ـ ونورد فيما يلي البرنامج الأساسي للحقبة البنيوية في اللحظة الراهنة :

(أ) اللسانيات الوصفية Descriptive Linguistics هي دراسة بنية اللغة بمعايير موضوعية . وتتكئ هذه المعايير على عملية الفصل بين ما هو ذو صلة بالظاهرة المدروسة وما هو زائد(أو فضلة) ، والكشف عن وجوه التقابل المؤسسة على مبدأ الثنائية Binarity .

(ب) ينبغي أن تتجلى في الدراسات الوصفية اللسانية تراتبية الظواهر[أي انتظامها الهرمي] داخل النظام . وعند تعريف ظاهرة ما ينبغي أن يظل المستوى Level الذي تتجلى فيه الظاهرة موضع الاعتبار بانتظام (ويعني ذلك أن يحدد القائم بالتحليل أي نوع من المنظومات اللسانية ينبغي استحضاره في الذهن عند تعيين وظيفة وحدة بعينها داخل النظام) .

(جـ) تحاول التعريفات بالظواهر تحصيل أكبر قدر ممكن من البساطة Simplicity والدقة Exactness والاتساق Consistency (ولتحقيق هذه الغاية تستخدم أنواع من الرموز والمعادلات والمخططات والرسوم التوضيحية حيثما أمكن ذلك) .

239 ــ أوجدت اللسانيات البنيوية مفاهيم جديدة تتطلب مصطلحية جديدة . وقد أعان الاتصال غير السليم بين المدارس المتنوعة على نمو المصطلحات المختلفة وتوزيعها بطريقة تفتقد الانضباط والمعقولية(إذ تستعمل أحياناً مصطلحات واحدة لتسمية ظواهر متعددة) . وقد زود هذا الأمر النقاد بحجج مختلفة ، وسبّب ألواناً من سوء الفهم بين أنصار المدارس المختلفة . وتبذل الآن الجهود لتأسيس نظام مسوق من المصطلحات .

240 ـ وبفضل التطور الثابت للمنهج البنيوي أصبح الانتفاع بالمنجزات اللسانية أمراً مؤكداً وغير قابل للجدل يوماً بعد يوم ، فدراسة

اللغات الأجنبية تتقدم باستعمال الكتب الدراسية النحوية الفعالة ، كما يتعاون المهندسون واللسانيون على إنتاج آلات الترجمة . وقاد هذا التحسن نفسه إلى إنتاج وسائل للتواصل على درجة كبيرة من التحسن(مثل الهواتف والمذياع وجهاز الاسطوانات ومكبر الصوت وغير ذلك) . وحتى الأطباء اليوم يبدون رغبة متزايدة للتعاون مع الباحثين اللسانيين(في فحص الاضطرابات العقلية ، وفي مجال علاج عيوب الكلام والسمع) . أما بالنسبة لعلماء النفس فقد ولوا وجوههم شطر استنباط طرق جديدة للعملية التعليمية(كيف يجري تذكر الحقائق وتعلمها بسهولة . . . وغير ذلك) . إن كل شيء يبدو أنه يسوغ الاعتقاد بأن نتائج قيمة سيتم تحقيقها في المستقبل في هذا المجال .

إحـــالات

241 ـ من أوائل الأعـمـال التي عرفت مفـهوم البنوية في اللسـانيات مـقـال هـ . ج . بوس H. J. Pos بعنوان «**آفاق البنيوية**» "Prospectives su Structuralism", TCLP, VIII, (1939), PP. 71-79.

وعالج ف . برونـدال V. Brondal : المـوضـوع نفسه في دراسة بعنوان «**اللسـانيـات البنيـوية**» "Linguistigue Structurale, Acta Linuistica", I,1 (Copenhagen, 1939), PP. 2-10 . ودراسـة إي . كـاسـيـرير E. Cassirer «**البنيوية في اللسانيات الحديثة**»

"Structuralism in Modern Linguistices", Word, 1,2(1945), PP. 99-120.

ـ عرض يلمسليف آراءه فيما يختص بالمفاهيم الأساسية للبنيوية في مقالة «**منهج التحليل البنيوي في اللسانيات**»

'Metod Strukturogo analiza v linguistike, Acta Linguistica", VI, 2-3 (Copenhagen 1950-51), PP. 57-67.

ـ ويعـرض إي . هاوجـين E. Haugen : في مـقـالة «**اتجـاهات في اللسـانيات الحديثة**»

"Directions in Modern Linuistics", Lg, 27, 3(1951), PP. 211-222.

المـبـادئ البنيـوية في صـورة تواز بين مـدرسـة بيل والمـدرسـة الجلوسيمية .

ويعطي ا . مارتينيه A. Martine : في دراسته «اللسانيات البنيوية»
"Structural Linguistics" Anthropology Today, (Chicago, 1953), PP. 574-586

تقويماً مقارناً للبنيوية لدى مدارس يِل ، وبراغ والجلوسيمية . وفي دراسته التي عنوانها «وحدة اللسانيات»
"The Unity of Linguistics", Linguistics Today (New York, 1954), PP. 1-5

يضع تحديداً في خطوط عريضة للعلاقة بين اللسانيات التقليدية واللسانيات البنيوية .

ويتحدث س .ك . شاوميان S. K. Šumjan : عن البنيوية مع تركيز خاص على وجهات النظر التي هي أكثر شيوعاً لدى البنيويين السوفييت . وذلك في مقال له بعنوان :«في ماهية البنيوية اللسانية»

"O Succ̆nosti Strukturnoj Lingvistiki", V ja, V, 5(1956), PP. 38-54

ومقال آخر له بعنوان «اللسانيات البنيوية بما هي نظرية أصيلة في اللغة»

"Strukturnaj'a Lingvistika Kak Immanentnaja teorija Jazika" (Moskova, ANSSSR, Institute Stavjanovedenija, 1958).

ـ وهناك شرح للمصطلحية والمفاهيم المعتمدة لدى مدرسة براغ في كتاب ي . ڤاشيك J. Vachek : « المعجم اللساني لمدرسة براغ» .

"Dictionnaire de Linguistique" L'ecole du Prague (Utrecht - Antwerp 1960)

وقام أ . ب . هامب E. P. Hamp بشرح للمصطلحية التي تبنتها اللسانيات الأمريكية في كتابة : **«معجم للاستعمال اللغوي التقني الأمريكي ١٩٢٥-١٩٥٠»**

A Glossary of American Technical Linguistic Usage1925-1950, (Utrecht Antwerp, 1957)

وكذلك فعل جورج ل . تراجر George L. Trager في كتابه : **«الصوتيات : معجم وقوائم»** :

Phonetics Glossary and Tables Occasional Papers, 6(New York, University ofBuffalo, 1958)

وتزودنا المتون الأساسية في اللسانيات الأمريكية بمقدمة للمنهج البنيوي وهي :

- هـ . أ . جليسون H. A. Glesson : **«مقدمة في اللسانيات الوصفية»**

"An Introduction to Descriptive Linguistics" (New York, 2nd rev. ed., 1961)

- جون ب . كارول John B. Carroll في : **«دراسة اللغة»**

"The Study of Language (Cambridge, Mass., 1955").

وهو كتاب جيد في العلاقة بين اللسانيات البنيوية والمجالات المعرفية الأخرى ، ولا سيما علم النفس الحديث .

- وتشارلز ف . هوكيت Chartes F. Hockett في : **«دروس في اللسانيات الحديثة»**

"A Course in Modern Linguistics", (New York, 1959)

وهناك مجموعة دراسات نشرت في نيويورك عام ١٩٥٤ أشرف على تحريرها ا . مارتينيه وا . فيرنخ تحت عنوان **«حاضر اللسانيات»** "Linguistics Today" وهي مقالات تشتمل على طرح لآراء مثيرة تتسم بالتحدي لدى باحثين لسانيين بارزين ينتمون إلى اتجاهات مختلفة .

كذلك هناك مجموعة م . جوس M. Joss بعنوان : **«قراءات في اللسانيات ـ تطور اللسانيات الوصفية في أمريكا منذ ١٩٢٥»**

"Readings in Linguistics" The Development of Descriptive Linguistics in Ameica since 1925 (Washington, 1957)

وقد تضمنت هذه المجموعة مختارات جيدة التمثيل للأعمال التي أثرت تأثيراً حاسماً على تطور اللسانيات الأمريكية .

ويمكن دراسة التيارات ماضياً وحاضراً دراسة جيدة من خلال الدوريات الملائمة ؛ فتطور مدرسة جنيف ـ على سبيل المثال ـ يمكن تتبعه في دورية **«كراسات فردينانْد دي سوسير»**

"Cahiers Ferdinand de Saussure"

(التي تصدرها جمعية جنيف اللسانية في جنيف) . وتتمثل جهود علماء براغ في دراسات نشرت في **«أعمال حلقة براغ اللسانية»**

"Travaux du Cercle Linguistique de Prague, 1929-1939"

أما **المجلة الدولية للسانيات والبوطيقا السلافية»**

The International Journal of slavic Linguistics and Poetics (The Hague)

وهي من أبرز الإصدارات اللسانية ـ فيهيمن عليها أساساً أنصار مدرسة

هارفارد (مدرسة جاكوبسون) . والمنبر المفضل لأصحاب الجلوسيمية هو «أعمال حلقة كوبنهاجن اللسانية» "Travaux du Cercle de Copenhagen"

وكذلك الصحيفة اللسانية ـ المجلة الدولية للسانيات البنيوية

Acta Linguistica; Revue International de Linguistique Structale, Copenhagen"

وتمثل اللسانيات الأمريكية عدد من الدوريات مثل «اللغة» "Language" (مجلة الجمعية اللسانية الأمريكية ، بالتيمور)

(Journal of the Linguistic Society of America, Baltimore).

ومجلة «الكلمة» Word (التي تصدرها حلقة نيويورك اللسانية ، بالتيمور) (The Linguistic Cercle of New York, Baltimore) . ويمكن التماس أوفى مسح للمشكلات التي يجري الآن معالجتها في اللسانيات البنيوية في أنحاء العالم (ولا سيما بالنسبة للباحثين المبتدئين) فيما تنشره الدورية السوفييتية «قضايا اللسانيات» Voprosy Jazykoznanija من اتصالات ومناقشات ومراجعات .

وما سبق ذكره لا يستنفد قائمة الدوريات التي تعالج قضايا اللسانيات البنيوية . وتوجد قائمة بيبلوجرافية للإصدارات اللسانية منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن في البيبلوجرافية اللسانية Bibliographic Linguistique (تقريرات بيبليوجرافية نشرتها اللجنة الدولية الدائمة للسانيين)

Permanent International Committe of Linguists, Utrecht Antwerp).

الحــواشي

(١) في تاريخ متقدم يعود إلى عام ١٨٨٤ أشار مارتي Marty وهو ممثل للسانيات النفسانية Psychological Linguistics (انظر فيما سبق ف ٨٩) - إلى أن وصف الحالة المعاصرة للغة ما ينبغي أن يكون هو الغاية الأساسية للدرس اللساني . غير أن الزاوية العامة لمقاربته كان إلى الفلسفة أدنى منها إلى اللسانية ولذلك لم تحظ آراؤه لدى المتلقين بما تستحقه من اهتمام . وهناك دارسون آخرون كان لهم أفكار تقدمية بالنسبة لذلك الزمن ، ومن أمثلتهم النحاة الاسكيندنافيون (مثل راسك Rask ونورين Norren) والنحاة الانجليز(سويت Sweet وتلامذته) . غير أن رؤية العالم السلافي بودوان دي كورتيني Baudouin de Courtenay هي التي برهنت على انها كانت ممعنة في التحدي (انظر فيما سبق فف ١٨٨-١٨٩) .

(٢) الحق أن موضوعات الاهتمام الرئيسة الأولى كانت واحدة ؛ إذ بدأ ترويتسكوي في أوربا وسابير وبلومفيلد في الولايات المتحدة حديثهم عملاً عن الصّوتيم في وقت واحد . وفي ذلك الحين عرض الباحث الصيني يوين رين تشاوYuen Ren Chao(وهو في الولايات المتحدة الآن) آراؤه في دراسة التوحد في الحلول الصّوتيمية للنظم الصوتية .The Non-Uniqueness of Phonemic Solutions of Phonetic" Systems". Bulletin of the Istitute of History and Philogy . Academia Sinica. Vol. IV, Part 4, (1934), PP. 363-397.

(٣) لا يتفق بلومفيلد مؤسس البنيوية اللسانية في أمريكا (انظر فيما يلي ف ٣٢٥) مع دي سوسير إلا في تلك الآراء الأساسية التي سبق ذكرها على أنها ذات وجود ضمني في اللسانيات البنيوية بوجه عام . وفيما سوى ذلك يوجد بينهما اشتراك في القليل فقط مما يخص المفاهيم المنهجية ، ولكنهما في بعض التفصيلات

يعتنقان آراء متناقضة تناقضاً مباشراً . إن دي سوسير يرى أن اللغة هي قبل كل شيء ظاهرة نفسية لأن العلامة اللسانية توجد فينا في وجود مجرد(بوصفها الممثلة لانطباع أكوستيكي يستثير معنى معيناً) ، ومن ثم ينبغي علي البحث اللساني أن يختص أساساً باستقراء الطريقة التي تتجلى بها بنية اللغة في الوعي اللساني للجماعة اللغوية . أما بلومفيلد فيرى على النقيض من ذلك أن اللغة كانت أصلاً حقيقة أمبريقية ملموسة ، ومن ثم ينبغي على البحث اللساني ألا يعنى إلا بالمادة المسجلة بالفعل .

(٤) يتكلم الباحث الأمريكي اينار هاوجين Einar Haugen في هذا المعنى في دراسته : «اتجاهات في اللسانيات الحديثة» "Directions in Modern Linguistics", Lg. 27, No. 3(1951), PP. 211-222

(٥) تستعمل المصطلحات شكل Form وشكلي Formal وشكلاني Formalistic بالقيم التي أعطيت إياها في المنطق الحديث .

(٦) قام سرجي كراسيفيسكي Sergej Karcevskij بعرض آراء دي سوسير في جامعة موسكو فيما بين عامي ١٩١٧ و١٩١٩ وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الظروف الخاصة آنذاك سبباً في انعدام تأثيرها على تطور اللسانيات السوفيتية . ولقد عفَّى المذهب الماري Marrism على اللسانيات التقليدية ـ واستقبل كل مذهب جديد وبخاصة ما كان من الغرب ـ بالرفض الساخط .(ومثال ذلك أن العالم اللساني الأمريكي الشهير ا . سابير لم يكن معروفاً لجمهور اللسانيين إلا من خلال ما وجهه اليه أصحاب مار من نقد لا مسوغ له . بل انه وصف بالعنصرية . ولم يعد له اعتباره الكامل في الاتحاد السوفيتي إلا عام ١٩٥٦ على صفحات مجلة «قضايا اللسانيات» "Voparocy Jazikoznanija" . ومنذ تاريخ انعقاد المؤتمر العشرين للحزب(١٩٥٦) بدأ الحديث عن الحاجة إلى بناء آلات للترجمة ولهذا أحس

العلماء اللسانيون السوفييت حاجتهم إلى الإطلاع على المنهج البنيوي ومنجزات المنطق الرياضي ، ومباشرة العمل في الصوتولوجيا والصوتيات المختبرية (التي كانت مهملة حتى ذلك الحين في الاتحاد السوفيتي) وإلى استعمال المعايير الإحصائية في البحث اللساني . وفي عام ١٩٥٦ استفتحت مجلة «قضايا اللسانيات مناقشة حول قيمة المنهج البنيوي في اللسانيات ، وانتهت المناقشة بانتصار حاسم للبنيوية .

(٧) س . ك . شاوميان هو نموذج اللسانيات البنيوية السوفييتية وأبرز ممثليها . كان على معرفة طيبة بمبادئ براغ ، ولكن حماسته بوجه خاص كانت للمدرسة الجلوسيمية (انظر فيما يلي أعماله ف ٣٨٥) .

فيرديناند دي سوسير

242 ـ كان السويسري فيرديناند دي سوسير (١٨٥٧ـ١٩١٣) واحداً من أعظم الباحثين اللسانيين في جميع العصور . إن شخصيته القوية وموهبته اللسانية الأصيلة ، ونزوعه الفائق إلى جانب البحث النظري ، والتأثير الذي مارسه على طلابه = كل أولئك لم يجعل منه مؤسساً لمدرسة مهمة (هي ما يسمى بمدرسة جنيف) بل مؤسساً لعصر بأكمله من الدرس اللساني : لقد كانت أفكاره التي طرحها بطريقة مبينة ومقنعة لأول مرة هي الجذور التي نبتت منها اللسانيات البنيوية الحديثة .

243 ـ كان دي سوسير أستاذاً للسانيات في جنيف وباريس ، (وكانت حقبة جنيف على وجه الخصوص ذات أهمية في عمله) . قام بتدريس اللغات السنسكريتية والجرمانية واليونانية واللتوانية . ولم يبدأ شغف دي سوسير بالأفكار اللسانية العامة إلا فيما بعد عام ١٨٩٤ . وكان مُقلاً فيما نشر ؛ فإذا صرفنا النظر عن أول أعماله وأهمها **«مذكرات في النظام البدائي للحركات في اللغات الهندية الأوربية»**

"Memoire sur le systeme primitif des le langues indo-europeenmes"

(انظر فيما يلي ف ٢٤٤) ـ لم ينشر إلا نحواً من عشرين مقالاً عن اللغات الهندية ـ الأوربية (عبر اللغات البلطيقية والجرمانية واليونانية وعن النقوش الفريجية) ، كما خَلّف بعض التعليقات ، ومقالات قصيرة عن مشكلات التأثيل الاشتقاقي ، وقليلاً من المراجعات .

244 ـ تلقى دي سوسير تدريبه اللساني على يد أعلام النحاة الشبان (بروجمان Brugmann وأوستوف Ostoff وليسكين Leskin . . انظر فيما سبق ف ٩٥) . وكان جيد الاطلاع على آراء اللساني الطبيعي شليخر Schleicher (انظر فيما سبق ف ف ٦٠-٦٣) ، وعالم الجغرافية اللسانية جيبيرون Gillieron (انظر فيما سبق فف ١٤٩-١٥١) . وكان له رأي طيب في الباحث الساني الأمريكي و . د . ويتني W. D. Whitney ولا سيما في كتابة «اللغة : حياتها ونموها» "The Life and Growth of Language" (انظر فيما يلي حاشية ف ٣١٧) . غير أن تحمسه كان لمدرسة قازان Kazan School على وجه الخصوص . (انظر فيما سبق ف ف ١٨٦-١٩٠) . وثمة شواهد تثبت أنه تحدث إلى تلاميذه عما تمتاز به أفكار بودوان دي كورتيناي Baudowin de Courtenay وكرو جيفيسكي Kruszewski من أهمية وأصالة . وأكد دي سوسير أن اللسانيات الغربية قد نالها ضرر إذ لم تعرف عن عملهما إلا أقل القليل . كذلك كان دي سوسير شغوفاً بما تحقق من تقدم في التخصصات غير اللسانية ، ولا سيما في علم الاجتماع ، وكان لنظريات دوركايم Durkheim أثر قوي عليه .[٨] ولعله من المتوقع بالنسبة لدى سوسيز ـ بما هو تلميذ للنحاة الشبان ـ أن يبدأ مسيرته البحثية تابعاً أميناً للمفاهيم النظرية والمنهجية التي اعتنقها معلموه . غير أن ذلك لم يكن ، فقد أظهر أول أعماله نزعة استقلالية فوق المعتاد في المقاربة البحثية[٩] ؛ ذلك أن الظواهر اللسانية عولجت في هذا العمل بوصفها كُلاً ؛ أي في نظام ، على نحو بلغ مبلغ الثورة في المنهجية اللسانية . وقد ظل عام ١٨٧٨ـ وهو العام الذي ظهرت فيه هذه الدراسة

للشاب دي سوسير (مذكرات في النظام البدائي للحركات في اللغات الهندية ـ الأوربية) ـ تاريخاً مذكوراً في حياة البحث اللساني .

245 ـ لقد قام هذا التلميذ اللامع بهجوم ناجح على المسألة العويصة الخاصة بالعلاقة بين الحركات الطويلة والقصيرة في الهندية ـ الأوربية ، تلك التي بدا أنها حتى ذلك الحين غير قابلة للحل . وكان المنطلق للحل هوفكرته القائلة بأن كل الأشياء في اللغة يرتبط بعضها ببعض ، وأن ثمة بنية أساسية توحد بين الأشكال النحوية للنظام الواحد في صورة كلية . وبذلك طرح دي سوسير تفسيره الخاص الأصيل لهذا اللغز اللساني . ويمكن تقديم خلاصة مختصرة لتفسيره على الوجه التالي :

برهنت الأبحاث بالفعل على أن في اللغات الهندية ـ الأوربية استبدالاً للحركات القصار(١٠) e/o/∅ (في مقاطع مثل derk/dork/drk من الكلمات اليونانية derkomai/dédorka/édrakon) . وقد أكد دي سوسير ضرورة أن نفترض سلفاً اشتمال نظام الأصوات في الهندية ـ الأوربية ـ بالإضافة الى الأصوات المعروفة لنا ـ على صوت غير ذي قيمة معروفة اختفى فيما بعد (ويضع دي سوسير علامة لهذا الصوت المختفي هي A) . ووجود هذا الصوت في سياقات مماثلة جعل من الممكن وجود سلسلة مماثلة من البدائل: ‎*dhe A / *dhoA / *dhA‎ مشابهة للبدائل derk/dork/drk . وأدى اختفاء هذا الصوت الغامض A ـ تبعاً لقوانين الصوتيات الهندية الأوربية ، إلي إطالة متميزة للحركات القصار المجاورة ، وإلى ظهور حركة في موقع لم يسبق لها أن وردت فيها ، أى فيما بين الصوامت لا من الحركة الصفرية ∅ (في اليونانية ـ على سبيل المثال ـ نجد العلاقة الآتية :

(dhē/dhō/dhe: tithēmi/th ōmos/thetōs)

تركت الطريقة المُقنعة التي طرح بها دي سوسير نظريته والكيفية التي طورها بها أثراً عميقاً في نفوس معاصريه . ولم يكن جمهور اللسانيين أقل استثارة حين اكتشف هاندريكسن[١١] Handruksen عام ١٩٤١ في دراساته عن اللغة الحيثية[١٢] وجود صوت حنجري في المواقع التي ربط دي سوسير بينها وبين ورود الصوت الغامض A . وهكذا أتيحت للباحثين الفرصة لكي يجعلوا صواب نظرية دي سوسير فوق كل شك .

246 ـ تجلت آراء دي سوسير عن اللغة في الكتاب الذي ظهر باسمه عام ١٩١٦ تحت عنوان **«دروس في اللسانيات العامة»** (Course de linguistique générale) . غير أن دي سوسير ليس هو بالفعل مؤلف هذا الكتاب ، فقد تم تجميعه بعد وفاته من مذكرات تلاميذه الذين أخلصوا أنفسهم إخلاصاً عميقاً لأفكار معلمهم العظيم وذكراه .[١٣] ولقد بين ر . جوديل R. Godel بحق منذ وقت قريب (انظر فيما يلي ف ٢٦١) أن الكتاب يشتمل على صورة من أفكار دي سوسير لا تتسق في كل النقاط مع آرائه في اللغة على الوجه الذي طرحها به في سياق محاضراته الجامعية ومحاوراته مع تلاميذه . وعلى سبيل المثال فإن دي سوسير لم يلح بهذه القوة على التمييز بين اللغة Langue والكلام Parole ، أي بين لغة مجموع الجماعة المتكلمة (التي توجد في الوعي الكلامي لكل فرد) وظاهرة الكلام الفردي (الذي يعكس نموذج اللغة "Langue") . وصحيح أن دي سوسير أشار إلى ضرورة التوصل الى تمييز نظري دقيق هنا ، غير أنه كان على وعي بأن مثل هذا التمييز الصارم لا يمكن الدفاع عنه في الممارسة العملية . ويقابل ذلك أن ثمة أفكاراً حظيت عند دي سوسير بتأكيد عظيم قد جاءت

في الكتاب خافتة . ويبين جوديل باقتدار أن حماسة دي سوسير لمقاربة للغة مقاربة رياضية قد صورت بطريقة غير كافية على الإطلاق ؛ فالحق أن دي سوسير كان أول لساني ألحّ على أن من الممكن تحصيل وصف يتميز بالكفاءة للبنية في أي لغة بإدخال الإجراءات الرياضية إلى التحليل . ويكابد الكتاب أيضاً من أمر آخر ؛ هو أنه في غياب توجيهات المؤلف كان من المحال أن يتجنب الكتاب وجود قدر معين من التكرار والغموض بل وجود أقوال متعارضة أيضاً .

غير أنه على الرغم من طابع التفاوت في النص وما يشتمل عليه أحياناً من ألوان الميل عن سواء الثقة(مما لا يمكن تجنبه في مثل هذه الظروف) وذلك فيما يتصل بإيحاءات الأفكار وفي اختلاف درجات التأكيد وليس في جوهر الأفكار ـ نقول : على الرغم من ذلك فإن كتاب دي سوسير «دروس في اللسانيات العامة» قد أدى دور الرسالة التبشيرية في اللسانيات ؛ فلقد منح دي سوسير شهرة الرجل الذي استهل عصراً جديداً . وبقطع النظر عما إذا كان قد نطق بصوت صاحبه الأصيل أم لا ـ فقد برهن على أنه مصدر إلهام قوي للأجيال الجديدة من اللسانيين ومصدر مؤثر على النظريات اللسانية الحديثة . وكثيراً ما أثار الكتاب مناقشة خصبة بأن يكون موضوعاً لمزيد من التفريط أو هدفاً للنقد القاسي . لقد أصبح دي سوسير في عيون العالم هوهذا الكتاب .

247 ـ كان دي سوسير مهتماً قبل كل شيء بطبيعة اللغة بما هي موضوع للبحث العلمي ؛ أي بالكيفية التي ينبغي أن تتم بها مقاربة اللغة

واستيعابها . ولكي يتسنى له أن يشرح أفكاره بطريقة تتسم بالمباشرة والحيوية عقد دي سوسير مقارنة صريحة بينها وبين لعبة الشطرنج .

248 ـ إن القطع التي تستخدم في لغة الشطرنج يمكن صنعها من مواد متنوعة ، واختيار المادة هو اختيار اعتباطي خالص . والشيء الجوهري الوحيد هو القيمة التي تعزى إلى القطع في اللعبة . ذلكم هو عين الحال في اللغة : فكلمة «ماء» يعتمد الحكم بكونها اسماً أو أداة أوفعلاً في لغة بعينها على المعنى المرتبط بالتتابع الصوتي «ماء» في هذه اللغة . ولكن صيغة الكلمة في ذاتها لا تحدد المعنى الواقعي للكلمة . إن كل كلمة هي وحدة من وحدات اللغة لها موقعها المخصوص في إطار النظام . وهذا الموقع المخصوص هو الذي يحدد معنى الكلمة .

وأحجار الشطرنج إنما تتحرك طبقاً لقواعد مخصوصة لا بد من مراعاتها . ويمتنع على اللاعب أن يقوم بتغيير تحكمي مفاجئ في قيمة القطع خلال اللعبة . والأمر كذلك في اللغة ؛ إن التوليف الفعلي للصوت من شكل ومعنى يحدث بطريقة تحكمية نتيجة للمصادفة ، وقد يوجد في لغة ولا يوجد في أخرى . ولكنه ما إن يحظى بالثبات حتى يمتنع تغييره تبعاً للمشيئة . وبهذا المعنى ـ إذن ـ تكون كل علامة لغوية تحكمية من جهة ، وملزمة من جهة أخرى .

وظاهرة مثل ظاهرة الإلحاق Suppletivism (ويقصد بها الصيغتان تكونان على اختلاف تام صوتياً وتردان في أوثق علاقات الارتباط النحوي . ومثالها في الانجليزية كلمة Person المفرد وجمعها على People) ـ هذه

الظاهرة لها ما يقابلها في الشطرنج . فلتخيل أن واحداً من أحجار الشطرنج قد فقد . إننا نستطيع أن نستعمل مكانه قطعة من المعدن أو من المطاط أو أيّاً مما نرغب في استعماله من أشياء . غير أن علينا أن نتذكر أن هذا الشيء الجديد الذي يتخذ شكله المتعين المخصوص به سيكتسب في اللعبة قيمة القطعة المفقودة .

249 ـ وكل حركة في اللعبة تخلق وضعاً جديداً للوحة الشطرنج . ولكن كل «وضع جديد» يتم وفقاً لقواعد اللعبة . إن مرور الزمن ينشيء أنواعاً من التغير اللغوي ، ولكن طبيعة هذه التغيرات تنضبط على نحو لا يقبل الاختلاف تبعاً للقواعد الأساسية التي يعتمد عليها تشكيل العلامات اللغوية .

250 ـ وكل حركة في لعبة الشطرنج تصنعها قطعة واحدة فحسب . ومع ذلك فقد تكون النتائج ذات أهمية ثانوية بالنسبة للمسار الأساسي للعبة ، وقد تكون حاسمة . والأمر كذلك في اللغة ؛ إذ إن التغير اللغوي يبدأ ويتطور وينتهي ، وقد لا تؤثر العملية بكاملها إلا على تفصيلات دقيقة ، وقد تسبب إعادة تشكيل لمجمل النظام .

251 ـ وكل وضع جديد ينشأ عن حركة تجري على لوحة الشطرنج له قواعده الخاصة به . والترتيب الذي كان قائماً قبل هذه الحركة لم يعد له أي أهمية ؛ فما هو موجود الآن هو وحده المهم ، وهو الذي ينبغي ملاحظته وإجراء الحسابات عليه . ويصدق هذا الكلام على اللغة ؛ فإن أي مسح يجري للوضع اللغوي الحاضر يرينا دائماً نسيجاً متماسكاً من الحقائق التي يرتبط بعضها ببعض على جهة الاعتماد المتبادل ؛ هذه الحالة

الواقعية توجد مستقلة عن الحالات السابقة في اللغة نفسها ؛ تلك التي يمكن أن نلاحظها من زاوية تطورية .

252 ـ وكل حجر من أحجار الشطرنج له قيمته الخاصة تبعاً لقواعد اللعبة . غير أنه في سياق اللعبة تحتل هذه القطع مواقع مختلفة في نسبة بعضها لبعض ، وتمنحها المواقع قيماً جديدة (فهناك فرق على سبيل المثال بين أن يحتل البيدق موقعاً يمكنه من أن يهاجم قطعة أخرى وبين أن يكون موقعه خارج خطوط القتال) . كذلك تتحدد القيمة المتعينة لوحدات اللغة باستعمالها الواقعي (يلاحظ ان الوحدة A في الانجليزية لها قيمة تواصلية واحدة بوصفها أداة للتنكير ، وقيمة أخرى إذا ما استعملت استعمال وحدة من وحدات السوابق في مثل Amoral) .

253 ـ وقد وجدت اللسانيات الحديثة أصولها فيما قرره دي سوسير من معتقدات وعدّه أساساً لمذهبه ؛ فاللغة هي نظام منسوق ذو وظيفة اجتماعية محددة . وخلال تدقيق هذا المعلم السويسري العظيم لهذه النظرية الأساسية أرسى كثيراً من وجوه التمايز النظرية التي كان لها تأثيرها الهائل على الفكر اللساني لدى لدى الجيل الجديد . ومن الممكن ايراد أبرزها باختصار فيما يلي :

254 ـ اللغة نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه القيم الخاصة بكل علامة بشروط على جهة التبادل بقيم العلامات الأخرى ؛ فاللغة في الواقع مؤسسة على **التعارضات** Oppositions .

255 ـ والعلامة اللغوية ذات طبيعة مركبة . وهي توليفة من الشكل الصوتي الذي يشار به إلى المعنى (وهو الدالّ Signifiant) والمعنى نفسه

(وهو المدلول Signifié) . وكان إيقاظ الاهتمام بالعلاقة بين الدال والمدلول سبباً في نهوض فرع جديد من فروع اللسانيات هو علم السيميولوجيا Semiology (أي دراسة العلامة اللغوية ، انظر فيما يلي ف ٣٩٧) . وقد أنتج البحث في هذا الاتجاه جدالاً حياً بين الباحثين لا يزال مستمراً . ومن أمثلة ذلك الجدل حول طبيعته العلامة اللغوية : أهي تحكمية أم ليست كذلك (وهي مسألة كان دي سوسير أول من أثارها . أنظر فيما يلي ف ٤١١) .

256 ـ واستعمال علامة لغوية ما ليس بالضرورة رهناً بما يقتضيه معناها . ومقال ذلك أن الكلمة الفرنسية Redotu (ومعناها في الانجليزية to be afraid of «يكون خائفاً من . .») لن ترد في جميع الأمثلة التي ينبغي أن يشار فيها إلى معنى to be afraid of ؛ فهناك تعبيران آخران مرادفان هما "Craindre" و "avoire peur" يتحتاج إليهما في مواقف معينة يكون فيها استبعاد redoteur حتمياً بحكم طبيعتها . وتحوز كل كلمة طاقة مغلية ينبغي أن تستخدم في المواقف المختلفة ، وترتبط أساساً بمعناها ، ويطلق دي سوسير على هذه الطاقة مصطلح القيمة value (valeur) .

257 ـ والكلام البشري ذو طبيعة خطية Linear ، بمعنى أن كل عنصر من عناصر تكوينه ينبغي أن يلفظ به على ا لتوالي في سلسلة منطوقة . والواقع ان العلامات اللغوية تتكيف بلا خلاف بحصب بيئتها في السلسلة المنطوقة . وينبغي لهذه الحقيقة أن تتولد في العقل عند أى مقاربة لمشكلة الوحدات اللغوية .

258 ـ وللمقولات النفسانية كالقياس والاستدعاء تأثير قوي على التغيير اللغوي . وينبغي على اللسانين أن يحتووا مشكلة تحديد مدى هذه التأثيرات وشكلها داخل نطاق همومهم البحثية المباشرة .

259 ـ واللغة (Langue) ملك لمجموع الجماعة المتكلمة ، ولكنها تتحقق فعلاً عن طريق الكلام الفردي Parole . والكلمات المنطوقة بالفعل تنسجم من حيث المبدأ مع المعايير التي تفرضها لغة المجتمع المتكلم . ومع ذلك فإن حدث الكلام نفسه يسمح بإمكان تحطيم المعيار اللغوي القائم ؛ فالفرد يبدأ تغيراً ، وهذا التغير ينتشر بعد ذلك عن طريق التقليد ، ثم يتخذ له في نهاية الأمر مكاناً في قائمة التعبيرات القياسية .

260 ـ واللغة يمكن فحصها في اتجاهين : اتجاه آني Synchronic واتجاه زماني Diachronic ؛ فالمقاربة الآنية تعالج الموقف اللغوي في لحظة بعينها من الزمان ، على حين تعنى المقاربة الزمانية بمرحلة من مراحل التطور اللغوي . وتتجلى اللغة ـ حين نلاحظها ملاحظة آنية ـ في هيئة نظام منسوق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع بعينه . أما الدراسة الزمانية ـ في مقابل ذلك ـ فمعنيةٌ بالظاهرات اللسانية المتوالية المختزنة في الوعي اللغوي لهؤلاء التكلمين أنفسهم ، وهي التي يحتل بعضها ببساطة مكان بعض دون أن تتجاور بالضرورة في نظام واحد . وينبغي في التحليل اللساني دائماً ان يكون التمييز بين الظاهرة الآنية والظاهرة الزمانية موضع الملاحظة الصارمة .واللسانيات الزمانية (الحركية Dynamic) معنية بتاريخ اللغة . أما وصف الحالة القائمة للغة ما فتنتمي إلى اللسانيات الآنية (أو الثابتة Static) .

إحـــالات

261 ـ انتشر كتاب «دروس في اللسانيات العامة» (جنيف ، ١٩١٦) من خلال طبعات كثيرة ، وترجم إلى عدد من اللغات . وقام روبرت جوديل بفحص لمدى أمانة تمثيل الكتاب لآراء دي سوسير في دراسة بعنوان : «**المصادر المخطوطة لكتاب دروس في اللسانيات العامة» لفرديناند دي سوسير**

Les source manuscrites du Course de Linguistique générale de F. de Saussure".

ونشرت في :

"Sociéte de publications romanes et francais, LXI (Geneva, 1957)"

وفي دراسة بعنوان : «**دروس في اللسانيات العامة ١٩٠٨-١٩٠٩**:
مقدمة» "Course de linguistique générale"(1908-1989) Introduction"
ونشرت في CFS, 15 (1957), PP. 3-103 . يلقي مؤلفها ر . جوديل مزيداً من الضوء على تطور نظرية دي سوسير ، ويقوم بإعادة إنتاج لواحد من هذه الدروس في اللسانيات العامة (مسجلاً من مذكرات ثلاثة من تلاميذه ، ومعتمداً في معظمه على مذكرات ا . ريدلينجر A. Riedlinger .

وثمة دراسة كتبها ر . ويلز R. wells بعنوان «**نظام اللسانيات عند دي سوسير**» " De Saussure's System of Linguistics" ، ونشرت في (Word, Vol. 3, No 1-2, (1947), PP. 1-3) . وتتضمن تحليلاً نقدياً للنظرية المطروحة في «دروس في اللسانيات العامة» .

الحـــواشي

(٨) اميل دوركايم (١٨٥٨ ـ ١٩١٧) هو عالم اجتماع فرنسي شهير . أكد أن الرأي الجمعي ، الذي يتميز بأنه غير شخصي ، ومن ثم فهو ليس ذاتياً ـ هو من بين أشياء أخرى ـ ذو أهمية قصوى في تشكيل المعرفة العامة لدى البشر تفوق أهمية الرأي الفردي . كذلك أكد دروكايم أن النظرة الجمعية ليست ذات قيمة أعظم من النظرة الفردية فحسب ، بل إن الرأي الفردي يعتمد على الجمعي وعلى محفزاته . ويمكن ملاحظة أصداء هذه الفكرة في نظرية دي سوسير عن العلاقة بين لغة الجماعة المتكلمة (Langue) والكلام الفردي (Parole) . انظر فيما يلي ف ٢٥٩ . .

(٩) كتب دي سوسير هذا العمل ، وعمره إحدى وعشرون سنة . وكان لا يزال طالباً بجامعة ليبزيخ .

(١٠) يشير الرمز ∅ إلى غياب الحركة .

(١١) - H. Hendriksen, "Untersuchungen über die Bedeutung für die Laryngal Theorie". Det Kgl. Danske Vidensk. Selskals. Hist-filolog. Medd., 28.2 (Copenhagen, 1941).

(١٢) لغة من أقدم اللغات الهندية ـ الأوربية ، ولم تكن معروفة في عصر دي سوسير .

(١٣) قام بتحرير هذا الكتاب تشارلز بالي Ch. Bally وا . سيشيهاي A. Sechehaye .

مدرسة جنيف

262 ـ يستخدم اسم «مدرسة جنيف» علماً على مدرسة انبثقت من تعاليم دي سوسير، ولكنها اكتسبت صورتها الأخيرة من العمل الذي قام به تلامذته، ولا سيما شارلز بالي Charles Bally (١٨٦٥ـ١٩٤٧)، الذي كان أيضاً استاذاً للسانيات العامة في جنيف. كذلك كان البرت سيشيهاي (١٨٧٠ ـ ١٩٤٦) Albert Sechhaye مريداً من مريدي دي سوسير، ذاع صيته بدراسته في اللسانيات العامة. ويتمثل همه الأساسي في دراسة العلاقة بين العوامل اللسانية والعوامل النفسانية (في مجال ظواهر الجملة). أما أبرز أعضاء هذه المدرسة الآن فهو هنري فراي Henri Frei الذي يعالج في عمله علاقات النَّظْم Syntactical Relations.

٢٦٣ ـ وتتميز هذه المدرسة بنزعة قوية إلى الدراسات التي تعالج العنصر الانفعالي (التأثيري) في اللغة، عن طريق الانصراف الدائب الى اللسانيات الآنية (انظر فيما سبق ف ٢٦٠)، وعن طريق الإيمان بأن اللغة تتجلى بوصفها كُلاً مُنَظَّماً (أي نظاماً) ذا وظيفة اجتماعية مهمة.

وقد حققت هذه المدرسة نتائج طيبة في فحص العنصر الانفعالي (الأسلوبي) في اللغة. غير أنها في تطورها خلال العقود الثلاثة الأخيرة لم تحافظ على مواكبة الاتجاه السائد للأحداث في مجال المنهجية اللسانية.

ويمكن التماس الصورة التقليدية لمدرسة جنيف في النظرية اللسانية لشارلز بالي .

264 ـ ذاعت شهرة بالي بأنه مؤسس الأسلوبيات العقلانية Rational Stylistics ، ويقصد بها فحص التعبيرات اللغوية الانفعالية بوجه عام ، أي بدون أن نولي اهتماماً خاصاً لتجلي الانفعالات الفردية أو للجانب الجمالي . وقد أخذ بالي مادته اللغوية عن الفرنسية والألمانية (وكان على معرفة فائقة بكلتا اللغتين) . وقامت معظم ملاحظاته المثيرة على أساس من الدراسات الأسلوبية المقارنة .

265 ـ يصف كثير من الناس لسانيات بالي بأنها انفعالية Affective . وينشأ هذا الوصف من الاعتقاد بأن كل حدث من أحداث النطق يحمل طابعاً شخصياً أو انفعالياً (حتى إنه لا وجود لجملة لا تكون مشروطة Modal) . وكان بالي ـ في هذا الصدد ـ على رأي واحد مع ممثلي المدرسة الفرنسية(من أمثال ڤندريس Vandryes وانظر فيما سبق ف ١٦١) .

266 ـ وتبنى بالي مبدأ دي سوسير في التمييز بين اللغة (Langue) وظاهرة الكلام الفردي (Parole) ، وطوّره من خلال نظرية التحقيق Actualization .

ذلك أن الكلمات نفسها تعين مفاهيم افتراضية(Virtual) تتصف بالتعميم المطلق ، أما الكلام فمَعنيٌّ بالظواهر الملموسة . وتحول اللغة إلى كلام يؤدي في الواقع الى تحويل المفاهيم المجردة (Abstract) الى مفاهيم تتصل بالواقع (فالكلمة الانجليزية Sister «أخت» تشير إلى فكرة عامة عن

شخص واقعي إلا حيث يشرع شخص في الكلام ؛ حينئذ فقط يصبح الأمر واضحاً : إما من الموقف نفسه ، وإما من استعمال المتكلم للكلمات الدالة على النسبة بإلحاق الكلمة بياء المتكلم أو كاف الخطاب . . .الخ ويتبين من الشخص الذي هو موضوع الكلام) . وهكذا عملية التحقق بتحول اللغة إلى كلام ؛ أي بتحول المجرد «الافتراضي» إلى «المتحقق» الواقعي . وتسمى جميع الوسائل التي تستخدم في اللغة لتحويل المفاهيم الافتراضية إلى مستوى الواقع بوسائل التحقيق Actulizers (وبالفرنسية Actualisateur) . (ومن أمثلة ذلك أن ضمائر الملكية تعد وسائل تحقيق ، ولتلاحظ الفرق في تحديد مدلول كلمة «شعري في عبارات مثل«شعري» ، و«شعر جميل») .

وقد اقتحم بالي مشكلة التعيين النحوي . وكان لملاحظاته الواعدة في هذا المجال تأثير أخاذ على الهموم اللسانية لدى أتباعه ، الذين انهمكوا ولا يزالون حتى الآن في إعداد صياغة محكمة لنظرية عامة عن التعيين Determination .

267 ـ كذلك قام بالي ـ في فحصه للمشكلات المختلفة التي ترد مع تحقق الكلام ـ بتأسيس نظرية عن المناقلة السينتاجمية والوظيفية Syntagmatic and Functional Transposition . وتعنى هذه النظرية بالمبادئ التي تحكم عملية تغيير العلامة اللغوية لوظيفتها النحوية دون أن تغير من معناها المعجمي الأساسي(كما في الفعل الفرنسي "Blanchir" بمعنى «يبدو أبيض» ، والذي اشتق من الكلمة Blanc «أبيض» . . .الخ .

268 ـ وقد أدى الاهتمام بالوظيفة النظمية Syntactic إلى قيام شارلز بالي بفحص التواليف النظمية Syntagms(توليف الكلمات على مستوى النظم) . وكان في هذه المسألة نصيراً لمبدأ الثنائية Bianarity ، أي للفكرة القائلة بأن العلاقات في التواليف النظمية تقوم على علاقة الثنائية ، إذ إن التواليف النظمية تتكون دائماً من توليفة تتشكل من طرفين .(وقد عدّ بالي كل زوجين من الكلمات المرتبطة بعلاقة توليفاً نظمياً «سينتاجماً» لما في ذلك الجملة نفسها . وكانت هذه الفكرة على وجه التحديد ـ أي فكرة احتواء الجملة داخل مفهوم السينتاجم ـ هي التي أثارت كثيراً من الجدل بين الباحثين .

إحــالات

269 ـ الأعمال الأساسية التي ألفها بالي هي :

ـ «مختصر الأسلوبية» "Précis de Stylistique, Geneva, 1905"

ـ «بحث في الأسلوبية الفرنسية»

"Traité de Stylistique Francaise, 2 Vols, (Heidelberg, 1909)"

ـ «اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية»، (ط ١، ١٩٣٢. أما الطبعة الثانية المنقحة تنقيحاً شاملاً والمنشورة في بيرن عام ١٩٤ فقد استخدمت أساساً لطبعات تالية) .

وانظر أيضاً ج فندريس J. Vandryes في : «الآثار اللسانية لشارلز بالي»
"L'oeuvze linguistique de Charles Bally, CFS, 6 (1946-47), PP. 48-62"

وانظر أيضاً ا . سيشيهايي A. Sechehaye «اللسانيات النظرية : البرنامج والمناهج»
Programme et methodes de la linguistique theorique, Paris, 1908"

وأيضاً ه . فراي H. Frei : «معايير التأطير»
Criters de délimitation" 136-145"

نشرت في word, 10 (1954), PP. وكذلك مقالة «التشخيص والإشارة والتخصيص» نشرت في :

For Roman Jacobson, PP. 161-168"Caractéeristion, indication,specification" .

الحقبة الفونولوجية في اللسانيات

الـــــــرواد

270 ـ الصَّوتولوجيا Phonology[١٤] مجال تخصص لساني يُعني بالصوتيمات Phonemes[١٥] ، أي بالأصوات التي تمارس وظيفتها في الكلام بوصفها علامة من علامات اللغة تجعل من التواصل أمراً ممكناً . ودور الصوتيم هو دور فارقDistinctive ، وغايته أن يكون إشارة للفروق بين المعاني .

271 ـ منذ الماضي البعيد ظهر بين نحاة الهنود مفهوم يتوافق تقريباً مع فكرتنا الحاضرة عن الصوتيم (انظر فيما سبق ف ١٩) ، وأكد الانجليزي هنري سويتHenry Sweet (١٨٤٥ ـ ١٩١٢) ، والفرنسي بول باسيPaul Passy (١٨٥٩ ـ ١٩٣٩) ضرورة جلاء الخصائص النطقية المميزة للأصوات التي تبهم إسهاماً مباشراً في تعرف معنى كلمة من الكلمات . وعلى الرغم من أن أعمال هذين العالمين الصوتيين قد تلقاها معاصروها بالاهتمام (لا سيما أن سويت كان له تأثير على تحديث الأفكار اللسانية في انجلترا وأمريكا) ـ فإن أعمالها قد اشتملت على مؤشرات للحقبة الصوتولوجية . ولكنها لم تضع لها أساسها الفعلي .

273 ـ ويعد عالم اللهجات السويسري جوست ڤينتلرJost Winteler (١٨٤٦ ـ ١٩٢٩) من الشخصيات الفذة في عالم اللسانيات ؛ فقد استخدم

في قائمة وصفية للأصوات معايير صوتولوجية في تاريخ مبكر يرجع إلى عام ١٨٧٦[١٦]. غير أن عمله ظل موضع الإغفال من معاصريه ، ولم ينل الاعتراف الذي يستحقه إلا بعد ذلك بوقت طويل .

274 ـ في عام ١٨٧٨ أصدر دي سوسير (انظر فيما سبق ف ٢٤٤) دراسته : «مذكرات في النظام العراقي البدائي للحركات في اللغات الهندية ـ الأوربية» التي استعمل فيها المصطلح «صوتيم» . وقد استعمل دي سوسير هذا المصطلح ليجعله علماً على العنصر الصوتي الذي يتميز بوضوح من غيره من العناصرالأخرى في النظام الصوتي نفسه ، أيّاً ما كانت صورة نطقه الفعلية . غير أن دي سوسير أدخل فيما بعد المعايير الصَّوتولوجية إلى تعريف الصوتيم . وعن هذا الإيضاح الأخير أخذت المدرسة الفرنسية (انظر فيما سبق ف ١٥٨) فكرة الصوتيم بوصفه وحدة لسانية على أنه مركَّب سمعي ـ فسيولوجي نفساني وظيفي ، يمكن أن يتحقق في صورة صوت ، وإن لم يكن تحققه شرطاً ضرورياً . (المهم هو أنه ينبغي دائماً أن يكون له وجود في وعي المتكلم) . ولا يتطابق هذا المفهوم مع المفهوم المعياري للصوتيم في الوقت الحاضر .

275 ـ وليس هناك من قام بدور مهم في تمهيد الأرض لقيام الصوتولوجيا إلا عالمان كلاهما رمز لمدرسة قازان (انظر فيما سبق ف ١٨٦ ـ ١٨٩) ، وهما بودوان دي كورتيناي وكروچيفسكي ؛ فلقد كانت آراؤهما جد معروفة بين أعضاء حلقة براغ ، كما كانت موضع التقدير منهم ، وهم مؤسسو الصوتولوجيا (انظر فيما سبق ف ٢٩٢) .

ففي حقبة مبكرة ترجع إلى الستينيات من القرن التاسع عشر نص بودوان دي كورتيناي على استعمال الصوت للتمييز بين المعاني[١٧]. وأحدث كروچيفسكي بعد ذلك بعقد من الزمان[١٨] مزيداً من التطوير لهذه الفكرة، وأكد بالأدلة أن الصوتيم كان وحدة صوتية ذات وظيفة خاصة في عملية التواصل .غير أن بودوان دي كورتيناي تخلى بحلول عام ١٨٩٤[١٩] عن مبدئه الصوتي الأول في تعيين الصوتيم، وتحت تأثيرالنزعة النفسانيةPsychologism السائدة في لسانيات عصره (انظر فيما سبق ف ف ٧٩-٩١) انتهى تدريجياً إلى إيثار المعايير النفسانية، وكانت الصيغة الأخيرة لفكرة الصوتيم عند بودوان دي كورتيناي هي أنه صورة ذهنية لصوت ما، وهي بوصفها مقولة ذات صورة ثابتة تقع مقابلاً لصورة متنوعة؛ هي التحقق الفزيائي الصوتي الفعلي للصورة الذهنية؛ أي الصوت الفعلي[٢٠] ويتوافق هذا الرأي مع العلاقة بين المفهومين صورة الكلام وفعل الكلام Sprachgebilde / Sprachakt، تلك التي صاغتها الحلقات العلمية الألمانية في القرن التاسع عشر. وهي صيغة تختلف عن التصور الحالي للصوتيم.

276 ــ كل هذه الجهود الرائدة وإن كانت لم ترسخ أسس الصوتولوجيا ـ مهدت على أي حال الطريق لتأمل موضوع الصوتيم؛ حتى إنه بحلول العشرينيات من القرن الحالي كانت اللحظة قد أصبحت مواتية لازدهار تخصص لساني جديد أتى معه بتقدم هائل للسانيات في مجاليها النظري والتطبيقي.

إحـــالات

277 ـ ثمة عرض مستقص للأفكار الأولى ذات الأهمية عن االصوتيم قبل حقبة حلقة براغ ، مع عناية خاصة بجهد مدرسة قازان ـ يقدمه رومان جـاكوبســون في دراسـة بعنوان : **«مدرسـة قازان في اللسانيات البـولندية ومكانها في ازدهار الصوتولوجيا»**

"Kazanska szkola polskiej lingwistyki i jej miejsce w światowym rozwoju fonologü".

(انظر فيما سبق ف ١٩١) .

وانظر أيضاً : د . جونز D. Jones في : **«مصطلح الصوتيم : تاريخه ومعناه»**

"The History and Meaning of the Term "Phoneme" (London, 1957)".

الحــواشي

(١٤) يستعمل المصطلح «صوتولوجيا» وفقاً لمذهب مدرسة براغ (انظر فيما يلي ف ٢٩٢) . ويكتسب المصطلح عملياً الظلال المعنوية نفسها في الوقت الراهن في جميع اللغات الأوربية ما عدا الإنجليزية ، كما أن ممثلي اللسانيات الفرنسية يفهمونه على نحو مختلف .(انظر فيما يلي ف ٢٧٤) . أما المصطلح الأمريكي المقابل فهو الصوتيميات Phonemics .

(١٥) مصطلح «صوتيم» هو تكييف الكلمة اليونانية Phonema (=صوت) . وقد اقترحه على الجمعية الفرنسية للسانيات عالم الأصوات أ . دوفريش ـ ديزجينت Dufriche Desgenettes (بديلاً للتعبير الفرنسي الذي لا يزال يستعمل وهو Son. du Language (صوت لغوي) . وتلقى عالم الدراسات الرومانية ل . هافيت L. Havet اقتراح دوفريش ـ ديزجينيت بالقبول ، وشرع في استخدام المصطلح الجديد ، وعنه اقتبس دي سوسير كلمة صوتيم مما ضمن لها ذيوعاً في الحلقات اللسانية . وقد كان أول من استعمل كلمة (Fonema) من علماء اللغات السلافية كروجيفسكي Kruszweski أحد رموز مدرسة قازان (انظر فيما سبق ف ١٨٦) غير أن أحداً من العلماء السابق ذكرهم لم يمنح هذا المصطلح قيمته التي اكتسبها في اللسانيات البنيوية .

(١٦) في دراسة له بعنوان :

Die Kerenzer Mundart des Kantons in ihren Grundzügen dargelegt . (Leipzig, 1876)

(١٧) انظر تبديل صوت s بـ (s, š) في اللغة البولندية محاضرات في البحث اللساني المقارن . "Wechsel des S(s, s) mit ch in der polonichen sprache"

نشرت في :

Beirträge zur vergeleichenden Sprachforschung. VI (1869), PP. 221-222

(١٨) في المقدمة التي كتبها لرسالته عن إبدال الحركات في الفيدا Rig-Veda التي طبعت منفصلة عام ١٨٨١ تحت عنوان : حول تبديل الأصوات Uber die Laugabwechslung .

(١٩) في دراسة بعنوان : "Proba teorij alternacji fonetyczych" نشرت في :

Aozpraury Wydzialu Felologedznego Ploskiej Akademii Umiejetnosci w Krakowie. XX, PP. 219 - 364.

(٢٠) قسم بودوان دي كورتيناي الصوتيات إلى :

الصوتيات الفسيولوجيةPhysiophonetics وتعنى بفحص الأصوات الفعلية ، والصوتيات النفسانية Psychophonetics وهي دراسة للصورة الذهنية للأصوات .

المبادئ الصوتولوجية عند تروبتسكوي

278 ـ حاز العالم اللساني الروسي العظيم نيكولاي سيرجييفيتش تروبتسكوي (١٨٩٠ ـ ١٩٣٨) عضو مدرسة براغ شرف أن يكون المؤسس للصوتولوجيا(٢١) .

وقد كانت المقولات النيرة التي صاغها دي سوسير في كتابه «دروس في اللسانيات العامة مصدر إلهام أساسي لتروبيتسكوي فَشكَّل بوحي منها أفكاره الصوتولوجية : فاللغة ذات وظيفة اجتماعية ، وهي نظام ، والوحدات الصوتية تقوم بدور الوحدات اللغوية التي يتم من خلالها إنجاز التواصل (انظر فيما سبق ف ف ١٨٨و٢٧٥) . غير أن موقفه النظري لم يتحدد بشكل حاسم إلا من خلال النشاط الذي مارسه في حلقة براغ : ففي كثير من المناقشات المثيرة التي خاضها مع اللسانيين من جيل يتمتع بالموهبة الخارقة بلغ أول تصور من تصورات النظرية اللسانية الحديثة طور النضوج .

279 ـ وفي عام ١٩٢٩ بدأ تروبيتسكوي ـ بعد أن توثقت صلته بحلقة براغ ـ عمله في الصوتيات التاريخية للغة البولابية Polabian ، وهي لغة انقرضت الآن . وقاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة (بعضها من غير اللغات الهندية ـ الأوربية) إلى استنباط ملاحظاته المهمة الأولى على النظم الصوتية : ففي جميع اللغات ترتبط الأصوات بعضها ببعض في صورة

أعضـاء تنتمي إلى كُلٌ مُنَظَّم Oraganized whole ؛ أي تنتـمي إلى نظام . ويمكن عرض العلاقات الفعلية داخل أي نظام صوتي في شكل مخططات تتصف بالانتظام . وتشكل هذه الملاحظات التي شرحها ترويتسكوي بأمثلة ملموسة بداية الدراسات الصوتولوجية في اللسانيات . وهكذا اكتسبت الفكرة النظرية القائلة بأن اللغة ينبغي تصورها على أنها نظام (وهي الفكرة التي طرحها دي سوسير من قبل) ـ أول تدقيق منهجي لها .

280 ـ أقام ترويتسكوي نظريته الصَّوتولوجية علي أساس عقيدة فحواها أن الصوتيم ينبغي أن ينظر إليه على أنه علامة لغوية مهمتها حمل معنى الكلمة ؛ وعلى ذلك فإن إحلال صوتيم مكان صوتيم سيؤدي إلي إحداث تغيير في المعني (في الإنجليزية يكون /P/ و/b/ صوتيمين : قارن نتيجة إحلال /P/ و/b/ أو العكس في نحو bull «ثور . . .» في مقابل Pull «مقبض . .» .

والأصوات هي مركب يتألف من الخصائص النطقية والسمعية (انظر ف ٢١٦) . بيد أن هذه الخصائص ليست كلها ذات علاقة بعملية التفاهم المتبادل ، ولا يحظى بهذا الوصف إلا بعض من هذه الخصائص . والواقع أن الصوتيم هو أقل عدد من الخصائص النطقية والسمعية ينبغي استحضاره عند إجراء عملية التواصل[٢٢] . (مثال ذلك الصوت الأسناني /n_1/ في الكلمة الصربية ـ الكرواتية Ana = اسم علم ، والصوت الحنكي اللين /n_2/ في Anka = اسم علم هما وحدتان صوتيتان مختلفتان ، ولكنهما بالمفهوم الصوتولوجي هما الصوتيم الواحد/n/ مصحوباً بتحققين مخصوصين

مشروطين بالسياقات الصوتية المباشرة : إن الصوتيم /n/ يمثل الخصائص النطقية السمعية التي هي متمثلة بالتساوي بين الصوتين /n_1/ و /n_2/ . أما تعيين الخصائص ذات العلاقة في حالة بعينها فأمر يتم تأسيسه على المقارنة بين التقابلات الصوتية الفعلية .

وأثناء ممارسة الكلام يتم التعرف علي الكينونة الصوتيمية بفرز العناصر الأكوستيكية ذات العلاقة تبعاً لمعيار محدد (يقصد بكلمة تلقائيAutomatic هنا أنه فرز يحدث فيما دون الوعي Subsconscious ، ومعيار الفرز يجري تعلمه مع اللغة) . ويختلف ما هو ذو علاقة وما ليس بذي علاقة في كل حالة بخصوصها من لغة إلى لغة . وبالنظر إلى أن معيار الفرز إنما يتعلمه الشخص طبقا للمعايير الخاصة بلغة معروفة ـ فإن تمييز ذوات الصوتيمات عند الاحتكاك المفاجئ بلغة جديدة لم يسبق للشخص أن تعلمها ـ لا يكون دائماً موثوقاً به (يجد المتكلم بالصربية صعوبة أول الأمرعند النطق بالصوت الإنجليزي / θ / «ث» ، لأنه لم تتكون لديه العادة التي يتمكن بها من فرز السمات النطقية والسمعية ذات العلاقة في هذا الصوت . كذلك لا يميز بعض الألمان الأصوات المجهورة من الأصوات المهموسة في كلمات اللغة الصربية ـ الكرواتية . والسبب البسيط في ذلك هو أن مثل هذا التمييز لديهم هو من قبيل السمات غير ذات العلاقة بالتمايز الصوتيمي) .

281 ـ وقد وضعت هذه الاعتبارات وغيرها ـ وهي نتاج مباشر لنظريات تروبتسكوي الصوتولوجية ـ موضع التدقيق والإحكام في العقود

الثلاثة التالية . وتمكن اللسانيون بفضل الدراسات الجديدة التي قامت على أساس هذه المواقف النظرية ـ من أن يقدموا تفسيراً أكثر إقناعاً لعدد من الأسئلة : كيف يتم تعلم اللغة؟ وكيف يمكن امتلاك ناصيتها بأفضل طريقة وأسرعها ؟ وما الأخطاء اللغوية؟ وفي أي اتجاه ينبغي بذل المحاولات للتخلص منها . .الخ ، غير ذلك من القضايا التي تكتسب الآن تطبيقاً عملياً فائق الجدوى .

282 ـ وكان ترويتسكوي أول من حدد العلاقة بين الوحدة اللغوية غير المتغيرة ، أي الصوتيمية وتحققات الصوت الفعلية (والمتنوعة) . والاقتباسات التالية التي نوردها عنه لا تزال تعد من أسس اللسانيات .

(أ) إذا استحال على صوتين في لغة واحدة أن يتبادلا المكان في سياق صوتي مطابق دون أن يؤدي ذلك إلى تغير في معنى الكلمة ـ فإنهما يكتسبان في اللغة وضع الوحدتين المختلفتين . (مثال ذلك التضاد بين P/b في الكلمتين الصرب ـ كرواتيتين "Pora"بمعنى استغرق في القراءة وBora بمعنى تجعّد وتغضن) .

(ب) إذا وقع صوتان في مواقع صوتية واحدة دون أن يؤدي ذلك إلى نتائج تتصل بمعنى الكلمة ، فإنهما لا يكونان صوتيمين مختلفين ، بل هما تنوعات عرضية لصوتيم واحد . (مثال ذلك التلفظ بأصوات معينة بطريقة يتدخل فيها تجويف الأنف بسبب إصابة الرأس بنزلة برد ، والتلفظ بصوت الراء من مؤخر اللسان بدأ من طرفة في الصرب ـ كرواتية لدى بعض أبنائها) .

(جـ) إذا أظهر صوتان ينتميان إلى لغة واحدة أشكالاً من السمات النطقية ـ السمعية المتشابهة ، وكان مَحالاً أن يردا في سياق صوتي واحد فإن علينا أن نعدهما تنوعات تكاملية Combinatory Variants(٢٣) لصوتيم واحد . (قارن العلاقة بين الصوتين /n_1/ و /n_2/ التي سبقت الإشارة إليها في الكلمتين Ana و Anka) .

283 ـ وكما يمكن أن نرى من الحجج التي سلف ذكرها فإن تحديد مفهوم التنوع Variant في علاقته بالصوتيم يجعل من الضروري أن نلجأ إلى معايير توزيعية ؛ أي أن نورد جميع المواقع التي يمكن للصوتيم أن يرد فيها داخل سلسلة الكلام ، والكشف عن الارتباط بينها وبين النموذج الصوتي المعين : بأي اعتبار يكون هذا الارتباط ، وإلى أي مدى .

284 ـ والصَّوتيمات التي تنتمي إلى لغة واحد تقع في تضاد متبادل فيما بينها ، ويعبر عن هذا التضاد بتقابلات صوتية معينة . وهذه التقابلات الصوتية تنتج عن وجود سمات نطقية ـ سمعية معينة أو غيابها على التوالي .

285 ـ دقق تروبتسكوي بنجاح نظرية المتضدات الصوتمية ، وأوضح في مؤلفه الأساسي : «أسس الصوتولوجيا» Grundzüge der phonologie كيف يمكن القيام بتصنيف هذه المتضادات بالرجوع إلى العلاقة بين كل زوجين من العناصر المتضادة ، وإلي النظام الصوتيمي في مجمله . ولقد تعرضت كثير من ملاحظاته فيما بعد للتصحيح ، أو للتوسيع والتجاوز . ولكن الذي لا خلاف عليه هو أن نظريته الأساسية لا تزال ثابتة وطيدة ، وأن أجيال المستقبل سترى فيها الأساس القيم للسانيات الحديثة .

286 ـ لفت تروبتسكوي الأنظار إلى الدور الجوهري الذي تؤديه التقابلات الثنائية Binary oppositions وتتجلى هذه التقابلات في سلسلة من التكوينات المتوازية مشروطة بمعايير صوتولوجية واحدة . ويفسر تحديد هذه المعايير بنية النظام الصوتيمي موضوع الفحص(ومثال ذلك أن العلاقة بين المجهور والمهموس في الصرب ـ كرواتية تدل على أنها علاقة مائزة في كثير من الأمثلة: d/t و b/P و 9/K وŽ/Š . .الخ . ويبرهن التوسع في تطبيق هذا المعيار على أنه معيار مهم بالنسبة لمنظومة نظام الصوامت في الصرب ـ كرواتية) . ويفسر العلماء هذا العدد الكبير من التقابلات المتوازية اليوم على أنه نزعة لسانية عامة للاقتصاد في العوامل المائزة .(أي أن نزعة التمييز تتأسس لتغطي فور تأسيسها عدداً متزايداً من الأمثلة) . ومن أيسر اليسير على أي تقابلات ثنائية مثل تلك تشير إلى التمييز بين الصوامت المجهورة والمهموسة ـ أن يعاد إنتاجها في لغة ما بمجرد استقرارها .

287 ـ وعند دراسة هذه التقابلات الثنائية البسيطة لاحظ تروبتسكوي أن أحد عضويْ التقابل يؤدي وظيفة العضوالموسوم Marked ، ويدخل في تمييز بالضد مع عضو غير موسوم Unmarked . ومثال ذلك أن في تقابل الصوت المجهور /b/ مع الصوت المهموس /P/ نجد أن طرفي التقابل كليهما ذو خصائص صوتية . إلا أن الصوت الموسوم /b/ يتميز بخاصية واحدة (هي كونه مجهوراً) ، وهي الخاصية التي يفتقدها الصامت المهموس .

288 ـ كانت فكرة تروبتسكوي عن العلاقة بين الموسوم وغير

الموسوم ذات أهمية بالغة ، من حيث إنها مبدأ نظري صار أساساً لكثير من الأفكار الخصبة في المنهجية اللسانية الحديثة . وقد تابع رومان جاكوبسون ، وهو أحد الممثلين البارزين لمدرسة براغ (انظر فيما يلي ف ٣٠١) ـ معيار التقابل بين الموسوم / غير الموسوم بمزيد من التدقيق ، وبرهن على إمكان تطبيقه على مستويات لسانية أخرى أعلى رتبة من المستوى الصوتولوجي .(وكان ذلك لأول مرة في دراسته الشهيرة «حول بناء الفعل في الروسية» "Zur struktur des russischen Verbums" (٢٤)

289 ـ وقد نص تروبتسكوي على أن التقابلات اللسانية ليست في حاجة إلى أن تتصف بالثبات ؛ ففي ظل شروط خاصة تصير هذه التقابلات في حالة تحييد .

وينشأ التحييد في مواقع لا يرد فيها طرفا التقابل ، ولا تظهر فيها إلا قيمة صوتية واحدة تمثل الصوتيم الأصلي Archiphoneme ؛ أي تمثل حزمة السمات المائزة المشتركة بين كلا الصوتين المعنيين . ومثال ذلك في الألمانية أن التقابل بين P/b إذا وقع في آخر الكلمة فإنه يجري تحييده ، ويبدو الصوتيم /P/ ممثلاً للصوتيم الأصلي P/b .

290 ـ ويتم التعبير عن التقابلات الصوتيمية بواسطة عناصر الحركات Vowels والصوامت Consonants والإيقاع Prosody (وعناصر الإيقاع هي ظواهر تتعلق بدرجة الصوت Pitch والنبر Stress والطول النسبي للأصوات) . ويرى تروبتسكوي أن العنصر الأكوستيكي ذو أهمية أولية بوصفه معياراً مائزاً في تأسيس هذه التقابلات . وقد استغرق البحث

الصوتي في المقام الأول اهتمام تروبتسكوي بوصفه عالم أصوات ، وذلك في جهوده لتحديد البنية الصوتية للصّوتيمات الفعلية . وقد قام الباحثون فيما بعد بنوع من الفرز للمعايير النطقية والسمعية ذات الأهمية الصوتيمية كان أعظم حظاً من الكفاءة ـ بيد أن التصور الأساسي لتروبتسكوي عن الحاجة إلى فحص البنية الصوتية من أجل تأسيس النموذج الصوتيمي لا يزال من الثوابت المعتمدة . والأمر كذلك أيضاً فيما يتصل بمخططاته الأساسية التي حدد بها العلاقات المتقابلة في إطار النُّظم الصوتيمية . (ومثال ذلك المخططان اللذان طرحهما وهما : مربع الحركات ومثلث الحركات ، وقد حقق تروبتسكوي شهرة خاصة بدراساته الفاحصة لنظم الصوائت) .

إحـــالات

291 ـ عرض تروبتسكوي نظرياته الصوتولوجية باستفاضة في كتابه الأساسي : «**أســس الصوتولوجيا**»"Grundzüge der Phonologie" نشر في : TCLP, 7, (1939)، وفي الترجمة الفرنسية بعنوانPrincipes de Phonologie ـ وقـد أعـدها ج . كـانتـينيـو (Paris, 19449) J. Cantineau ـ عـدد من الإضافات المفيدة تشمل مادة ضرورية عن ترجمة حياة تروبتسكوي ، ومادة ببليوجرافية (أخذت القائمة البيبليوجرافية المختارة التي قدمت في تلك الترجمة عن أعمال تروبتسكوي في الصوتولوجيا أساساً من المعلومات التي تضـمنتهـا مقـالة ب . **هافرانك** B. Havrank بعنوان : «**ببليـوجـرافيـة بأعـمـال ن .س . تروبتـسكوي**» "Bibliographei de travaux de N.S. Trublzkoy (TCLP, VIII, 335-342)".

وتعـد دورية «**أعـمـال حلقـة براغ اللسـانيـة**» TCLP أفـضل مـصـدر معلومات للمعنيين بحقبة تأسيس الدراسة الصّوتولوجية .

ويمكن تَعَرُّف المرحلة التـالية التي شهـدت تطور الصوتولوجـيا في أعمال رومان جاكوبسون ، انظر فيما يلي ف ٣١٠ . أما المرحلة الحاضرة من تطور الصـوتولوجـيا فـقـد عـرضت عـرضـاً وافيـاً في دراسـة بعـنـوان «النموذج الصـوتي في الروسـيـة» "The Sound Pattern of Russian (The Hague, 1959)" مـــوريس هيل Morris Halle (حـــواريّ جـــاكـــوبـــســـون وشريكه) .

وهناك عرض لنظرية أمريكية نمطية في الصوتيم تضمنتها ف ٣٣٣ ولتحصيل معلومات بيليوجرافية انظر فيما يلي ف ٣١ .

وفي دراسة بعنوان : «حول تعريف فئات الصوتيم على أساس توزيعي»

"On the Difinition of Phoeme Categories on a Distrubutional Basis"

وقد كتبتها بيلي ـ فشر يورجنسون "Eli - fischer Jorgenson"

ونشرت في: Acta Linguistica, VII (Copenhagen, 1962) PP. 8-39:

وللمؤلفة نفسها دراسة بعنوان : «أسس الصوتية لتمييز العناصر الصوتيمية»

"The Phonetic Basis for Identification of Phonemic Elements"

ونشرت في :

Journal of the Acoustical Society of America, 2444, (1952), PP. 611-617.

وكذلك أيضاً دراستها عن «اختبار التواصل وتطبيقه على التحليل الصوتيمي»

"The Communication Test and its Application to Phonemic Analysis"

نشرت في : "For Roman Jacobson, PP.140-151" .

الحـــواشي

(٢١) كان تروبتسكوي رجلاً ذا ثقافة لسانية عريضة ، وبدأ مسيرته الدراسية باحثاً اثنولوجياً ، ثم تحول في فترة مبكرة جداً إلى الاهتمام بالمشكلات اللسانية . (ومنذ عام ١٩٠٧ وما بعدها قام بدراسة مجتمعات لغوية منعزلة هي اللغات القوقازية والسيبيرية القديمة Paleo-Siberian . وحينما كان تروبتسكوي لا يزال طالباً في مرحلة التعليم العالي كتب نحواً ومعجماً للغة انقرضت الآن هي لغة كامشادال Kamshadal) . درس اللسانيات على الباحث الروسي البارز بورچزينسكي Porzezinski . ومنذ عام ١٩١٣وما تلاه من أعوام درس في ليبزيج على علماء مدرس النحاة الشبان بروجمان وليسكين ولبنديخ Windisch . وفي عام ١٩١٥ نشر شاخماتوف Šaxmatov دراسته : «وصف أقدم مرحلة في تاريخ اللغة الروسية» (باللغة الروسية)"Očerk drevnejěsogo perioda istorii russkogo jazyka" ، وفيها فسر التغيرات الصوتية في اللغة السلافية المشتركة بروح المفاهيم التي صاغها فورتوناتوف Fortunatov . وهنا قام تروبتسكوي بإخضاع هذا الكتاب للدراسة البصيرة . (وأكد أن السلافية المشتركة مؤشر على حقبة طويلة من التطور استغرقت فيما يبدو ألفين وخمسمائة عام ، ومن ثم فإنها اشتملت على مراحل مختلفة من التطور اللغوي . ولذلك فإن ما يعزي إلى السلافية المشتركة لا ينتمي جميعه إلى حقبة واحدة ، هي تلك الحقبة التي ينبغي أن تولد دائماً عند قيامنا بمهمة إعادة تركيب الصورة المفترضة لهذه اللغة . وقد كان لهذا النقد دوي مثير بين اللسانيين الروس . وهكذا تم الاعتراف تروبيتسكوي - مرة واحدة - بوصفه باحثاً متمكناً له أفكاره المستقلة . ومنذ عام ١٩٢٢ شغل تروبيتسكوي كرسي الدراسات السلافية في فيينا . ولم تضعف هذه الصلة المباشرة باللغات السلافية اهتمامه بقضايا اللسانيات العامة ، بل كان الأمر على النقيض . لقد قام بتنظيم مادته عن اللغات القوقازية ، وأجرى عليها مزيداً من الاختبار . وفي الوقت نفسه درس باهتمام وتحمس نظريات بودوان دي

كورتيناي ودي سوسير . وكان نشاطه في حلقة براغ حاسماً سواء بالنسبة لنضوج أفكاره الأصيلة في الصوتولوجيا ، أو لمجمل التطور الذي حققته مدرسة براغ . ويمكن التماس مزيد من التفصيل عن حياة بروبتسكوي وأعماله في القسم الخاص بحواشي الترجمة الذاتية من كتاب «أسس الصوتولوجيا» (بتحقيق رومان جاكوبسون Principles de Phonlolgie PP. XV, XXIV . انظر فيما يلي ف ٢٩١) .

(٢٢) في الوقت الذي كان فيه تروبتسكوي يقوم بتدقيق نظريته الصوتولوجية قدم عالم الصوتيات الإنجليزي البارز دانيال جونز تعريفه الخاص للصوتيم . ويري جونز أن الصوتيم ينبغي فهمه على أنه «عائلة من الأصوات» . وحاول جونز ـ عن طريق فحص جميع تنوعات النطق الفعلي لصوت لغوي ما ـ أن يميز تمييزاً واضحاً بين السمات ذات العلاقة والسمات الزائدة في الصوت . وأكد أن الطبيعة التي تحدد وحدة صوتية ما هي محصلة السمات ذات العلاقة . والحق أن دراساته لم تكن جد بعيدة عن برنامج مدرسة براغ ، ولكن طرقه المنهجية لم تكن على درجة كافية من الصرامة . وقد ظل جونز مخلصاً لآرائه هذه وثابتاً عليها ، وقدم شرحه الكامل لها في كتابه : «الصوتيم : طبيعته واستعماله» "The Phoneme: its Nature and Use (London, 1950)".

(٢٣) غالباً ما يطلق الآن على التنوعات التكاملية مصطلح التنوعات الصوتية Allophones تبعاً للمصطلحية الأمريكية .

(٢٤) شرح جاكوبسون نظريته باستخدام أمثلة من اللغة الروسية ، فأشار إلى الفرق في الاستعمال بين كلمة Telkǎ) (أنثى العجل) وكلمةTelenok (العجل مطلقاً) ؛ فكلكة Telkaهي الصيغة الموسومة ، لأنها لا تطلق إلا على المؤنث ، بينهما كلمة Telenok هي صيغة غير موسومة ، إذ إنها تطلق في الطور الأول على العجل الذكر ، ولكنها قد تستخدم مرتبطة بالأنثى بشرط ألا يكون تحديد جنس المؤنث ذا أهمية خاصة .

حلقة براغ اللسانية

292 ـ في عام ١٩٢٦ تأسست جمعية لسانية في براغ باسم «حلقة براغ اللسانية» . وقام بتأسيسها جيل مفعم بالحماسة لما كان يعد آنئذ أحدث المذاهب اللسانية : وهي أفكار **دي سوسير** (انظر فيما سبق ف ف ٢٤٨ـ٢٦٠) ، **وبودوان دي كورتيناي** (انظر فيما سبق ف ف ١٨٦ـ١٨٩) ، ومدرسة **فورتوناتوف** السلافية (انظر فيما سبق ف ف ١٩٢ـ١٩٣) . وكفل النجاح لهذا المشروع ما تمتعت به براغ من تقاليد راسخة في الفكر اللساني . وكانت الشخصيات الأساسية في هذه الجمعية هم الثلاثة المهاجرون الروس : ر . **جاكوبسون** ، وس **كارسيفيسكي** S. Karcevski (١٨٨٤ـ١٩٥٥) ، ون . **تروبتسكوي** (١٨٩٠ـ ١٩٣٨) (وقد التحق بالجمعية منذ ١٩٢٨) ، وأعلام اللسانيين التشيكيين **ف . ماثيسيوس** V. Mathesius ، (١٨٨٢ـ١٩٤٥) ، وب . **ترنكا** B. Trnka ، وب . **هافرانيك** ، وكذلك ي . **موكاروفسكي** الذي كان مُنَظِّراً في مجال الدرس الأدبي . وسرعان ما التحق بهم جيل من شبان الباحثين مثل ي . **ڤاشيك** J. Vachek ، **وڤ سكاليتشكا** V.Skalička و أ .ف . **ايزاتشينكو** A. V. Isačenko .

293 ـ ولم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به هذه الجمعية إلا قرابة عشر سنوات (حتى وقوع الاحتلال الألماني لتشيكوسلوفاكيا) . وبوفاة تروبتسكوي وماثيسيوس ، ورحيل جاكوبسون عن تشيكوسلوفاكيا فَقَد أهل براغ روادهم من اللسانيين . غير أن أفكار

حلقة براغ واصلت ازدهارها في بيئة مختلفة كل الاختلاف : في هارڤارد بالولايات المتحدة التي صارت بحكم الظروف القاهرة وطناً لرومان جاكوبسون ، أعظم الباقين على قيد الحياة من مدرسة براغ [توفي في ١٩٨٣ «المترجمان»] . بيد أن اسم مدرسة براغ استمر علماً على جميع العقائد اللسانية القريبة من برنامج حلقة براغ .

294 ـ نشرت حلقة براغ هذا البرنامج في وقت مبكر يرجع إلى عام ١٩٢٩ في العدد الأول من المجلة التي أصدروها بإسم «حلقة براغ اللسانية» ، ولا يزالون مستمسكين بأساسياته إلى اليوم . ويحدد البرنامج ما ينبغي علاجه من موضوعات في عبارة بسيطة هي مؤشرات إلى آراء نظرية مخصوصة . وتتضمن هذه الآراء في الأساس النقاط الآتية :

ـ اللغة نظام يتكون من وسائل تعبيرية ، تؤدي وظيفتها في تشجيع الفهم المتبادل . ولذلك ينبغي على اللسانيين أن يدرسوا الوظيفة الفعلية لأحداث النطق الملموسة : ما الذي يجري توصيله؟ وكيف؟ وإلى من؟ وفي أي مناسبة؟

ـ اللغة حقيقة واقعية (أي أنها ظاهرة فيزيائية فعلية) ، ونمطها محكوم إلى حد كبير بعوامل خارجية (غير لسانية) : وهي الوسط الاجتماعي ، والمتلقى الذي يتجه إليه التواصل ، والموضوع الذي يشمله التواصل . وهكذا يكون من الضروري التمييز ـ في النظرية والتطبيق كليهما ـ بين لغة الثقافة ولغة الأعمال الأدبية ، وبين لغة الدورية العلمية والصحيفة ، وبين لغة الشارع ولغة المكتب . . الخ .

- تشتمل اللغة على نوعين من تجليات الشخصية الإنسانية : تجلٍّ ذهني وتجل عاطفي . ولذلك كان على البحث اللساني أيضاً أن يحيط بالعلاقة القائمة بين أشكال اللغة التي بها يتم توصيل الأفكار والعواطف على التعاقب .

- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان ؛ ولكل منهما خصائصه المميزة . ولا بد إذن من فحص العلاقة بين لغة الكتابة ولغة النطق .

- ينبغي أن يحظى البحث الآني(انظر فيما سبق ف ٢٦٠) بالأهمية الأولى بين الدارسين اللسانيين ؛ إذ إن لهذا البحث تأثيراً على الواقع اللغوي الفعلي . غير أن هذا لا يعني أن تاريخ اللغة ينبغي أن يستبعد من مجال الهموم اللسانية ؛ إن تاريخ اللغة يكتسب معناه الحقيقي إذا ما نظرنا إلى تطور اللغة على أنه تطور لمجمل النظام ؛ أي أن تاريخ اللغة لا يُعنى على وجه الحصر بوصف خصائص لغوية معينة منفصلاً بعضها عن بعض . إن النظام لا بد أن يكون ماثلاً دائماً أمام النظر في كل وصف زماني ، وكذلك كل وصف زماني ينبغي دائماً أن يكون ماثلاً أمام النظر في كل وصف آني . (يشتمل كل وصف آني علي عمليات نصف منتهية ، وبدايات لنزعات تتجه نحو عمليات جديدة ينبغي أن تسلط عليها الأضواء) . إن رفض الاعتراف بالبعد الزماني يؤدي إلى استبعاد أي إمكان لتفسير ظاهرة مثل ظاهرة الغريب من الألفاظ Archaism .

والمنهج المقارن في اللسانيات لا مسوغ لوجوده إلا بقدر ما يتخلص من محدودية الملاحظة ؛ تلك التي تقتصر على ظاهرة معزولة لتبحث في

مراحل تكوينها ، دون أن تلقى نظرة عامة على كل الحقائق اللسانية القائمة والمرتبطة بتلك الظاهرة . وينبغي على المنهج المقارن أن يمكن الباحثين من العمل على تنميط اللغات ، أي على وصف أنماط مخصوصة من البنية اللغوية .

والبحث الصّوتولوجي عليه أن يُعنى بتحديد أنماط التقابلات الصوتيمية في اللغات المعنية . ولا ينبغي فصل الظاهرة الصرفولوجية عن الظاهرة الصوتولوجية . والغالب أن تكون التقابلات ذات أهمية على المستوى الصّوتولوجي . (ومثال ذلك تبادل k/č في الصيغتين jezike/jezičе في اللغة الصرب ـ كرواتية وهما من الصيغة jezik «بمعنى لغة أو لسان» ؛ حيث تشير العلاقة k/č إلى فرق في الحالة الإعرابية ، أي إلى التقابل بين المفعول الجمع/ المنادى المفرد) .

ومن الأفكار الأساسية التي تضمنها هذا البرنامج انبثقت آراء جديدة كان لها تأثير بعيد المدى ، وانجازات بحثية قيمة .

295 ـ كان للفكرة القائلة بوجوب التمييز بين المظاهر ذات الخصوصية التي تتجلى فيها اللغة ـ الفضل في فتح مسارات جديدة في بحث الأساليب اللغوية المختلفة ، ولا سيما في فحص لغة الشعر . ثم دخلت أخيراً إلى مجال البحث في الدرس اللساني ظواهر مختلفة تقع في لغة الحديث ؛ كالتنغيم والإشارة الجسمية وغيرها .

296 ـ وكان الوصول إلى موقف صحيح من مشكلة تاريخ اللغة معناه بداية حقبة جديدة ومهمة في تطور هذا المجال التخصصي .

297 ـ وقد اكتسبت النظرية اللسانية ثراء مفعماً بالحيوية حين اتجه الباحثون إلى العمل البحثي في مجال دراسة التنميط اللساني . وكان أعضاء حلقة براغ هم أول من أبرز أهمية المشكلة المتعلقة بعلاقات الجوار اللغوي Language allience (Sprachbund) ـ وهي ظاهرة اللغات المتجاورة التي تشترك في كثير من السمات المشتركة الخاصة بها على الرغم من عدم ارتباطها فيما بينها برباط القربى . (ومثال ذلك أن «الجوار اللغوي البلقاني» يشير إلى «اللغات البلقانية» التي تتميز بعدد من الخصائص البنيوية المشتركة ، وإن كانت تنحدر من مجموعات لغوية هندية ـ أوربية مختلفة وهي : الرومانية والبلغارية والمقدونية واليونانية الحديثة والألبانية) .

298 ـ وقد تطورت دراسة دور الصوتيم في النماذج الصرفولوجية إلى فرع خاص من فروع الدرس اللساني عرف بعلم الصرفصوتولوجيا Morphophonology (ويقابله في المصطلح الأمريكي الصرفصوتيميات Morphophonemics) . ولا تقتصر أهمية نتائج هذه الدراسة على النظرية اللسانية العامة فحسب بل تتجاوزها إلى الحل العملي لمشكلات نحوية محددة .

299 ـ وقد فتح مجموع البرنامج العمل الذي اقترحته مدرسة براغ الآفاق أمام تطبيق توجهات لسانية جديدة في دراسة مادة اللغات السلافية[٢٥] وظل ممثلو المدرسة أوفياء لموقفهم بالقياس إلى جميع من عداهم ، ويرجع لجهودهم الفضل في وضع أسس متينة للدراسات السلافية الحديثة .

إحـــالات

300 - ينبـغي أن تدرس الأعمـال التي نشـرت في أعمـال حلقة براغ اللسانية (ولا سيما البرنامج الذي نشر في العدد الأول . وانظر مقال مارتينيه السابق ذكره «اللسانيات البنيوية» (ف ٢٤١) . ومعجم فاشيك عن «مصطلحية مدرسة براغ» (ف ٢٤١) .

وانظر دراسات ترنكا و ي . فاشيك وآخرين بعنوان «اللسانيات البنيوية في براغ» Prague Structural Linguistics ، ونشرت في :

"Philologica Pragensia, 1 (Prague, 1958). 33-40".

وانظر مجموعة مقالات اختارها وترجمها عن أصلها التشيكي بول جارفين Paul Garvin بعنوان : «قراءات من مدرسة براغ في علم الجمال» و«البُنى الأدبية والأسلوب»

A Prague School Reader on Esthetics. Literary Structures, and Style (Washington, 1955)" .

الحـــواشي

(٢٥) أكد برنامج ١٩٢٩ بوضوح في بنود مفصلة : ضرورة فحص المشكلات الواقعية المرتبطة بلغة الكنيسة السلافونية ، ومشكلة الكتابة الصوتية (الفوناتيكية) والصوتولوجية للغات السلافية ، ومبدأ الجغرافيا اللسانية ، وعلاقة الجغرافيا اللسانية بالجغرافيا الإثنوجرافية في الإقليم السلافي ، والمشكلات المرتبطة بصناعة الأطالس للغات السلافونية (ولا سيما الأطالس المعجمية) ، ومناهج المعاجم السلافونية .

مبدأ الثنائية عند رومان جاكوبسون

301 ـ كان عالم السالفيات رومان جاكوبسون (ولد في ١٨٩٦) والذي هو الآن واحد من أعظم اللسانيين في العالم ، وعضو حلقة براغ [وقد توفي كما سبق أن أشرنا ١٩٨٣«المترجمان»] رائداً من رواد الصوتولوجيا وهو لا يزال في براغ . وقد استحق هذه الريادة مع تروبتسكوي بفضل ما ارتبط به من المبادئ العلمية الأساسية . وبعد موت تروبتسكوي استمرت الصَّوتولوجيا تواصل تقدمها في ظل ريادته المتميزة .

302 ـ ويعد جاكوبسون المنظِّر العظيم لمفهوم السمات المائزة ، وهو المفهوم الذي شاعت شهرته في عالم اللسانيات اليوم تحت المصطلح الإنجليزي Distinctive Features . ويطلق هذا المصطلح على الخصائص المميزة لصوتيم ما من صوتيم آخر . (مثال ذلك خاصيته التوتر في الصَّوتيم الإنجليزي/t/ في مقابل خاصيته الارتخاء في الصَّوتيم الإنجليزي /d/) . ويعرِّف جاكوبسون الصَّوتيم بأنه حزمة مؤلفة من مثل هذه السمات المائزة . وحيث نصوغ هذه السمات صياغة صحيحة فإن ذلك يعني التعيين الصحيح لجوهر طبيعة الصَّوتيم .

وتنشأ السمات المائزة من الخصائص النطقية ـ السمعية المحدَّدة للصوت . ويمكن توضيحها بالفحص الصوتي الذي يتم بمساعدة الآلات المناسبة . ولا شك أن من أعظم مآثر جاكوبسون إدخاله للصوتيات المختبرية بنجاح إلى مجال الدرس الصَّوتولوجي .

303 ـ وتنهض نظرية جاكوبسون الصَّوتولوجية على أساس الاعتقاد بأن التقابلات المائزة مؤسسة على مبدأ الثنائية Binarism (أو الازدواجيةDichotomy) .

ويتجلى هذا المبدأ في الحقيقة القائلة بأن الوحدات اللغوية ترد في صورة أطراف تقع في تقابلات ذات وجهين ، توسم بوجود خاصية مائزة ما في مقابل غياب هذه الخاصية . (ومثال ذلك أن الصّوتيم الإنجليزي /t/ يتسم بالتوتر ويتميز في ذلك الضد عن مقابله الصوتيم/d/ الذي هو ليس متوتراً)

304 ـ وقد عولجت الأوصاف التي ساقها جاكوبسون للسمات المائزة التي تعتمد عليها التقابلات الصوتيمية تبعاً لمبدأ الثنائية ـ بالتدقيق والإحكام ، وأصبحت بالفعل من أساسيات البحث الصَّوتولوجي . واتبع جاكوبسون في تعريف هذه التقابلات معياراً أكوستيكياً ؛ فهو يتحدث ـ مثلاً ـ عن التقابل في الأصوات بين الحدة Acuteness (خاصية النغمة العالية High tonality) والغلظ Graveness (خاصية النغمة المنخفضة Low tonality والانتشار diffuseness) . وهلم جرا .

وثمة علاقة ارتباط بين هذه الحقائق وما يتعلق بها من عوامل نطقية ، وتشمل الفروق الموجودة في موضعية النطق وكيفيته (مثال ذلك أن الأصوات ذات النغم العالية تنطق دائماً في الجزء الأمامي من تجويف الفم) . وقد أظهرت الاختبارات النفسية الحديثة التي أجريت على عدد كبير

من الأشخاص أن السمات المائزة ليست شيئاً من اختراع الباحثين ، ولكنها موجودة بالفعل بوصفها مقولات ذات علاقة بعملية التفاهم المتبادل(٢٦) .

305 ـ وقد شهدت نظرية المعلومات (انظر فيما يلي ف ٤٥٤) شهادة مباشرة بصحة المنهج الثنائي عند جاكوبسون ؛ ذلك أن تبني هذا المنهج نفسه قد ألقى الضوء على سلسلة من المشكلات المتعلقة بإرسال المعلومات واستقبالها . وتأكد بحق أن تعاون اللسانيات في مجال نظرية المعلومات ما كان ليحظى بمثل هذا التأثير لو لم يستنبط جاكوبسون وأتباعه نظرية «السمات المائزة» . واليوم يقوم هو وأتباعه بدور جد فعال فيما يتحقق لاحقاً من تطور في نظرية المعلومات .

306 ـ ويحاول الباحثون الآن أن يطبقوا المنهج الثنائي نفسه في دراستهم لجوانب أخرى من الثقافة الإنسانية ، مثل دراسة الثقافة الشعبية ، وفن الرقص ، ولغة الحركة (أي الظواهر الحركية Kinesic . انظر فيما يلي ٣٥٠) .

307 ـ ولا تنحصر مآثر جاكوبسون في مجال الصَّوتولوجيا فحسب ، إذ إن الدراسات الصرفولوجية مدينة هي أيضاً له بالكثير . وبحوثه في النظم الفعلية والإعرابية في الروسية هي بحوث ذات أهمية خاصة(٢٧) . وقد قام جاكوبسون بتدقيق طريقة يمكن بها تعيين العلاقات الحاكمة على أي نظام صرفولوجي ، وظلت هذه الطريقة من الأساسيات في اللسانيات . ويرى جاكوبسون أن المقولات الصرفولوجية تسلك نفسها هي أيضاً في تقابلات

تتبع مبدأ الثنائية ؛ ففئة الصيغ الموسومة Marked (التي تتميز بوجود سمة معينة من سمات المعنى تعين حدود استعماله) تقابلها فئة من الصيغ غير الموسومة Unmarked (وتتميز بغياب السمة الواسمة نفسها) . ومثال ذلك أن صيغة الزمن التام في السلافية هي صيغة فعلية موسومة في علاقتها بالمضارع ، على حين أن الزمن المضارع ـ وإن كان ينصرف أساساً إلى الحاضر ـ نجد من الممكن أيضاً أن يستعمل للزمن الماضي . أما التام فإنه لا يمكن أن ينصرف إلى اللحظة الحاضرة بل ينصرف إلى الماضي فقط .

308 ـ ولقد مارس جاكوبسون نشاطه البحثي المتعدد الجوانب ـ منذ بدايته وحتى الآن ـ طبقاً لبرنامج مدرسة براغ (انظر فيما سبق ف ٢٩٤) . وكان أول من قارب تاريخ اللغة بهدف استكناه المنطق (اللساني) الداخلي للتطور اللغوي . واشتغل بمشكلات التنميط اللساني ، وبمشكلات الأساليب المختلفة في تجليات اللغة (وهو الآن مستغرق في دراسات مهمة تتصل باللغة الشعرية) [هذه العبارة مشروطة بزمان تأليف الكتاب «المترجمان»] ولكي يقيم جاكوبسون تراتبية الظواهر الصوتولوجية على أساس متين ؛ قام بدراسة النظم اللغوية الناقصة باحثاً عن العناصر الموجودة دائماً أو الموجودة في معظم الحالات ، وعما يمكن إهماله منها . وهكذا خصص جاكوبسون سلسلة من أعماله للغة الأطفال والحبسة اللسانية aphasia (وهي أنواع القصور العضوية التي تجعل من المستحيل على المريض أن يسيطر سيطرة تامة على جهازه النطقي) .

309 ـ ومن أعظم المآثر لجاكوبسون أيضاً أن تصبح مدرسة هارفارد للدراسات السلافية التي انشأها الآن من أكثر المدارس تميزاً في العالم .

إحـالات

310 ـ تمثلت نظرية جاكوبسون في «السمات المائزة» و«مبدأ الثنائية» في الدراسات التالية :

ـ دراسة ر . جاكوبسون : **«حول تحديد الكيانات الصَّوتيمية (مع التطبيق على مادة من اللغة الصرب ـ كرواتية)»**

"On the Identification of Phonemic Entities" TCLC, V (199), PP. 203-213

ونشرت في :

(With application to Serbo-Croatian language material).

ـ ر . جاكوبسون وس . ج . فانت و م . هيل : **«دراسات تمهيدية في تحليل الكلام»**

R. Jacobson, C. G. Fant, and M. Halle "Preliminaries on Speech Analysis" (Cambridge, Mass., 1952).

ـ ر . جاكوبسون وم . هيل : **«اسس اللغة»**

R. Jacobson and M. Halle, "Fundamentals of Language" (The Hague, 1956).

ـ إ .س . تشيري وم . هيل و ر . جاكوبسون : **«نحو الوصف المنطقي للغات في مظهرها الصَّوتيمي»**

E.C. Cherry, M. Halle and R. Jacobson: "Towards the Logical Description of Language in their Phonemic Aspect", Lg, 29 (1953), PP. 3-446.

ـ م . هيل : «استراتيجية الصّوتيميّات»

M. Halle, "The Strategy of Phonemics" word, 10 (1955), PP. 197-209.

ـ م . هيل : «دفاعاً عن الرقم ٢»

M. Halle, "In defence of the Number Two"

نشرت في :

Studies presented to J. Whatmough (1957), PP. 65-72.

وقد تولى م . هيل تلميذ جاكوبسون وزميله شرح المرحلة الحالية من نظرية أستاذه في مبدأ الثنائية أوصح شرح ، كما سبق أن ذكرنا في موضع سابق (انظر فيما سبق ف ٢٩١) وضمّن ذلك كتابه : «النموذج الصوتي في الروسية» "The Sound Pattern of Russian" . وانظر الأعمال الأساسية التي سبق ذكرها لجاكوبسون وهي : حول بناء الفعل الروسي

"Zur Struktur des Russischen Verbums"

نشرت في :

Charisteria Guilelmo Mathesio oblata (Prague, 1932), PP. 7-84

وأيضاً : "Beitrag zur allgemeinen Kasusleher" نشرت في :
TCLC, VI (1936), PP. 240-288.

وبالإضافة إلى هذه الأعمال الأساسية انظر أيضاً :

«ملاحظات صوتولوجية على التصريف السلافي» (بالروسية)»

"Morfologičeskie nabljudeija nad slavjanskim skloneniem"

نشرت في : American Contributions to the Fourth International Congress of Slavistics (The Hague, 1958), PP. 127-156.

وأيضاً : «التصريف في الروسية» "Russian Conjugation", Word, IV (1948), PP. 155-167.

وثمة معالجة لأصول المقارنة (البنيوية) الحديثة لتاريخ اللغة في دراسة جاكوبسون : **«ملاحظات على التطور الصوتولوجي للروسية مقارنة بغيرها من اللغات السلافية»** "Remarques sur l'evolution phonologique du russe comparée a celle des autres langues slaves"

نشرت في : TCLP, II (1929), PP. 1-109 .

وانظر أيضاً : **«أسس الصّوتولوجيا التاريخية»**

Prinzipien der historischen Phonologic"

نشرت في : TCLP, IV (1931), PP. 247-267 .

نشرت ترجمة فرنسية لهذه المقالة في الفصل الخاص بالملاحق مع العمل الأساسي لترويتسكوي «أسس الصوتولوجي»

Principles de phonologie Appendices, PP. 315-336"

وانظر فيما سبق ف ٢٩١ .

وانظر أيضاً الأعمال الآتية لجاكوبسون :

«لغة الأطفال ، والحبسة ، والقوانين الصوتية العامة»

"Kindersprache, Aphasia und ailgemeine Lautgestetze" (Uppsala, 1941)"

و«الدراسات التنمبطية وإسهاماتها في اللسانيات التاريخية المقارنة»
"Typological Studied and their Contributions to Historical Comparative Lingusitics"

نشرت في : 8th Proceedings , PP. 17-25 .

و «اللسانيات والبوطيقا» "Lingustics and Poetics"

نشرت في :
"Style in Language" ed. Thomas Sebeok (1960), PP. 350-377.

وقد تضمن كتاب «الى رومان جاكوبسون»
For Roman Jacobson, (The Hague, 1956)

مسرداً بأعمال جاكوبسون حتى عام ١٩٥٦ .

الحــواشي

(٢٦) قرأ اللســاني الأمريكي ج . جرينبرج J. Greenberg بحثاً عن هذا المـوضـوع في يناير ١٩٦١ ، وذلك في أحد اللقاءات الدورية حول اللسـانيات التي ينظمها قسم اللســانيات العامة في جامعة كولومبيا .

(٢٧) لجاكوبسون دراستان قامت كلتاهما بدور تاريخي في تأسيس المنهج اللسـاني الحديث . أولاهما هي : «حول بناء الفعل في الروسـية»
"Zur Strukwur de Russeschen Verbums"

والأخرى هي : «محاضرة عن علم الحالة الإعرابية العام»
eitrag zur Allegemeinen Kasuslehre (أنظر فيما يلى ف . ٣١٠) .

التفسير البنيوي للتغيرات الصوتية

311 ـ لم تقدم اللسانيات البنيوية إلى الدراسات التاريخية والدراسات التاريخية ـ المقارنة جديداً في المادة بقدر ما قدمت لها أفكاراً ثورية جديدة ؛ ذلك أن الوصف التقليدي للتغيرات الصوتية قد بلغ تمامه بدراسته لأهمية هذه التغيرات بالنسبة للنظام الصَّوتيمي . وقد أدى ذلك إلى تحسن عظيم في البحث اللساني الزماني .

312 ـ واليوم نجد في حوزة اللسانيات نظرية تم استنباطها بالكامل من دراسة التغيرات الصوتية : إذ تبين أن لبعض التغيرات أهمية ثانوية بالنسبة للنظام الصّوتيمي . وهناك تغيرات أخري تعدّ تغيرات حاسمة في هذا الصدد . (ومن أمثلة النمط الأول تغير الصَّويتم / l / إذا وقع في نهاية الكلمة إلى/o/ في اللغة الصرب ـ كرواتية . وعلة كونه تغييراً ثانوياً أنه لم يحدث إلا في مواقع محدودة من الكلمة ، وأن الصَّوتيم /l/ لم يختلف من النموذج كما أن /o/ أيضاً كانت موجودة قبل التغير ، ومن ثم ظَلّ عدد صوتيمات اللغة وخصائص الصَّوتيمات دون أن يلحقه تغيير . أما حين تغير الصَّوتيم /e/ في السلافية المشتركة وحل محله أحد الصَّوتيمين /i/ أو /e/ في الصرب ـ كرواتية فقد نتج عنه انخفاض في عدد صوتيمات الصوائت ؛ أي أن التغير قد أثر على بنية النموذج . وتنهض الدراسات التاريخية اليوم على أساس من حقائق نظرية مقررة : هي أن تاريخ اللغة لا ينبغي له في

الأساس أن يُعنى بتطور كل واقعة لغوية تفصيلية بأن يعالجها بمعزل عن غيرها، ولكن عليه أن يعنى بمصير النظام . إن اللسانيات البنيوية تؤمن إيماناً راسخاً بالرأي القائل بأن التطور اللغوي لا ينبغي النظر إليه على أنه مجرد تحول تدريجي ومطرد ومن وضع لغوي إلي وضع لغوي مغاير . إن أهم هذه التحولات من الوجهة البنيوية - هي المراحل التي ينشأ عنها تغير في البنية . (ومن أمثلة ذلك المرحلة التي يندمج فيها صوتيمان ليصبحاً صوتيماً واحداً نتيجة لما عرض لتحققاتهما الصوتية من تقارب متزايد بمرور الزمن) . فالتغيرات التي تحدث في اللغة ــ إذن - ليست تدريجية (أي أنها لا تحدث على درجات) . ومن جهة أخرى ، فإن المرحلة التي تنبثق فيها ظواهر لغوية جديدة بحيث تبدو وقد حققت نصراً كاملاً لا بد أنها قد سبقت مباشرة بمرحلة كانت فيها هذه الظواهر اختيارية . أي أن هذه الظواهر - بعبارة أخرى - كانت في تلك المرحلة تتعايش جنباً إلى جنب مع الظواهر القديمة ، أحياناً في لغة الفرد (بوصفها اختيارا حرآ أو بحسب اسلوب الكلام) ، أو بأن تكون علاقة مميزة للفرق بين كلام جيلين (حيث إن جيل الشيوخ ربما يميل إلى الاحتفاظ بالصيغ الأقدم ، على حين يتبنى جيل الشباب صيغاً أحدث) .

313 - وقد كان أعضاء حلقة براغ من أوائل من قاموا بتحديث تاريخ اللغة . ومثال ذلك رومان جاكوبسون في دراسته الشهيرة : «ملاحظات على التطور الصّوتولوجي للروسية مقارناً بغيرها من اللغات السلافية» (انظر فيما سبق ف ٣١٠) - حيث صاغ عدداً من الملاحظات ظلت ذات قيمة أساسية

في تاريخ اللسانيات الزمانية الحديثة . ويمكن هنا أن نورد عدداً قليلاً من هذه الملاحظات :

(أ) تقوم النزعات المتنافرة في تطور أى لغة بدون حاسم ، ومثال ذلك أن تطور اللغات السلافية شهد في نقطة ما تعارضاً بين نزعتين : نزعة الاتجاه نحو مبدأ التقابل بين الأصوات الحنكية Plaltal وغير الحنكية Non-Palatal كما في اللغة الروسية ، ونزعة الاتجاه نحو التقابل بين نغمة الكلمة word-tone (كما في اللغة الصرب ـ كرواتية) . وفي مرحلة ثالثة لم يحدث على الإطلاق أن تحقق كلا هذين المبدأين في لغة واحدة ، بل كانت اللغة الواحدة لا تأخذ إلا بواحد منهما .

(ب) أن الأنظمة تنشد السلاسل المنتظمة أو المتوازية من الصَّوتيمات : فحين يفقد النظام أثناء عملية التطور صوتيما ويظل مكانه خالياً (ومن ثم يتحطم مبدأ النظام) ـ فإن اللغة تظهر اتجاهاً نحو ملء هذا الفراغ في النموذج .

(جـ) قد يصير النظام الصَّوتيمي أحياناً شديد الازدحام ، وذلك بأن يشتمل على عدد كبير جداً من الصَّوتيمات التي لا تتمايز فيما بينها من جهتي النطق أوالسمع . ومن ثم فإنها لا تتباين تبايناً كافياً لدى التكلم أوالسماع . وعلي هذه الحالة تحاول اللغة تبسيط الموقف ؛ إما بأن تستغني عن بعض الصَّوتمات ، وإما بأن تدمج صوتيمين في صوتيم واحد .

314 ـ وقد حققت الدراسات السلافية تقدماً ملحوظاً على وجه الخصوص من حيث المنهج[٢٨] . ولم يقتصر ذلك على استحداث تفسيرات جديدة كل الجدة ، وبطريقة كانت على درجة عظيمة من الإقناع لظواهر لغوية زمانية متنوعة فحسب بل إن كثيراً من التفسيرات التي حظيت بقبول عام حتى ذلك الحين قد اخضعت بطريقة ناجحة للمراجعة[٢٩] .

315 - وفي السنوات الأخيرة تحقق أهم إسهام في نظرية التغيرات الصوتيمية على يد البنيوي الفرنسي اندريه مارتينيه Andrée Martinet (وقد كانت مناهج عمله جد قريبة من مدرسة براغ) . ويعد مارتينيه من أعلام المنظرين للسانيات الزمانية . ويمكن إيجاز أفكاره الأساسية على الوجه التالي :

(أ) لدى الإنسان نزعتان متضادتان بالتبادل يقوم تأثيرها المتوازي بتنظيم التطور في اللغة ، وهما : الحاجة إلى تلبية جميع ما تتطلبه عملية التواصل ، والاتجاه إلى الاقتصاد في الطاقة الذهنية والبدنية أثناء عملية الكلام ، أي القصور الذاتي Inertia[٣٠] ويمكن للعلاقة القائمة بين هاتين النزعتين أن تتجلى بطرق متنوعة . ولكن مع ضرورة تحقق شرط لا يخضع للتغير وهو تأمين حدوث التواصل .

(ب) التغيرات الصوتية لا تحدث عَرَضاً ولكنها دائماً مشروطة . وتحاول اللسانيات التقليدية أن تجد تفسيراً لها في التأثير المتبادل بين الأصوات التي يجاور بعضها بعضاً في سلسلة الكلام . وعلى الرغم

من أن هذا التأكيد على المستوي السينتاجمي (أي على المستوى الذي يعنى بتوارد الصوتيمات في سلسلة الكلام) يلحق الضرر إلى حد ما بالتكامل الصوتيمي للصوتيمات ـ إلا أن تأثير التجاور في النظام ـ على أي حال ـ هو الذي يحظى بالأهمية الكبيرة .

(جـ) كل وحدة في النظام الصوتيمي تحتل مواقع محددة في علاقتها بغيرها من الوحدات ؛ فيكون بعضها أقرب أو أبعد من بعضها الآخر من حيث سماتها السمعية ـ النطقية . ولكل صوتيم مجال تشتت خاص به Field dispresion (أي مجال تغطية تحققاته الممكنة) ، وبين مجالات التشتت الخاصة بالصوتيمات المتجاورة يوجد عادة هوامش تشكل مساحة للأمان . وتضيق بعض هذه الهوامش أحياناً إلى حد كبير بسبب تطور الصوتيم (أ) في اتجاه الصوتيم (ب) غير أنه تأميناً للتواصل ينبغي أن يمنع الاندماج بين الصوتيمين . وحينئذ يبدأ مجال التشتت للصوتيم (ب) في التحرك بعيداً في اتجاه آخر . وهكذا تقع سلسلة من تغيرات ردود الأفعال ينتج عنها في النهاية إعادة تشكيل مجمل النظام .

إحـــالات

316 - انظر الدراسة الأساسية التي سبقت الإشارة إليها لجاكوبسون بعنوان : «ملاحظات على التطور الصوتولوجي ..» (انظر فيما سبق ف ٣١٠) . وكتاب أ . مارتينيه الشهير **«الاقتصاد في التغييرات الصوتية»**

"Economic de Changements Phonetique (Berna, 1955)"

انظر ايضاً : أ ، مارتينيه **«الوظيفة والبنية والتغير الصوتي»**

"Function, Structure and sound Change"

نشرت في : word, 8 (1958), PP. 1-32 .

وأيضاً : أ . و . دي جروت : **«اللسانيات البنيوية والقانون الصوتي»**

"Structural linguistcis and Phonetic Law"

نشرت في : Lingua, I, 2 (1948), PP. 175-208 .

الحــواشي

(٢٨) كثير من أعلام الباحثين (ن . س . تروبتسكوي ور . جاكوبسون ون . فان فيك N. Van Wijk و . ف . ماريس F. Marés وآخرون) توصلوا بالفعل إلى ملاحظات على النظام الصَّوتيمي للغة السلافية المشتركة ، كما عولجت بكفاءة أيضافي الصَّوتيميات التاريخية لبعض اللغات السلافونية : إذ قام ن . س . تروبتسكوي وهـ . ج . لانت H. G. Lunt بمعالجة المشكلات الصَّوتيمية في اللغة السلافونية القديمة بنجاح كبير .

كذلك أنجز ر . جاكوبسون عملاً ذا أهمية جوهرية عن تطور النظام الصوتي في اللغة الروسية . وكان لكل من ز . شتيبر Z. Steiber وس . ك . شاموبان إسهامات مهمة في الدراسات الصَّوتيمية للغة البولندية . ودرس ب . ايفيتش P. Ivič الصَّوتيميات التاريخية في الصرب - كرواتية . كذلك قام أ . ف . ايزاتشينكو وأ . ستانكيفيتش بتعيين مؤشرات على درجة كبيرة من الوضوح يحدد بها نزعات التطور المتنوعة في مختلف اللغات السلافونية .

(٢٩) قدم ج . كوريلوفيتش J. Kurylovicz أقوم مراجعة حتى الآن للفرضيات السائدة في علم النبر Accentology في اللغات السلافية والهندية - الأوروبية . (وهذا المؤلف نفسه هو الذي أسدى خدمة جليلة للنظرية اللسانية البنيوية بتدقيقه لمفهوم تشابه الأشكال اللغوية Isomorphism ، ويقصد به الكيفيات التي تتجلى بها العلاقات المميزة للنظام بأشكال متوازية على مستويات مختلفة من المنظومة اللسانية . ومثال ذلك أن يقوم معيار واحد كمعيار الشكل الموسوم/ الشكل غير الموسوم بدور ينظم الوحدات الصوفولوجية والصوتيمية في أزواج متقابلة) .

(٣٠) يتجلى القصور الذاتي - على سبيل المثال - غالباً في تقليل جهر الصوامت في نهاية كلمة ما ، أو في النزعة العامة إلى حدوث تقارب للأصوات بعضها مع بعض في سلسلة الكلام قدر المستطاع ، لكي تتكامل فيما بينها في الواقع .

مدارس اللسانيات الأمريكية
الرواد : بوواز وسابير وبلومفيلد

317 ـ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت بعض تقاليد البحث اللساني في التطور بالولايات المتحدة ، وأسهمت في ذلك جهوَد ويليام دوايت ويتني William Dwight Whitney[٣١] (١٨٢٧ـ١٨٩) أستاذ اللغة السنسكريتية في كلية ييل . وكانت آراء ويتني موضع الحفاوة من معاصريه ، وكانت ـ مع ذلك ـ في انسجام تام مع التفكير اللساني الأوربي في ذلك الوقت . ولم تؤثر هذه الآراء تأثيراً حاسماً على فكر فرانز بوواز Franz Boas (١٨٥٨ـ١٩٤٢) الأستاذ في جامعة كولومبيا والمتخصص في اللغات الهندية ـ الأمريكية .

318 ـ وقد كانت أعمال فرانز بوواز بداية حقيقية لمدرسة أمريكية في اللسانيات . حقاً إن اللغات الهندية قد درست قبل بوواز[٣٢] ، ولكن دراستها تمت على منوال النموذج التقليدي الخاص بالنحو الهندي ـ الأوربي ، وهو نموذج لم يكن ملائماً ، بل إنه أحياناً يوقع في اللبس . وعلي الرغم من أن بوواز قد تلقى تدريبه في ظل المبادئ النحوية التقليدية فإنه لم يجعل من ذلك قيداً يعوق عمله التطبيقي . وحين تبين له من فوره أنه يعالج مباني نحوية مخصوصة قد لا تتناسب مع طُرُز النحو التقليدي قَدّم رأيه الجريء القائل بأن اللغات لها منطقها الداخلي الذي يأبى الانقياد

لتطبيق أي مبدأ منهجي عام ، وأن المادة اللغوية نفسها هي التي تفرض طريقة ما من طرق التحليل تكون ملائمة لها . وتمسك بوواز بهذا المبدأ ، وأنجز دراسات وصفية ناجحة لأنماط من اللغات كانت إلى ذلك الحين غير معروفة . ولا تزال هذه الدراسات الوصفية ذات قيمة معتبرة .

319 ـ وقد كان هناك من الظروف ما رجح مفارقة الباحثين للمنهج النحوي التقليدي ؛ فاللغات الهندية لم يكن لها تراث مكتوب ، ولذلك لم يكن لها تاريخ بما لهذه الكلمة من معنى . ومن هنا استبعدت المقارنة التاريخية ، التي كانت عماد النحو التقليدي منذ البداية . وكان على الباحث أن يصرف همه كله إلى الوصف الصحيح للظواهر اللغوية القائمة ؛ أي أن المقارنة فرض عليها أن تكون مقارنة آنية بالكلية . (انظر فيما سبق ف ٢٦٠) .

320 ـ واستطاع بوواز ما تميزت به مقارنته للغات الهندية من جدية ومنهجية أن يمتلك زمام تراث عظيم في اللسانيات الأمريكية من حيث الهموم العلمي والعمل ، ولا يزال هذا التراث حياً إلى اليوم . وكان بوواز أيضاً أول من جعل الوصف الآني غاية الاهتمام الأساسية ، ولا يزال اللسانيون الأمريكيون يضفون على هذا النوع من الوصف هذه المكانة الجوهرية .

وكان إصدار بوواز لكتابه العظيم «**الدليل إلى اللغات الهندية الأمريكية الأمريكية**» Handbook of the American Indian Languages واحداً من بين أعظم إنجازاته . وليس هذا الكتاب جمعاً لمادة مصنفة ومنسوقة على

نحو يثير الإعجاب فحسب (وهي مادة مأخوذة من تسع عشرة لغة من اللغات الهندية في شمال أمريكا) ـ بل كان كذلك إسهاماً أساسياً في المشكلة النظرية المتصلة بتأسيس منهج وصفي . وقد أشار بوواز في المقدمة التي كتبها لهذا الكتاب إلى إمكان إثراء المعرفة النفسانية بنتائج البحث اللساني ، ثم صار هذا الموضوع فيما بعد من الموضوعات التي تزايد الاهتمام بها في اللسانيات الأمريكية . ويكاد يُعزى إلى كتاب بوواز : « الدليل إلى اللغات الهندية الأمريكية» كل ما من شأنه أن يعدّ أمريكياً في موضوع التطور اللغوي في العقود الأولى من القرن العشرين .

321 ـ أما الممثل التقليدي للسانيات الأمريكية ، ورائد البنيوية في أمريكا ، والمعلم لأجيال كثيرة من الباحثين فقد كان ادوارد سابير Edward Sapir(٣٣) تلميذ بوواز . كان سابير رجلاً ذا ثقافة عامة واهتمامات علمية واسعة على نحو تجاوز كل حد(٣٤) . وقد بدأ ـ مستقلاً عن دي سوسير ـ في نشر أفكاره بالخارج عن اللغة بوصفها نظاماً منسوقاً ، وألقى بنفسه متحمساً في غمار اللسانيات الوصفية التي كانت غايتها الأولى محض أنماط البنية اللغوية .

وتقدم سابير بدراسة اللغات الهندية . ووضع آراءه النظرية الأساسية موضع التطبيق العملي في هذا العمل . وكانت تصنيفاته لتلك اللغات ذات أهمية عظيمة بالنسبة لما حققه التطور اللاحق في مجال الدراسات التنميطية(٣٥)

322 ـ كان سابير هو المؤسس لفكرة النماذج اللسانية ؛ فهو يرى أن كل إنسان يحمل في داخله المخططات الأساسية التي تنظم لغته ؛ أي أنه يحمل النماذج الممثلة لجميع الوسائل الفعلية التي تزوده بها اللغة لتؤمن له عملية التواصل ، ومن هنا يتوصل الإنسان وفقاً لهذه النماذج النفسية الخاصة بلغته إلى التعبير عن أفكاره . ويمثل هذا الصنيع يستحضر في الاستعمال مادة لغوية يستخدمها بالفعل .

323 ـ ومن الضروري لكي نتفهم منظومة هذه النماذج التي تضبط ممارسة الكلام ـ تحصيل معرفة شاملة بالبنية الثقافية للغة التي ندرسها ؛ ذلك لأن نمط التواصل في أي مجتمع محكوم عادة بالجو الثقافي . وكان هذا الجانب من فكر سابير حاسماً بالنسبة لتطور اللسانيات الأمريكية فيما بعد ؛ إذ كان حافزاً لها على احتواء الأبحاث الأنثروبولوجية (انظر فيما يلي ف ٣٤٢) في برنامج الدراسات اللسانية .

324 ـ واتباعاً من سابير لالتزامه الثابت بنظريته في النماذج نجده يحدد الصَّوتيم بأنه مركّب مؤلف من استدعاءات نفسية تندمج في صوت «مثالي» ، أي في مفهوم مخصوص يكمن في شبه الوعي بوصفه نموذجاً يتم على منواله تكوين أمثلة الأصوات المحسوسة[٣٦] . وقد ظل مفهومه النفساني (الذهني) للصَّوتيم ذا أهمية هامشية في تاريخ الدراسات الصَّوتيمية . غير أنه ـ وهو يعرف الصَّوتيم ـ قدم معياراً ذا أهمية بالغة هو المعيار التوزيعي Distributional . واعتقد سابير أن أحد العوامل الحاسمة في تحديد طبيعة الصّوتيم هو إمكانات تجميع الأصوات في سلسلة الكلام ، أي حصر جميع المواقع التي يمكن لصوتيم بعينه أن يحتلها بالنسبة للصَّوتيمات الأخرى التي هي أعضاء في نظام لغوي واحد .

وسرعان ما صار استخدام المعيار التوزيعي أساس المنهجية اللسانية الأمريكية . (انظر فيما يلي ف ٣٣٠)

325 ـ وثمة رمز اساسي آخر من رموز اللسانيات الأمريكية هو ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield (١٨٨٧-١٩٤٩) ، الذي كان أيضاً أستاذاً في ييل[٣٧] . (ويستعمل الآن مصطلح «مدرسة ييل» في الواقع وصفاً للسانيين الأمريكيين الذين طوروا منهجه للتحليل اللساني فيما بعد) .

326 ـ تلقى بلومفيلد أيضاً تدريباً نحوياً تقليدياً ، ولكنه كان أكثر تمسكاً ووفاء للنحو التقليدي من سابير . وقد كانت هموم بلومفيلد أضيق مجالاً ، وظل ـ في المقام الأول ـ باحثاً لسانياً . والفارق الأساسي بين الدور التاريخي الذي قام به كل من هذين الأمريكيين العظيمين هو أن سابير قد حدد لعالم اللسانيات النمطي في أمريكا مجال اهتمامه ونمط الثقافة العامة الملائمة له ، على حين أرسى بلومفيلد أسس المنهج النمطي للسانيات الأمريكية .

327 ـ كان بلومفيلد على إلمام جيد بمشكلات اللسانيات الأوروبية ، ومتابعاً دقيقاً لما حققته من تطور لاحق . غير أن بلومفيلد ، وإن آثر هو نفسه البنيوية في آخر الأمر . لم يَتَبَنَّ في الواقع الفعلي نظريات لسانية أوربية ، ولكن جهد في البحث عن مناهج خاصة به .

وقد زاد استقلال فكره اللساني تدريجياً[٣٨] . وكان التأثير الأوربي لا يزال ظاهراً بوضوح في كتابه «مدخل إلى دراسة اللغة» "Introduction to the Study of Language" (New York 1914) ، وهو كتاب حظي بشهرة كبيرة في ذلك الوقت ، وفيه يطرح بلومفيلد ـ على سبيل المثال ـ

مشكلات معينة على أساس من مفاهيم فوندت Wundt في اللغة . (انظر فيما سبق ف ٨٤) .

ولم تتأثر ثقافة بلومفيلد العامة تأثراً قوياً بالباحثين اللسانيين وعلماء النفس الأوربيين فحسب ، بل إنه تأثر أيضاً بعلماء الاجتماع(٣٩) . غير أن اتصاله بمذهب السلوكيين الأمريكيين كان أعظم العوامل حسماً في التأثير على تكوين نظريته العلمية .

328 ـ وتقول الفكرة التي تهتم بها السلوكية(٤٠) بأن الفروق بين البشر محكومة بالبيئة التي يعيشون فيها ، وأن أي سلوك هو رد فعل ؛ أي أنه يحدث بوصفه إستجابة لمثير خارجي خاص ، وسلوك المرء يكشف عن نفسيته ، ونفسيته تشكل بيئته ، لذلك ينبغي على الدراسات النفسية أن تتوفر على فحص السلوك ، لأن ذلك الفحص هو الذي يسمح بالدراسة المنضبطة والمختبرية ، على حين أن سائر المقاربات الأخرى التي تتسم بطابع أكثر مباشرة لأي ظاهرة ذهنية تحمل معها تلقائياً استخداماً للمعايير الذاتية . ويشمل سلوك الشخص تواصله مع بيئته أي اللغة . وينبغي على الفحص اللساني أيضاً أن يكون موضوعياً ومنضبطاً على نحو صارم لكي يزودنا بمادة مقنعة عن الإنسان وعن نفسيته .

329 ـ ويقبول بلومفيلد للأفكار الأساسية في السلوكية اتخذ موقفاً مناظراً في اللسانيات . ولأن الجانب الفيزيائي من اللغة (أي الصوت) كان أكثر الجوانب ملاءمة للفحص الموضوعي المنضبط ؛ ركز بلومفيلد انتباهه البحثي بالكلية على هذا الموضوع . والقول بأن بلومفيلد هوّن من جانب المعنى هو قول لا تؤيده الحقائق . إن الأمر على نقيض ذلك ؛ إذ إن

بلومفيلد الذي يعمل بروح السلوكية كان عظيم الاهتمام بتوضيح مسالك البحث العلمي التي قد تقود إلى الغاية ، وهي الكشف عن قوانين النفس الإنسانية . غير أنه اعتقد أن التوصل إلى هذا الهدف ينبغي أن يتحقق بصورة تدريجية من طريق الدراسات الوصفية الموضوعية للظواهر الحادثة بالفعل ، وهي التي تنقاد للفحص المنضبط . لذلك وضع بلومفيلد ـ عن قصد ـ حداً لمجال التحليل اللساني بسبب هذا الموقف النظري العام . لقد كان مقتنعاً بأن احتواء جانب المعنى في اللغة قد يتضمن خطر إفساح المجال لدخول المعايير الذاتية في التحليل . إن علينا أن نترك المعنى جانباً حين تكون مهمتنا تأسيس منهج لساني كفء . وهكذا صار بلومفيلد حامل لواء المعاداة للنزعة الذهنية Anti-mentalism (أي معارضة إقحام المعايير الذهني) في اللسانيات(٤١) .

330 ـ ولقد استند النحو التقليدي على التعريفات الذهنية التي لم تكن تحمل بحال على الرضا(٤٢) . وكان لا بد أن يحل محل هذه التعريفات تعريفات دقيقة تتمتع بدرجة عالية من الموضوعية وتقوم على أساس من الوصف المستوعب لسلوك الوحدات اللغوية . ويتجلى هذا السلوك في الإمكانات الملموسة للتواليف المتبادلة في سلسلة الكلام . ومن ثم ، فإن المنهج الجديد كان مؤسساً على معالجة جميع المواقع التي يمكن أن تحتلها الوحدات في نظام لغة بعينها معالجةً مبنية على الملاحظة والوصف ، أي على تحديد توزيع الوحدات اللغوية Distribution of Linguistic Units(٤٣) .

إن مصطلح «التوزيعية» يعني المذهب اللساني الذي قام على أساس من إحكام هذا المبدأ المنهجي الذي أرساه بلومفيلد .

إحــالات

331 ـ انظر عمل بوواز السابق ذكره :

«الوجيز في اللغات الأمريكية الهندية»

"Handbook of American-Indian Languages"

(=Bulletin of the Bureau of American Ethnology, 40, Parts 1 and 2) (Washington, 1911); Part 3, (New york, 1983) (ed. J.J. Augustin).

وانظر ايضاً ر . جاكوبسون **«منهج فرانز بوواز في مقاربة اللغة»**

"Franz Boas' Approach to Language"

نشرت في : IJAL, 10 (1944), PP. 188-195 .

وأيضاً : **«آراء بوواز في المعنى النحوي»**

"Boas' Views of Grammatical Meaning"

نشرت في :

American Anthroplolgist, vol. 61, No. 5, Part 2, (1959). PP. 1339-145.

وأهم أعمال سابير هو : **«اللغة : مدخل إلى دراسة الكلام»**

'Language: An Introduction to the study of Speech" (New York), 1921).

ونشرت مجموعة مختارة من أعماله على يد د . ج . **ماندلباوم**

D.G. Mandelbaum (Barkeley and Los Angeles, 1949)

تحت عنوان : «كتابات مختارة لإدوار سابير في اللغة والثقافة والشخصية»

"Selected Writings of Edward Sapir in Language, Culture and Personality"

وانظر م .ر . هاس M. R. Haas : «سابير وتدريب اللسانيين والانثروبولوجيين

"Sapir and the Training of American Linguists"

ونشرت في :

" American Anthropologist, 55 (1954), PP. 447-449.

ولا يزال كتاب بلومفيلد الشهير : «اللغة»

"Language" (New York, 1933)

مقدمة ممتازة للسانيات الحديثة . وانظر أيضاً تشارلز س . فرايز Charlez C. Fries : «مدرسة بلومفيلد "The Boomfield School"

نشرت في: Trends, PP. 196-224 .

الحـــواشي

(٣١) أفصح وتيني عن عقيدته اللسانية أتم إفصاح في كتابه «اللغة ودراسة اللغة» "Language and the Study of Language (1867)" وكتابه : «اللغة : حياتها ونموها» "The life and Growth of Language (1847)"

(٣٢) في زمن مبكر يرجع إلى عام ١٧٨٨ وصف جوناثان ادواردJohnathan Edward لغة الهنود في ماساشوستس متبعاً في وصفه المناهج اللسانية التقليدية .

(٣٣) تلقى سابير تدريبه الأول (دارساً للغات الجرمانية) في المدرسة «التقليدية» . ولكنه حصل على درجة الدكتوراه متلمذاً على بوواز في الانثروبولوجيا . ومنذ عام ١٩٢٥ كان أستاذاً للسانيات والانثروبولوجيا في شيكاغو ، وانتقل عام ١٩٣١ إلى جامعة ييل .

(٣٤) لم يقتصر عمله على الاشتغال بالمشكلات اللسانية ، ولكنه قام أيضاً بإسهامات ناجحة في مجالات علم النفس والانثروبولوجيا .

(٣٥) انقسمت اللغات في دراسات القرن التاسع عشر إلى ثلاث مجموعات وفقاً للمعايير الصرفية ، وهي : المجموعة الجذرية radical والمجموعة اللصقية aggulitivative والمجموعة التصريفية flectional . ثم اضيفت فيما بعد مجموعة رابعة هي المتعددة التركيب Polysynthetic (وفي هذه المجموعة تتصل الكلمات بعضها ببعض على نحو تتخذ فيه جملة كاملة مظهر وحدة صرفية مفردة . ومثال ذلك لغة الأسكيمو . وقد برهن سابير على أن هذا التصنيف الصرفي فاقد للكفاءة ؛ لأنه كان مؤسساً على حقائق ماثلة بولغ في تبسيطها . واقترح اتخاذ معيار أكثر تركيباً سماه المعيار المفهومي conceptual أسسه على إيمانه بأن أنماط المباني الصرفية المستخدمة في الواقع مشروطة بالمفاهيم المخصوصة التي يتطلع المجتمع المتكلم إلى التعبير عنها . واصطفاء هذه المفاهيم ذات العلاقة هو في الواقع أمر اختياري . ولذلك فإن الأنماط البنيوية

للغات تتنوع تنوعاً عظيماً (مثال ذلك أن اللغات الهندية ـ الأوروبية تحرص على تمييز الأسماء بحسب الجنس، وليس الأمر كذلك في جماعات لغوية أخرى كثيرة). لذلك ينبغي أن يعتمد تصنيف اللغات أساساً على العوامل المفهومية التي تحدد المنظمة البنيوية. وأشار سابير (في كتابه الأساسي «اللغة» Language إلى أنماط المفاهيم الحسية concrete (المتعلقة بالأشياء والأفعال والهيئات) (٢) المفاهيم العلائقية relational (وتختص بالعلاقات بين الأطراف، وبها يتركب الحكم proposition؛ أي المفاهيم التي تشير إلى تنظيم العلاقات بين أطراف الحكم). (٣) المفاهيم الاشتقاقية derivational وتشمل الأفكار التي تكسب المفاهيم الحسية شيئاً من الدلالة ولكنها غير ذات علاقة بمجمل الحكم، ويعبر عنها عادة بالزوائد أو تكييف الجذع stem modification. (٤) المفاهيم الحسية العلائقية conrete-relational (وهي مفاهيم حائزة لعنصرين مجتمعين: عنصر المعنى الحسي، وعنصر آخر علائقي خالص. ويعبر عنها عادة باللواحق الإعرابية inflectional affixes أو تكييف الجذع). والنمطان الأولان وحدهما يجدان بالضرورة ما يعبر عنهما في كل اللغات. وقد قدم سابير أمثلة لتصنيف تنميطي جديد يأخذ في حسابه تحديد المفاهيم غير الإلزامية التي يجري تمثيلها وإلى أي مدى، وتحديد الوسائل التي تستخدم في التعبير عن «المفاهيم الرئيسة» وقد تلقى هذا التصنيف مزيداً من التطوير على يد أتباعه فيما بعد. ومن الإسهامات التي تستحق التنويه في هذا الاتجاه ما قام به جوزيف جرينبرج الذي قدم استقصاء للانتماءات السلالية والتفرعات اللسانية، واضعاً في حسابه المباني الصرفولوجية بجميع تعقيداتها، ومستعيناً بالمناهج الإحصائية. (عيّن جرينبرج على سبيل المثال درجة التركيب في أي لغة باعتبار العلاقة الإحصائية بين الكلمات المستقلة والصرفيمات morphemes ولاستبانة معنى هذا المصطلح انظر فيما يلي ف ٣٣٤). وانظر دراسة جرينبرج: «مقاربة كمية للتنميط الصرفي في اللغة" A Quantitative Approach to the Morphological Typology of language" نشرت في: Method and Perspective in Anthropology, Papers in Honor of Wilson De Wallis (Minneapolia, 1954), PP. 192-220

(٣٦) عرض سابير آراءه في هذا الموضوع لأول مرة في عام ١٩٢٥ في دراسة له بعنوان : «النماذج الصوتية في اللغة» "Sound Pattcns in language" ، ومرة أخرى عام ١٩٣٣ في دراسته عن «الحقيقة النفسية للصُّوتيمات» "La Realité Psychlologique des Phonémes" . وقد أعيد نشرها في : "Selected writting of Edward Sapir" (Barkeley and Los Anglos, 1949), PP. 33-45 and 46-60

(٣٧) هذا فيما بين عامي ١٩٤٠ ـ ١٩٤٧ . وكان قبل ذلك يحاضر في شيكاغو .

(٣٨) لم يقطع بلومفيلد علاقته تماماً بتراث النحو التقليدي ، بل إن المقاربة التاريخية لم تكن موضع إهمال لديه . وقد حاول ـ على سبيل المثال ـ أن يعيد بناء بعض الأشكال اللغوية القديمة التي يمكن أن تكون أساسًا لاشتقاق بعض الأشكال المستخدمة بالفعل في اللغات الهندية الألجونوكية Algonoquian Indian languages . انظر دراسة تشارلز هوكيت Charles Hockett .

"Implications of Bloonfield's Algonoquian Studis" نشرت في : Lg. 24 (1948), PP. 117-131

(٣٩) يلحظ زيليج س . هاريس Zellig S. Harres تلميذ بلومفيلد أن أستاذه حين قرأ كتاب «رأس المال» لكارل ماركس أعجب بأن ماركس عالج المشكلات التي تتعلق بالظواهر الاجتماعية واللغات بطريقة واحدة (انظر : Lg., 22, No. 3, (1951, P. 297 .

(٤٠) مؤسس السلوكية الأمريكية هو عالم لنفس جون برودس واطسون John Broadus Watson . وقد أعطى واطسون صيغة محددة لتلك الأفكار العامة التي استولت على علماء النفس في أمريكا وأوربا في بداية هذا القرن بتأثير من نظريه العالم الروسي الشهير بافلوف (ونظرية بافلوف هي النظرية القائلة بالانعكاسات المشروطة التي تنمو عن طريق العادة بوصفها استجابة آلية لمثيرمعين) . وكان لأعمال واطسون تأثير بالغ في صياغة الفكر والثقافة في أمريكا . وقد صاغ واطسون برنامج السلوكية لأول مرة عام ١٩١٣ في دراسة له بعنوان : «علم

النفس كما يراه السلوكيين» "Psychology as Behaviorists view it" نشرت في : Psychological Review, XX وانظر أيضاً كتابه : «علم النفس من وجهة نظر الباحث السلوكي» "Psychology from the Standpoint of a Behaviourist". (Philadelphia, 1919) .

(٤١) صرّح بلومفيلد بمعارضته للنزعة الذهنية ، ولكنه هو نفسه لم يراع ذلك دائماً في التطبيق (خلافاً لأتباعه) ، وقد أخذ عليه ذلك فيما بعد . (انظر دراسة بايسينس Buyssinas بعنوان : «المفهوم الوظيفي "Conception fonctioelle des fait linguistique Grammaire et psycohlogie", Pares, 1950, P. 37 (المفهوم الوظيفي للحقائق اللسانية ، النحو وعلم النفس) .

(٤٢) احتفظ بلومفيلد بقضايا من مثل التعريف التقليدي للفعل بأنه كلمة تدل على حدث . ومثل هذا التعريف يستبعد تلقائاً من مقولة الفعل صيغاً من مثل to be (الكينونة) و seem (يبدو) .

(٤٣) تحقق الشيوع لهذا المصطلح على يد موريس سواديش Morris Swadesh تلميذ سابير في بيانه للأساس المنهجي في البحث الصّوتيمي وذلك في ظل مفهوم سابير للتوزيعية . (انظر فيما يلي ف ٣٢٤) . وانظر موريس سواديش «المبدأ الصّوتيمي» "Phonemic Principle" نشرت في Lg., 10 (1934), P. 124 .

الحقبة التوزيعية

332 ـ واصل تلامذة بلومفيلد الذين استمسكوا استمساكاً صارماً بمبادئه إحكام ما أرساه من مناهج ، وهي : أن المعنى ينبغي استبعاده من التحليل ، وأن المعايير المستخدمة ينبغي أن تكون موضوعية وآلية بطريقة صارمة . وكان جوهر اهتمامهم هو توزيع الوحدات اللغوية ، وهو التوزيع الذي جرى اختباره باستخدام منهج التوزيع Distribution . ويتألف هذا المنهج من محاولة لإحلال الوحدة موضوع الفحص مكان وحدة أخرى معروفة السياق نفسه . وإذا أمكن لهذا الإحلال أن يتم دون حدوث تغيير أساسي في السياق ، فإنه حينئذ تكون كلتا الوحدتين منتمية إلى فئة واحدة ؛ أي أن لهما خصائص نحوية واحدة (مثال ذلك كلمتا برنامج وإنسان فإنهما تنتميان إلى فئة واحدة ؛ أي فئة الأسماء ، حيث إن من الممكن لهما أن يحتلا المكان نفسه في الجملة الآتية : «ذلك ال . . . خيَّب أملي» .

333 ـ ومنذ أواخر الثلاثينات إلى الخمسينيات أولى التوزيعيون اهتماماً كبيراً للبحوث في مجال الصَّوتيميات ، انهم لم يبحثوا عن السمات المائزة (انظر لبيان هذا المصطلح فيما سبق ف ٣٠٢) ؛ لأن هذا البحث سيؤدي إلى اقتحام مجال الفسيولوجيا النفسانية Psychophsiology مما يصطدم مع برنامج مدرستهم . وبدلاً من ذلك استنبط التوزيعيون في

حرص مبدأ في التحليل يقوم على أساس نظرية التوزيع، ومثلوا له باختبارات الإحلال . وقد فرضت هذه المقاربة الأحادية الجانب قيوداً على قيمة نتائجهم . غير أن هذه البحوث قد أدخلت على مجال الهموم اللسانية ظواهر معينة لم تتلق حتى ذلك الحيث ما هي جديرة به من اهتمام . (مثال ذلك دور المفصل Juncture ، أي الحد الفاصل بين الوحدات اللسانية وما يتصل به من ظواهر) .

334 ـ وقد حقق اصحاب بلومفيلد نجاحاً أكبر في مجال البحث الصرفيمي . وصاغ بلومفيلد في كتابه «اللغة» وجوه تمييز أساسية بين العلاقات التي تحدث على المستوى الصرفيمي ، وقدم لها ما يلائمها من مصطلحات . والوحدة الصرفية هي الصرفيم Morpheme ؛ أي أصغر وحدة ذات معنى في اللغة (ويقتضي هذا التعريف أن الصرفيم يمكن أن يكون كلمة كاملة أو جزءاً من كلمة . ومثال ذلك أن كلمة Playing تتألف من صرفيمين فما : (play ، -ing) . وقد أثبت بلومفيلد ـ في تشبثه بالمشكلة المركبة المعلقة بالوحدات اللغوية التي تنتمي إلى رتبة أعلى ـ ضرورة التمييز بين المستويات المتنوعة للمباني اللغوية (مثال ذلك أن /s/ هي صوتيم في كلمة Snow ، وهي صرفيم علاقة الجمع في (Lips) . وهذا التمييز الصارم لمستويات البنية[٤٤] ضمن للتوصيفات النحوية التي أنجزها التوزيعيون مستوى عالياً من الدقة .

كانت التعريفات النحوية التي قامت على أساس هذا المنهج أكثر بساطة ودقة وعملية من تلك التي استخدمت في النحو الأوربي التقليدي

(القديم) . (مثال ذلك مقولة الصفة في الانجليزية ، إذ عُرِّفت بأنها : الكلمة التي يمكن أن تقع بين الأداة the والاسم ، ولا تلحقها S عند الجمع) . ولا تقتصر فائدة هذا الأمر على المساعدة الكبيرة في تعليم اللغات الأجنبية فحسب بل إنه ليكفل الإعداد الجيد للمادة اللغوية لأغراض الترجمة الآلية (انظر فيما بعد ف ٤٧٧) .

335 ـ والحق أن الدراسات التركيبية الحديثة قد انبثقت مباشرة من هذا النوع من البحث الصرفي ؛ فلكي نؤسس توزيعاً للصرفيمات في لغة ما من الضروري أن توصف كل إمكانات التأليف بينها في سلسلة الكلام ، وهو ما يعنى تجاوز الحدود مباشرة إلى مجال الظواهر التركيبية .

336 ـ وكان أعظم الإسهامات أهمية في نظرية التركيب هو تحليلهم للمكونات المباشرةImmediate Constitutes ، وهي أجزاء المنطوق التي يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً نحوياً مباشراً (ودلالياً أيضاً) . ولقد ساعد هذا على الكشف عن المبدأ الذي يمكن أن يتم به تنظيم الرسالة نحوياً . واستخدمت بهذا الخصوص وسائل تقنية خاصة في صورة رسوم وجداول

337 ـ واكتسبت الجملة البسيطة أيضاً تعريفاً جديداً وأكثر إقناعاً ، وذلك حيث عُرِّفت بأنها «شكل لغوي لا يدخل في تركيب مع أي شكل لغوي آخر» .

338 ـ وقد جاء عرض المنهج التوزيعي بصوره التقليدية الخالصة ـ أي في نهاية الأربعينيات والبدايات الأولى للخمسينيات ـ في كتاب لواحد من أبرز أتباع بلومفيلد هو زيليج هاريس Zellig Harris ، وضع له عنواناً

هو «مناهج في اللسانيات البنيوية» "Methods in Structural Linguistics" (Chicago, 1951)[٤٥] . وكانت اللسانيات الأمريكية آنذاك لا تزال تفتقد وثاقة الصلة باللسانيات الأوربية[٤٦] ، كما كانت تتسم بالضيق والانغلاق إلى حد ما في تصوراتها المنهجية .

339 ـ وبعد عام ١٩٥٠ حدث تغير أساسي ؛ إذ بدأ الأمريكيون في التعرف إلى النمط البنيوي لدى حلقة براغ . وكان أهم العوامل في هذا الصدد وصول رومان جاكوبسون إلى الولايات المتحدة ، وتأسيس مدرسة هارفارد (انظر فيما سبق ٢٣٦) . كذلك بدأ الأمريكيون في الخمسينيات التعرف إلى آراء أ . مارتينيه في الصَّوتيم . وكانت آراؤه قريبة من مبادئ الصّوتولوجيا التي أسستها حلقة براغ ، وأسهمت في ذيوع أمرها . (انظر فيما سبق ف ٣١٥) . وكانت نظرية الصَّوتيم التي تقوم على الكشف عن السمات المائزة (انظر فيما سبق ف ٣٠٢) أكثر إقناعاً من النظرية الأمريكية التقليدية التي تتحرك حركة مغلقة في إطار المعايير التوزيعية . وبلغ الأمر بالتوزيعيين أنفسهم أن بدأوا يعترفون بذلك بدرجات متفاوتة من الصراحة[٤٧] .

340 ـ غير أن حظ التوزيعيين من النجاح كان أعظم بكثير في مجال الدراسات الصرفيمية والنظمية syntactic . وأمكنهم بإحكامهم للإجراءات الآلية في التحليل اللساني تجهيز اللغات للترجمة الآلية . وفيما بين عامي ١٩٥٠ و١٩٦٠ ركزت مصادرهم على إحداث مزيد من التطوير لنظرية نحوية مركبة ، يمكنها أن تزود الباحثين بالحلول المطلوبة التي تكفل تقدم العمل في مجال الترجمة الآلية .

إحــالات

341 ـ انظر الأعمال التالية التي تعالج المشكلات الصوتيمية :

ـ و . ف . تواديل : «في تحديد الصوتيم»

W. F. Twadell, "On Defining the Phoneme" Supplement to Lg. 16 (Baltimore, 1935).

ـ م . سواديش : «التقابلات الصوتيمية»

M. Swadesh, "Phonemic Contrasts" Lg., 11 (1936), PP. 298-301.

ـ ا . هوجين و ف .ف . تواديل : «الحقائق والصوتيميات»

E. Haugen and W.F. Twadell, "Facts and Phonemics", Lg, 18 (1942), PP. 1-22

ـ ب . بلوخ : «منظومة من الفروض للتحليل الصَّوتيمي»

B. Bloch, "A Set of Postuates for Phonemic Analysis", Lg, 24 (1948), PP. 3-46

ـ س . ف . هوكيت : «قضيتان أساسيتان في الصَّويتميات»

C.F. Hockett, "Two Fundamental Problems in Phonemics", SIL, 7 (1949), PP. 29-51

ـ س . ف . هوكيت : «دليل إلى الصَّوتولوجيا»

C.F. Hockett, "Manual of Phonollgy", IJAL, vol. 21, No. 4 (1955) = Indiana University Publication in Anthropology, Folklare and Linguistics, Memair 11, PP. 1-246.

وأهم الأعمال التي تعالج القضايا الصرفيمية هي :

ـ ز . س . هاريس : «بدائل الصرفيم في التحليل اللساني»

Z. S. Harris, "Marpheme Alternates in Linguistic Analysis, Lg, 18 (1942).,PP. 169-180

ـ ز . س . هاريس : « الصرفيمات المجزآة»

Z. S. Harris, "Discontinious Morphemes", Lg 21 (1945), PP. 121-127

ـ س . ف . هوكيت : «قضايا التحليل الصرفيمي»

C.F. Hockett, "Problems of Morphemic Analysis" , Lg, 23 (1947), PP. 321-343.

ـ دوايت ل . بولينجر : «في تحديد الصرفيم»

Dwight L. Bolinger "On Defining the Morpheme", Word, 4 (1948), PP. 18-23

ـ إي .ا . نايدا : «تعيين الصرفيمات»

E. A. Nida, "Identification od Morphemes" Lg, 24 (1948), PP. 4-41.

ـ ر .س . ويلز : «الاستبدال التلقائي»

R. S. Wells, "Automatic Alternation" Lg, 25 (1949), PP. 99-116

ـ اي . ا . نايدا : «الصرفولوجيا»

E. A. Nida, "Morphology", (Ann Arbor, 1949)

ـ س . ف . هوكيت «الصرفوصوتيميات»

C.F. Hockett, " Peiping Morphophonemics", Lg, 26 (1950), PP. 63-85.

ـ س . ف . هوكيت : «منهجان في الوصف النحوي»

C.F. Hockett, "Two Methods in Grammatical Description", Word, 10 (1954), PP. 210-234

ـ ز . س . هاريس : «من الصوتيم إلى الصرفيم»

Z. S. Harris "From Phoneme to Morpheme", Lg 31 (1955), PP. 190-222

وأهم الأعمال التي عالجت « المكونات المباشرة» هي :

ـ ر . س . ويلز «المكونات المباشرة»

R. Wells, "Immediate Constituents". Lg, 23 (1947), PP. 81-117

ـ س . ف . هوكيت «الترجمة من خلال المكونات المباشرة»

C.F. Hockett, "Translation via Immediate Constituents", IJAL, 20 (1954), kPP. 313-315

ـ س . شاتمان : «المكونات المباشرة وتحليل الامتداد التركيبي»

S. Chatman, "Immediate Constituents and Expansion Analysis", word, II (1955, PP. 377-385.

وانظر فيما يلي (ف ٤٣٠) قائمة بالأعمال ذات الأهمية الخاصة في تطور دراسة النظم النحوي .

وهناك وصف للكيفية التي يجري بها تحرير المنهج التوزيعي . وقد تضمنه عمل هاريس الأساس الذي سبق دكره وهو «مناهج في اللسانيات البنيوية» Methods in Structural Linguistics وكذلك كتاب ب . بلوخ

وج . د . تراجر : **«مختصر في التحليل اللساني»**

B. Bloch and G.D.Trager "Outline in Linguistic Analysis", (Baltimore, 1942)

ودراسة ز . هاريس : «البنية التوزيعية»

Z. Harris, "Distuibutional sturcture", Word, 10, (1954) PP. 146-162

وتضمن كتاب ج . ل . تراجر وهـ . ل . سميث ج . ر . **«مختصر في بنية الإنجليزية»** توضيحاً للنهج بالأمثلة .

G. L. Trager and H. I. Smith Jr.; "An Outline of English Structure", SIL Occaional Papers, No. 3, (Norman, Okla, 1951)

ـ وعن نظرية بايك Pike انظر **«اللغة في علاقتها بنظرية موحدة لبنية السلوك البشري»**

Language in its Relation to a Unified Theory of the Structure of Human Behaviour", Part 1 (Glendale, Calif., 11954), Part II (1955). Part III (1960).

ـ انظر أيضاً الأعمال التي سبق ذكرها في ف ٢٤١ ، حيث تقدم هذه الأعمال معالجة متأنية لوجهات النظر الأمريكية في مجال اللسانيات . وانظر ايريك . ب . هامب في **«اللسانيات العامة : الولايات المتحدة في الخمسينيات»** (وقائمة المراجع الملحقة بالدراسة)

Eric P. Hamp; "General Linguistics - The United States in the Fiftied, Trends, PP. 165-195".

ـ انظر فيما سبق ف ٢٤١ الأعمال التي ألقت الضوء على العلاقات بين التوزيعيين والمدارس اللسانية الأخرى .

الحــواشي

(٤٤) أدى هذا إلى طوفان حقيقي من المصطلحات الجديدة التي تنتهي باللاحقة eme ـ أطلقت على وحدات اللغة التي تحتل في النسق التراتبي مرتبة أعلى من الصّوتيمات مثل : episememe, semanteme, grammeme, tgmeme وغيرها . ولا تستعمل هذه المصطلحات دائماً بمعنى واحد ولكن الخلط المصطلحي ينحّى عادة لأن كل مؤلف يحدد قيمة المصطلحات في الاستعمال الفعلي . ومثال ذلك أن بلومفيلد يعرف التاجميم بأنه أصغر الوحدات ذات المعنى بين الأشكال النحوية . وقد أرسى ك . ل . بايك K. L. Pike ـ وهو أحد أعلام اللسانيات في أمريكا ـ الأساس لنظرته نحوية جديدة تسمى التاجميميةTagmemics . وتبرز النظرية الارتباط بين الشاغر Slot (موقع ورود وحدات اللغة) والشاغل filler (أنواع الوحدات التي تشغل هذا الموقع) . ويشكل الشاغر والشاغل معاً في كل مستوى من مستويات التحليل وحدة تسمى tagmeme . وينبغي أن ينظر إلى جميع هذه الوحدات في علاقاتها المتبادلة المعقدة . ولكي يوضح بايك هذه العلاقات نراه يُدخل في هذا التحليل مفهوم المصفوفة اللسانية Linguistic matrix التي هي وحدة من الوحدات النظامية an eimc unit في النسق الذي يقترحه بايك .

(٤٥) هذا الكتاب (الذي أثار كثيراً من الجدل والخلاف) يبين عن المنهج بياناً منظماً ويقدم عرضاً عملياً لتحليل الوحدات الصّوتيمية والصرفيمية للغة السواحيلية وللعبرية الحديثة .

(٤٦) قام اينار هووجين - وهو أحد وجوه اللسانيات الأمريكية البارزين - بالكشف عن هذه الحقيقة . وقد تكلم عن الاصطلاحية provincalism في دراسة له بعنوان :«اتجاهات في اللسانيات الحديثة»,"Directions in Modern Linguistics'

Lg., 27, PP. 211-222

(٤٧) انظر - على سبيل المثال - مراجعة تشارلز هوكيت لدراسة مارتينيه «(الصّوتولوجيا) بما هي صوتيات وظيفية»

"Phonology as Functional Phonetics" Lg., 27, 1951, 333-342

اللسانيات الأنثروبولوجية

342 ـ تعنى اللسانيات الأنثروبولوجية(٤٨) بمشكلة العلاقة بين اللغة والثقافة، وذلك بتقديم الإجابة على سؤالين هما: هل يكون نمط من أنماط اللغة مشروطاً بالنماذج الثقافية التي يتبناها المجتمع المتكلم؟ وإلى أي مدى يمكن أن يتحقق هذا الأمر؟

343 ـ شهد القرن العشرون تطوراً مؤكداً في الاهتمام العلمي بالظواهر المتعلقة بالثقافة. وقد شمل الاهتمام قضايا من مثل: أي أشكال الثقافة على التحديد يكون جديراً بالثقة؟ وما طبيعة العلاقة بين الثقافة وسيكولوجية الفرد؟. هل في الإمكان صياغة نظرية عامة في الثقافة، وغير ذلك من الأسئلة. وانطلاقاً من السلوكية بوصفها الأساس النظري جعل الباحثون الأمريكيون من الظواهر اللسانية ـ اهتمامهم، وأكدوا أن «السلوك اللغوي» (أي الشكل المادي المحسوس من أشكال التواصل) يظهر الفرد بشكل مباشر على أنه حامل لنمط معين من أنماط الثقافة، وأنه أكثر الظواهر ملاءمة للملاحظة العلمية الموضوعية والمباشرة. وهكذا بدأ المشتغلون بالمجالات المعرفية الأخري من غير اللسانيات ـ ولا سيما علماء الأجناس وعلماء النفس ـ يشغلون أنفسهم بالظواهر اللسانية. واكتسبت أفكار علماء الدلالة من الفلاسفة خلال الثلاثينيات أهمية واضحة. كذلك كان علماء الدلالة الفلسفية في شغل بقضية العلاقة

المتبادلة بين اللغة والثقافة ، مما منح الأبحاث «الأنثروبولوجية» في اللغة مزيداً من القوة الدافعة في تعاون يقوم على تعدد الاختصاص .

344 ـ كان لظروف العمل اللساني نفسها في الولايات المتحدة دورها في دعم توجه اللسانيين الأمريكيين نحو الدراسات الأنثروبولوجية . وكان لمشكلة السكان متعددي العناصر الذين يتكلمون لغات مختلفة الفضل في التنبيه على الاهتمام بتقنية الترجمة . وفي بداية هذا القرن بذلت جهود عظيمة في هذا الاتجاه . ومن خلال الممارسة العملية للترجمة ضَمن الباحثون الاحتكاك بمشكلات ذات أهمية عظيمة للنظرية اللسانية العامة . ومن بين هذه المسائل : كيف نفسر طبيعة الأسماء؟ ، ولماذا تختلف المقارنات التي تقوم بها إحدى الجماعات العرقية عن التعبيرات المجازية الموجودة في مجتمع آخر . . . وغير ذلك من المشكلات . وأصبحت الحاجة ملحة إلى معرفة التقاليد الثقافية لكي يتسنى فهم المقولات اللسانية . أما أهم العوامل التي أشارت اهتمام اللسانيين الأمريكيين نحوالظواهر الأنثروبولوجية فقد كان اتصالهم باللغات الهندية الأمريكية .

345 ـ كانت الخطوة الأولى في دراسة هذه اللغات هي تراكم المادة المعجمية التي تظهر بدورها النمط الثقافي للجماعة العرقية . (مثال ذلك أن وفرة المفردات المعبرة عن مفاهيم تعالج الصيد البري أو صيد السمك تعطي إشارة موثوقاً بها إلي حد كبير عن النظام الاقتصادي للسكان) . ولكي ينجزوا مهمة جمع المادة المعجمية وشرحها بطريقة فعالة قدر

المستطاع كان من الضروري توافر قدر من المعرفة السابقة بحياة الجماعة العرقية المدروسة وعاداتها .ولهذا السبب شارك اللسانيون الأمريكيون منذ البداية الأولي في الهموم الأنثروبولوجية لممثلي التخصصات الأخرى . وأيا ما كان الأمر فقد بدأت اللسانيات توجيه اهتمامها الجاد نحو المشكلات الأنثروبولوجية دون أن تنتظر إنجاز المزيد من الدراسة المتعمقة في بنية اللغات الهندية .

346 ـ تختلف مباني هذه اللغات اختلافاً أساسياً عن كل ما هو معروف عن العائلات اللغوية الهندية ـ الأوربية ، إذ هي تكشف عن نفسية ذات خصوصية . ومثال ذلك أن لغة قبيلة هوبي Hopi لا تميز زمن الحدث على النحو الذي نفعله ، ولكن لها وسائلها النحوية التي تصنف بها الظواهر تبعاً للامتداد الزمني ، فالخطوة والموجة وحدث الذهاب هي ظواهر متحولة ، والحجر والشجرة والإنسان ظواهر ثابتة ، على حين أن السحابة لا تقع من الوجهة النمطية ضمن إحدى هاتين الفئتين . وقد طور هنود ايداهو Idaho في لغتهم نظاماً خاصاً يتحقق به التمييز بين الطرق التي يحوز بها شيء ما صفة معينة . ومثال ذلك أن قطعة الحلوى هي حلوة بذاتها ، أما القهوة فليست كذلك لأنهاتستمد حلاوتها من السكر . وقطعة الكعك مع العصير لا تزال حلوة ولكن بطريق غير مباشر ، لأن حلاوتهما مستمدة من العصير ، الذي هو نفسه حلو من الدرجة الثانية لاستمداده الحلاوة من السكر ، وهكذا . . . وقد بدأ المختصون المنهمكون في الترجمة من الإنجليزية إلي اللغات الهندية يشكون من الصعوبات غير المتوقعة التي تبرز

أمامهم أثناء العمل . ومن ذلك أن ترجمة العهد الجديد ترجمة مُرْضية إلى لغة الزابوتيك Zabotec (وهي لغة الهنود في جنوبي المكسيك) كانت محالة ؛ ذلك أن هذه اللغة لا تميز أحداث الأفعال تبعاً لنطقة معينة من الزمان ، ولكنها تميزها تبعاً لحدوث الفعل في الموقف المعين : هل كان ذلك لأول مرة أم لا . وحين وصل المترجمون إلى حادثة زيارة المسيح لبعض البلاد توقفوا عن العمل خوفاً من تشويه النص ، إذ لا وجود لدليل يحدد ما إذا كان المسيح يزورها للمرة الأولى أم أنه قد زارها من قبل . كل هذه الأمثلة وغيرها من الحالات المشابهة كانت سبباً في تنشيط الاهتمامات الأنثروبولوجية في اللسانيات الأمريكية .

347 ـ بدأت اللسانيات الأنثروبولوجية بأعمال بوواز (انظر فيما سبق ف ٣١٨) وسابير انظر فيما سبق ف ٣٢١) . وكان تأثير سابير ، على وجه الخصوص ، ذا أهمية جوهرية في تأسيس تقاليد لمناهج العمل اللساني وأشكاله . كذلك كان لسابير تأثيره في تشكيل باحث لساني أمريكي من نمط خاص (باحث جاد في اللغات الهندية يؤكد أهمية الدراسة التنميطية ، وهو جد متمكن في جمع المادة المتعلقة بالثقافة الشعبية ، وبسيكولوجية الأمة وغير ذلك ، كما أنه باحث ضليع في تفسير الحقائق اللغوية . ومن المتوقع أن يكون ذا ثقافة واسعة مع تدريب خاص في الأنثروبولوجيا وعلم النفس) .

348 ـ وقد رأى الباحثون في تلميذه بنيامين لي وورف Benjamin Lee Whorf شخصية لها تأثيرها على تطور الأفكار الأنثروبولوجية في

اللسانيات . درس وورف اللغات الهندية (وقدم إسهامات مهمة زادتنا معرفة بلغة الأزتك Aztecs في المكسيك ولغة الهوبي في الأريزونا) .غيرأنه خلال دراسته لمادة لغوية لم تكن معروفة حتى ذلك الحين أفصح عن تأييده القوي للقول بأن العالم الذهني والنفساني للمرء يرتبط ارتباطاً جد وثيق ببنية لغته[٤٩] . وأكد وورف أنه لا وجود للغة بدائية ؛ فجميع اللغات سواء من حيث تمتعها بصفة الكمال في الاتجاه الخاص بها . وكل شيء يمكن التعبير عنه بكل لغة . بيد أن كل بنية لغوية مخصوصة تؤثر طريقة خاصة في التعبير عن مفاهيمها للعالم ، وتهمل ـ في الوقت نفسه ـ طرقاً أخرى ممكنة للتعبيرعن الظواهر نفسها . إن مجال الفهم عند الإنسان ، ذلك الذي يحيط بانطباعاته عن العالم الخارجي تشكله ـ في الحقيقة ـ لغته . وهذا المجال يمكنه أن يكن أكثر إحاطة في بعض النقاط دون بعض اعتماداً على البنية اللغوية التي ترسم حدود العلاقة بين الظواهر بأقصى درجة من الدقة ، على حيث ندع فكرة ما دون أن تصوغها صياغة جيدة .

ولا يمكن لأحد أن يشكك في الفكرة القائلة بأن اللغة متأثرة بالثقافة . ولكن نظرية وورف أيضاً أكدت نقيض هذه المقولة ، فنمط الثقافة عنده كان مشروطاً بنمط اللغة ، تلك التي أثرت على عملية اكتساب المعرفة . ولم تكن تلك النقطة الثانية قابلة للإثبات بالبرهان .

349 ـ استقر لدى اللسانيين تقليد يوجب عليهم أن يدخلوا في اهتماماتهم تلك المشكلات التي لا تنحصر في الظواهر المتصلة بطبيعة

اللغة . وما إن استقر هذا التقليد حتى أخذت قائمة الموضوعات التي تعالجها اللسانيات تتصف بالثراء العظيم . مثال ذلك أن اللسانيين قد قدموا الفكرة الخاصة بدراسة اللسانيات القَبْلية Prelinguistics واللسانيات الموازية Paralinguistics واقترحوا لكل منهما التسمية الخاصة به . وتختص أولاهما بجمع المعلومات عن كل العوامل البيولوجية السابقة على حدث الكلام ، وتختص الأخرى بدراسة أهم الظواهر التي لا يمكن أن تعد من الحقائق اللغوية بالمعنى الدقيق ، ولكنها تصاحب عملية الكلام وتكسبها مذاقاً خاصاً (كالوشوشة والصياح والضحك وغيرها)(٥٠) .

350 ـ وقد شجع هذا الاتساع في الهموم اللسانية على نمو مجال تخصص آخر جديد هوعلم الإشارة الجسمية Kinesics أو دراسة الإيماءات وأوضاع الجسم وتعبيرات الوجه بما هي وسائل لتعزيز التفاهم(٥١) . والمهمة الأساسية لهذا التخصص الجديد هو البحث عن إجابات على سؤالين أولهما هو : إلى أي مدى تكون الإيماءات في ذاتها وسيلة تفتقد الكفاءة لتحقيق التواصل؟ والثاني : إلى أي مدى تقوم الإيماءات في يسر بمهمة التعزيز والمصاحبة للغة التي هي أهم وسائل التواصل؟ .

إحـــالات

351 - عن أهداف الدراسات الأنثروبولوجية ومهماتها فى اللسانيات أنظر :

- ا . ل . كروبير : « بعض العلاقات بين اللسانيات وعلم الأعراق »

AL Croeber : Some Relations of Linguistics and

Ethnology '.Lg. 1- (1941) . pp . 287-291 .

- ا . نايدا : « اللسانيات وعلم الأعراق فى مشكلات الترجمة »

E . Nida."Linguistics and Ethnology" in Translation Problems", Woram 1 (1945) pp . 194-208

- س . ف فويجيلين و ز . س . هاريس « مجال اللسانيات »

CF Voegelin and Z.S Harris, "The Scope of Linguistics",

American Anthropologist", 49 (1947), pp . 588-600 .

- ج . ل . تراجر « ميدان اللسانيات »

CL Trager. "The Field of Linguistics", SIL. Occasional Papers,

No. 11, (Norman OKla. 1949)

- د . ل . اولمستيد : « حاضر اللسانيات »

D. L. Olmsted. "Ethnolinguistics so far" SIL. Occasional Papers.

No 22 (Norman. Okla. 1950)

ـ وقد تأكدت قيمة الدراسات اللسانية من حيث كونها معنياً على دراسات أكثر معمقاً للثقافة على يد ت هول T. Hall و ج .ل . تراجر في كتابهما «تحليل الثقافة»

The Analysis of Culture", (Washington, 19533)

أنظر أيضاً مجموعة الدراسات الآتية :

ـ هـ . هويير(محرر) : «اللغة في الثقافة»

H. Hoijer(ed), " Languge in Culture" (American Anthropolgical Association, Memoir 79) (Chaicago, 1954)

ـ نتائج مؤتمر الأنثروبولوجيين واللسانيين ، صاغها كلود ليفي - شتراوس Claud Lévi - Struas ورومان جاكوبسون ، وس . ف فويجيلين ، وتوماس سيبيوك

Thomas Sebeok (Memoir 8, Suppl to IJAL;= Indiana Univ. Public in Anthr. Folklare and Ling., vol. 19, No. 2) (1953).

ـ ولهاري هويير حديث عن تطور اللسانيات الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة في «اللسانيات الأنثروبولوجية»

"Anthropological Linguistics", Trends, PP. 110-127.

ـ ويقدم د . هـ . هايمز D. H. Hymes معلومات عن مراجع اللسانيات الأنثروبولجية في «قائمة مراجع للعمل الميداني في اللسانيات والأنثروبولوجيا»

Bibliography of Field Work in Linguistics and Anthropology", SIL, 14 (1959) PP. 82-91.

ـ وقـــام ج . ب كـــارول J. B. Carroll بنشـــر أهـم دراســـات وورف بعنوان : **«كتابات مختارة لبنيامين وورف»**

Selected Works of Benjamin L. Wharb" (Cambridge and New york, 1956).

ويقـدم ف ا . زفـيـجـيـتـسـف V. A. Zvegincev : في مـجـمـوعـة الـدراســـات الـتي تـصــدر بـعـنـوان : **«الـجــديـد في الـلـســـانيـــات»** Novoe. v Linguvistike (موسكو ١٩٦٠) ـ ترجمه إلى الروسية لثلاث من أهم مقالات وورف (PP. 133-199) . وتشتمل المجموعة نفسها على دراسة زفيجيتسف بعنوان **«المقدمات النظرية اللسانية لفرضية سابير- وورف**

"Teoritiki - Lingvistickie predposylki gipotezy Sepira - Uorfa"(PP. 11=134).

وعن ظواهر اللغة الموازيةانظر ج . ل . تراجر : **«اللغة الموازية : مقاربة أولى»**

Paralanguage : A First Approximation", SIL, 13 (1958), PP. 1- 12

وأيضاً : Taos III: "Paralanguage", Anthropological Linguistics. 2 (1960), PP. 24-30.

ـ و هـ . ل . سـمـيث H. L. Smith Jr. : **«مـخـتـصـر في تحليل** اللسانيات البرانية» .

An Outline of Meta-Linguistic Analysis", Report of the Third Annual Round Table Meating on Linguistics and Languager Teaching "(Washington, 1952), PP. 59-66.

ـ وعن جدوى فحص الظواهراللسانية الموازية بالنسبة للعلاج النفسي انظر ر . ا . **بيتينجر** R.E. Pittenger : و هـ . ل . **سميث : «أساس لبعض إسهامات اللسانيات في العلاج النفسي»**

A Basis for some Contributions of Linguistics to Psychiatry". Psychiatry , 20 (1957) PP. 61-78.

ـ وانظر كتاب **بردز ويسيل** Birdswhistle : الذي أرسى الأساس لعلم الإشارة الجسمية بعنوان : **«مدخل إلى علم الإشارة الجسمية : نظام تفسيري لتحليل حركة الجسم وإشاراته»**

"Introduction to Kinesics : An Annotation System for Analysis of Body Motion and Gesture" (Washington, (1955), PP. 231-244.

(٤٨) يستعمل المصطلح «انثروبولوجي» بالمعنى الذي اصطلح عليه الأمريكيون ، إذ يشمل دراسة كل شيء يتصل بالإنسان وإن كانت دراسة ثقافته تأتي في الصدارة . وبالإضافة إلى مصطلح «اللسانيات الانثروبولوجية» الذي هو أكثر شيوعاً في الاستعمال اليوم ثمة مصطلحات أخرى مثل :«اللسانيات الإثنية» ethnoinguistics و«اللسانيات البَّرانية» metalinguistics و«اللسانيات الكبرى» macro linguistics . ولكن اللسانيين ليس جميعهم على اتفاق في استعمالها بطريقة واحدة . ويقابل غالبية اللسانيين بين اللسانيات الكبرى واللسانيات الصغرى micro linguistics (وهي اللسانيات بالمفهوم الضيق للمصطلح) . وتختص اللسانيات الصغرى ـ تحديداً ـ بظاهرة اللغة على حين تضم اللسانيات الكبرى كل البحوث المتصلة باللغة التي تعيننا أيضاً على زيادة معرفتنا بالظواهر الواقعة خارج الحقائق اللغوية الخالصة ، وإن كانت تتصل مباشرة بعملية التواصل . (ومثال ذلك أن علم اللهجات ينتسب في ذاته إلى اللسانيات الصغرى ، ولكن ما إن يشرع عالم اللهجات في أن يشغل نفسه بما يتضمنه كلام بعض الرواة اللغويين من تجليات محكومة بمستواه الثقافي ـ أعني أن يبدأ هذا العالم مثلاً في أن يعتبر الأقاويل التي ينفرد بها الراوي ـ حتى يصبح البحث ذا كيفية مختلفة ، إذ يعبر الحدود إلى عالم اللسانيات الكبرى في تسميته البحث اللساني القائم على أساس من استعمال المناهج المأخوذة من مجالات الاختصاص غير اللسانية .(فيرى ماندلبورت أن الفحص الإحصائي للغة هو من قبيل اللسانيات الكبرى . انظر فيما يلي في ٤٣٨) . ويقيم بعض المؤلفين (اللغاني الأمريكي ج . ل . تراجر G. L. Trager) تمييزاً مصطلحياً يعنون فيه باللسانيات الكبرى macro linguistics علم اللغة بأوسع معانيه مشتملاً على اللسانيات الصغرى (= اللسانيات بالمفهوم الأضيق) . أما مصطلح اللسانيات البرانية meta linguistics فيعنى عندهم مقاربة بحثية لحقائق اللغة مُفَسَّرة في ضوء الانثروبولوجيا .

(٤٩) أيد ووف في الواقع نظرية رؤية العالم Wltanschauung theory التي كانت جد معروفة في اللسانيات الأوربية منذ عصر همبولت (انظر فيما سبق ف ٧٢) . ولكن اللسانيات الأمريكية لم تكن استمراراً للتراث الأوربي في هذا الصدد . إن وورف لم يستلهم أفكاره من مذهب همبولت Humboldtism . ففي هذا الأمر ، كما في أمور أخرى كثيرة لم يحط جمهور اللسانيين في أمريكا إحاطة صحيحة بإنجازات اللسانيات الأوربية . وقد سادت نظريات مشابهة لنظريات وورف الآن في أوربا علي لسان الهمبولتيين المحدثين neo-Humbodtians (انظر فيما سبق ف ٧٧) ومدرسة اللسانيين الأثنوجرافيين الانجليز التي أسسها مالينوفسكي وفيرث Firth . (كان فيرث ـ على سبيل المثال ـ منظراً لعلم الجمال الصوتي phonaaesthetics ـ الذي يقول بأن كل اللغات تنمو نحو اختيار نمط صوتي معين لتشكيل كلمات معينة ، بأن هذا الاختيار محكوم بعقلية المجتمع اللغوي) .

(٥٠) تطورت الدراسات اللسانية الموازية paralinguistic investigations تطوراً مكثفاً في السنوات الأخيرة بسبب الأهمية التي ارتبطت بتحليل مجمل «السلوك اللغوي» للمريض في الطب النفسي الحديث .

(٥١) كان أتباع علم النفس السلوكي أول من اهتم بالوظيفة التواصلية للحركة . (وقد تكلم العالم النفسي وود ورث، Wood worth عن ذلك في فترة مبكرة تعود إلى عام ١٩٣٨ في «علم النفس المختبري Experimental Psycology» ولكن علم اللغة الجسمية kinesics قد أسس بعد ذلك بكثير حين شرع راي ل . بيرد وسيل Ray L. Bird whistle دراسة الحركات المصاحبة للكلام دراسة منهجية ، مستعملاً المنهج الذي جرى تأسيسه في علم الصوتيات (فقد أدخل مفهوم الكاينيمKineme الذي هو وحدة الدراسة في علم اللغة الجسمية علي غرار الصّوتيم في علم الصوتيات . أي أنه صاغ القواعد الحاكمة على اختيار الشكل ذي الصلة بالملامح الحركيةمن بين الأشكال غير ذات الصلة في عملية الواصل) .

اللسانيات النفسانية

352 ـ علم اللسانيات النفسانيةPsycholinguistics واحد من أحدث التخصصات اللسانية في الولايات المتحدة . ويُنظر إلى عام ١٩٥٣ على أنه عام تأسيس هذا العلم [٥٢] . ويُعنى هذا التخصص بالإنسان أثناء عملية التواصل . ومن ثم يشمل مجالُ الاهتمام المباشر لهذا العلم : الظواهر العضوية والنفسانية لإنتاج الكلام وإدراكه ، والمواقف العاطفية والذهنية تجاه حدث بعينه من أحداث التواصل ، والخلفية الثقافية والاجتماعية التي تشكلت نفسية الفرد في مواجهتها .

353 ـ واللسانيات النفسانية تهم علماء النفس بقدر ما تهم اللسانيين إن لم يكن أكثر . وقد أولى علماء النفس اهتمامهم زمناً طويلاً للظواهر اللسانية[٥٣] ؛ وذلك أنهم عدُّوها مصادر موثوقاً بها للمعلومات في موضوعات متنوعة ذات أهمية بالغة للدراسات النفسية ؛ كالفروق في القدرات الفردية ، وعمليات التعلم والإدراك وغيرها .

وخلال الحقبة السلوكية نما هذا الاعتقاد بقوة ، حتى إن بعض الباحثين بدأوا يؤكدون أن مشكلة السلوك اللغوي Verbal Behaviour ينبغي أن تحتل مكانها في صميم مركز البحث النفسي . وقد كان تأسيس اللسانيات النفسانية سبباً في تجميع اهتمامات اللسانيين وعلماء النفس ،

وإن كانت مهمة الريادة في الإجراءات المنهجية الخاصة بالاختيار في أيدي علماء النفس .

354 ـ يهتم علماء اللسـنيات النفسانية بالمنظمة العصبية للإنسان ؛ أي بتحديد الشبكة العصبية التي تقابل مستوى معيناً من مستويات المنظمة اللسانية (وبعبارة أخري : إن هناك تنسيقاً بين العمليات النفسية والعضوية يتيح للعلاقات القائمة بين المستويات : الصَّوتولوجية والصرفية والتركيبية والدلالية أن تتكامل . والمسألة هنا هي تحديد أي الوحدات اللسانية تقوم بالوظيفة الإشارية لمعان معينة علي وجه التحديد خلال عملية التنسيق السابقة الذكر . ويتطلب ذلك ـ بالإضافة إلى المعرفة النفسية ـ اتصالاً مباشراً بالمشكلات العضوية والعصبية . وتقع عمليات الاستدعاء في بؤرة الاهتمام ، وهي عمليات خضعت للفحص باستخدام اختيارات خاصة . ومثال ذلك أن يعطي المفحوص كلمة ما (وتصاغ غالباً بدون أن يكون لها معنى معجمي ، ولكنها تستدعى إلى العقل عن طريق بنيتها النحوية مفردات موجودة في لغة بعينها) ، ثم يطلب من المفحوص أن يجيب سريعاً بأول كلمة تخطر على باله (وفي هذا لا بد من أخذ تقرير دقيق عن الخلفية الاجتماعية والثقافية للمفحوص لأن الانعكاس الاستدعائي محكوم إلى حد كبير بهما) . وتصنف نتائج الاختيارات بعناية عن طريق استخدام الطرق الإحصائية ، وعلى أساس من هذه النتائج تبذل محاولة للتوصل إلى القوانين الحاكمة على عملية الاستدعاء .

355 ـ وتستخدم اختبارات مشابهة تراجع من خلالها نتائج البحث

اللساني بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ولا سيما في مجال الصوتيميات . ومثال ذلك ما كشفت عنه الاختبارات من أن النظرية الصوتيمية كانت على حق حيث وضعت الصوتيم /i/ في موضع هو أقرب إلى الصوتيم /u/ منه إلى الصوتيم /a/ ؛ فلقد أظهر رد الفعل العفوي للمعلومة أن التقابل i/a أهم في عملية الاتصال من التقابل i/u . وبهذه الطريقة صممت أيضاً قائمة بالصوامت مرتبة تبعاً لوجوه الشبه بينها . ولا تزال تتواصل التجارب التي قد يتحقق بها إنجاز مهم في مجال تأسيس نظام تراتبي للسمات المائزة في الصوتيم . (انظر فيما سبق ف ٣٠٢) .

356 ـ وينبغي على اللسانيات النفسانية أيضاً أن تأخذ في حسابها المشكلات التي تهم اللسانيات الأنثروبولوجية (انظر فيما سبق ف ٣٤٢) : مثل ظواهر الثقافة في علاقتها بالاتصال ؛ ذلك أن الحدث الاتصالي يتم إنجازه تبعاً لشفرة معينة . وهذه الشفرة محكومة أساساً بالعادات الثقافية للجماعة المتكلمة ، على الرغم من أنها تكتسب بطبيعة الحال خصوصية أسلوبية تعتمد على الخصائص النفسية للشخص المشارك في الفعل الكلامي . لذلك كان من الضرورات الأولى تعميق النمط الأساسي للشفرة الاجتماعية حتى تكون هناك متابعة صحيحة لعملية التفاهم المتبادل .

357 ـ وفي كثير من الظروف لن يستطيع الناس أن يفهم بعضهم بعضاً تمام الفهم حيث تكون شخصياتهم قد شكلتها نماذج ثقافية مختلفة ؛ (فالتعبيرات التي تفيد الموافقة في بعض اللغات أو لدى بعض الطبقات هي عند سواهم ببساطة صيغ فارغة من صيغ التأدب لا تعني شيئاً . والتعبيرات التي هي تعاطف متدفق في مجتمع ريفي بسيط ربما تبدو أحياناً

لإنسان المدينة المعقد نوعاً من الجلافة . . .الخ)[٥٤] . يضاف إلى ما سبق أن التفاهم يكون محالاً عندما يحدث في لحظة الاتصال أن يقتحم عقل الإنسان شيء مختلف بالكلية عن الموضوع الذي يدور حوله الكلام[٥٥] وهكذا يكون من بين أخطر المهمات أمام اللسانيات النفسانية أن تكشف عن العوامل التي تشكل عوائق نفسية في طريق الفهم المتبادل ، وإلى مدى يمكن التخلص منها .

358 ـ ويجاهد علماء اللسانيات النفسانية في سبيل تعمق خصائص شخصية الفرد ؛ تلك التي تعطي أي اتصال مذاقه الخاص . ومن ثم فإنهم يخصون الدراسات اللسانية الموازيةParalinguistics بعناية يقظة (انظر فيما سبق ف ٣٤٩) . وهم يؤكدون أيضاً ملاحظات العلاج النفسي على السلوك القولي للأفراد ، بوضع معارفهم اللسانية تحت تصرف المعالجين النفسيين .

359 ـ وثمة مجال مهم من مجالات اللسانيات النفسانية يعنى بآلية الذاكرة وعملية التعلم بوجه عام . وهنا تتصدر الميدان محاولة تأسيس نظرية عن تعليم اللغات الأجنبية ؛ أي كيف يمكن لتعليم اللغات أن يكون أكثر سهولة وسرعة وفاعلية .

(وقد اضطرت مشكلة المهاجرين ، وهي مشكلة لا تزال قائمة ، الأمريكيين على معالجة هذه المشكلة بجدية) . وفي هذا العمل أيضاً تجري مراجعة ما يتوصل إليه الباحثون اللسانيون من نتائج باستخدام الاختبارات النفسانية .

إحـــالات

360 ـ أعلن برنامج اللسانيات النفسانية في المجموعة السابق ذكرها بإشراف تشارلز أوسجود Chargez E. Osgood وتوماس أ . سيبيوك تحت عنوان : «اللسانيات النفسانية : استقراء للنظرية والمشكلات البحثية»

"Psycholinguistics A Survey of and Research Problems (= Indiana University Publications in Anthropology and Linguistics, Memair 10 of IJAL, 19544)

انظر أيضاً أو . س . أوخمانوفا O. S. Oxmanova : «عن اللسانيات النفسانية : مواد لدروس اللسانيات»

"O psiholingvistike: Materialy K Kursam Jazykoznanija (Moscow University, 1957)

* أ . أ . ليونتيف : «اللسانيات النفسانية ومشكلة الموحدات الوظيفية في الكلام»

"A. A Leont'ev, O Psixolingvistike, i problema funkcional'nyx edinite reçi"

نشر في : «مجموعة قضايا نظرية اللغة في اللسانيات المعاصرة في الخارج»

Voprosy teori jazyka v sovremennoj zarubeznoj Lingvištikě (Moscow, AN SSSR, 1961, PP. 163-190).

* الموضوعات المشتركة بين اللسانيات وعلم النفس في الخمسينيات من القرن الحالي يقدمها كتاب جون كارول : «دراسة اللغة»

John Carroll, "The Study of Language" (Cambridge, Mass, 1953)

ويعد كتاب جورج ميللر George Miller : «اللغة والتواصل» مدخلاً جيداً للدرسات النفسية الحديثة في اللغة

"Language and Communication (New York - Torento - London, 1951)

(٥٢) في ذلك العام عقد لقاء بين مجموعة من اللسانيين وعلماء النفس والاثنولوجيا في بلومنجتون ، وفي هذا اللقاء وضعت حدود الدراسات اللسانية النفسانية . وكان صدور مجموعة الدراسات التي عنوانها «اللسانيات النفسانية Psycholingusitics علامة على هذا الحدث (انظر فيما بعد ف ٣٦٠) .

(٥٣) ظهرت علامة الاهتمام الأولى باللغة عند علماء النفس في بداية القرن التاسع عشر مع أعمال ممثلي الأمريقيين الإنجليز (جيمس ميل وولده جون ستيوارت ميل) . أما أول عالم نفس كتب دراسات جادة عن اللغة من وجهة نظر نفسانية فهو ف . فوندت W. Wondt (انظر فيما سبق ف ٨٣) . وفي العشرينيات من القرن الحالي اكتسبت أفكار مدرسة علماء النفس الألمان (م . فيتيمر M. witheimer و ك . كوفكا K. Koffka و ف . كوهلر W. Kohler) آذاناً صاغية ؛ فلقد قامت هذه الأفكار علي أساس من المبدأ البنيوي الذي يبرز الظواهر النفسانية كما صاغتها نظرية الجشطالت وفحواها أن كل شيء يشكل جزءاً من شكل كلي أكبر إنما يستمد خاصيته المميزة من بنية الشكل الكلي . وكان لذلك صدى قوي في أمريكا ، حيث كانت قد تطورت أفكار المدرسة السلوكية ذات الصلة بنظرية الجشطالت (انظر فيما سبق ف ٣٢٨) .و لقد كانت هذه الفترة تحديداً هي الفترة التي بدأ فيها علماء النفس اهتمامهم النشط بمشكلات اللغة .

(٥٤) تحدث همبولت عن النسبية في الفهم المتبادل (انظر فيما سبق ف ٧٤) ، ولكن هذه الفكرة ككثير من أفكار همبولت الأخرى ظلت معروفة في أمريكا معرفة غير وافية .

(٥٥) يشرح علماء اللسانيات النفسانية هذا الأمر بأمثلة من نوع القصة التي تروى حول كلمة applause (وتعني الإطراء والاستحسان) . وتقول القصة أن قسيساً شاباً حضر قداساً أقامه أحد الأساقفة ولم يرتح القسيس للقداس على الإطلاق . وحين قرأ في اليوم الثاني تعليقاً لأحد الصحفيين في الصحيفة المحلية لاحظ في نهاية التعليق كلمة قرأها عدة مرات على أنها applesauce" (وتعني في العامية الأمريكية الهراء) . مع أنها كانت الكلمة الدالة على الاستحسان . غير أن هذا التعليق الإيجابي لم يقبله عقل القسيس الذي كان مشغولاً بانطباعاته غير المحببة ، ومن ثم فقد اتهم الصحفي بإهانة الأسقف ، متفقاً في ذلك بطريقة ذاتية مع الانطباع الذي استوحاه من الكلمة التي أصابها التحريف بتأثير ذلك الانطباع .

مدرسة كوبنهاجن

تأسيس المدرسة : ڤيجو بروندال

361 ـ يطلق مصطلح «مدرسة كوبنهاجن» في المرحلة الأولى على اللسانيات البنيوية التي قامت على أساس من أفكار العالمين الدانيمركيين هيلمسليف Hjelmslev وبروندال Brøndal . ويعتقد الكثيرون أن هذا المصطلح ليس له ـ حين يطلق على الطور الأول من البنيوية الدانيمركية ـ إلا قيمة جغرافية ؛ ذلك أن هيلمسليڤ وبروندال كانا على اتفاق فيما جرى بعد ذلك من تدقيق لنظرياتهما ومناهجهما . غير أن جميع أنصار هذه المدرسة ـ ومن بينهم هيلمسليڤ وبروندال ـ يتميزون عن البداية (التي كانت استثنائية تماماً) باهتمامهم الصريح باستعمال إجراءات المنطق الرمزي في تفسير المادة اللغوية (انظر فيما يلي ف ٣٩٠) . ولهذا السبب تستحق هذه المدرسة مكاناً خاصاً وأن تحمل اسماً يكون لها عنواناً عاماً في تاريخ اللسانيات .

362 ـ وقد امتدت جذور مدرسة كوبنهاجن إلى «حلقة كوبنهاجن اللسانية» Copenhagen Circle of Linguistics التي أسست عام ١٩٣٤ بقيادة هيلمسليف وبروندال . واكتسبت هذه المدرسة أهمية عالمية في تطور اللسانيات الحديثة بتأسيس الدورية العلمية Acta Linguistica عام

١٩٣٩ ، وهي الدورية التي حملت عنواناً فرعياً تفسيرياً هو : «المجلة الدولية للسانيات البنيوية» : "International Review of Structural Linguistics" . وخلال العقدين الأخيرين صدرت هناك أعمال كثيرة لم يقتصر إسهامها على توطيد مكانة مدرسة كوبنهاجن ، بل أسهمت في تطوير اللسانيات البنيوية بوجه عام .

كانت الشخصية البارزة في البداية هي شخصية ڤيجو برونْدال (١٨٨٧ـ١٩٤٢) الأصيلة والمقنعة ، غير أنه توفي قبل أن يتخذ عمله في النظرية البنيوية صورته النهائية . وانتقلت قيادة المدرسة في النهاية إلى هيلمسليڤ الذي لا يزال رأس المدرسة إلى اليوم [توفي هيلمسليڤ عام ١٩٦٥«المترجمان»] .

363 ـ بدأ العمل الرائد الذي قام به ڤيجو برونْدال[٥٦] لإدخال المنهج البنيوي إلى اللسانيات بمقال عنوانه : «اللسانيات البنيوية» نشر في العدد الأول من مجلة Acta Linguistica عام ١٩٣٩ . وفي هذا المقال عرض برونْدال برنامج المقاربة البنيوية للغة . وقد أسهمت أعماله الأخيرة فيما تحقق لاحقاً من تطوير لنظرية التقابلات . وهكذا أثبت أن معيار التقابل ، الذي رسخ بالفعل رسوخاً طيباً في البحث الصوتيمي يمكن أن يستخدم في التحليل الصرفي والدلالي للظواهر .

364 - وعلى أي حال فإن الاهتمام الأساسي لدى برونْدال كان مركزاً علي لحظ الطرق التي تكشف بها مقولات المنطق عن نفسها من

خلال الحقائق اللغوية . لقد كانت المشكلات اللسانية بالنسبة له في الأساس مشكلات فلسفية ، وقام بحلها بما هي كذلك . ومثال ذلك بحثه عن الحروف (الذي قدمه في كتابه «نظرية الحروف "Theorie de prepositons" انظر فيما يلي ف ٣٦٦) ، حيث أتمّ غايته «بتحديد للمفاهيم المنطقية التي ينبغي التعرف عليها بصفتها مفاهيم أساسية ، وبتأسيس لمبدأ تطبيق هذه المفاهيم على كل النُّظم الممكنة بالنسبة للحروف (وللكلمات بوجه عام)» .

365 ـ ولأن بروندال وقف في منتصف الطريق ما بين الباحثين اللسانيين والفلاسفة فيما يتصل بتصوراته العلمية ـ وجدناه لم ينجح تماماً في أن يجاري أيّاً منهم . لقد لامه الفلاسفة لأنه مثالي حاول محاولة لم تكلل بالنجاح للتوفيق بين المنطق الحديث وأفكار أرسطو . ويرى اتباع الجلوسيمية المعاصرون أن بنيوية بروندال لم تبلغ مداها ، وأنه أمعن في استرضاء اللسانيات التقليدية . غير أن الجميع عرفوه واحداً من رواد البنيوية في اللسانيات ، ورجلاً أدى خدمات جليلة في مجال تحديث المدرسة الدانيمركية اللسانية . وحيث نعود إلى عمل بروندال بالتقويم من موقع المذاهب المعاصرة له في عالم اللسانيات ـ ينبغي أن نؤكد أنه كان واحداً من أوائل اللسانيين الذين حاولوا مقاربة اللغة باتباع مناهج المنطق الرمزي (انظر فيما يلي ف ٣٩٥ حول توغل هذه المناهج في اللسانيات المعاصرة) .

إحـــالات

366 ـ انظر كتاب بروندال **«نظرية الحروف»**

"Theorie des prepositions", (Copenhagen, 1950)

(وهذه هي الترجمة الفرنسية عن النص الدانمركي الأصلي الذي صدر عام ١٩٤٠) . وكذلك **«مقالات في اللسانيات العامة»**

"Essais de linguistique générale (Copenhagen, 1943)

ويشمل أهم دراسات بروندال ومسرداً مستوعباً لأعماله .

الحـــواشي

(٥٦) كان ڤيجو بروندال باحثاً على درجة عالية من الثقافة (كان عارفاً بكثير من اللغات ، فقد كان متخصصاً في اللسانيات الرومانسية وفي تاريخ اللغات الجرمانية القديمة ودراسة أسماء الأماكن الاسكندنافية . وقد تحدد توجهه اللساني تحت تأثير اللسانيين الدانيمركيين (تومسون Thomsoen وجسبرسن Jespersen وبيدرسن Pedersen وآخرين) والمدرسة الفرنسية (مييه Meillet وجرامون Gramon . وكان له اعتقاد كبير جداً في آراء دي سوسير . وكان تعرفه الشخصي إلى تروتبسكوي (في عام ١٩٢٨) ذا أهمية حاسمة ، فمنذ ذلك الحين بدأ اهتمامه بالصوتولوجيا . غير أن المعلمين الأثيرين لدى بروندال لم يكونوا من الباحثين اللسانيين بل من الفلاسفة (أرسطو وسبينوزا وليبتنز وكانط وبرجسون وغيرهم) . وقد تأثر كثيراً بالفيلسوف الدانيمركي هارالد هوفدينج Harrald Hoffding الذي منحه الرغبة في دراسة نظرية النسبية وفي الاتجاه ، بوجه عام ، إلى الفلسفة ونظريات الفيزياء والرياضيات ، وهكذا تطور بروندال بوصفه نصيراً قوياً للسانيات الفلسفية ـ المنطقية البنيوية . وهذه الروح تتغلغل في أعماق كتاباته .

مدرسة هيلمسليف الجلوسيمية

367 ـ يُعَدُّ لويس هيلمسليف Louis Hjelmslev (ولد عام ١٨٩٩)[توفي عام ١٩٦٥] واحداً من أطرف الشخصيَّات بين الباحثين اللسانيين في زماننا ؛ فهو المنَظِّر المتوقد ، كما أن بحثه الدائب عن مذاهب جديدة للبحث اللساني يثير الإعجاب . غير أن محاولاته النظرية لم تكن كلها موفقة ؛ إذ كثيراً ما شرد بعيداً عن المسار الأساسي لتطور اللسانيات ، ولكنه كان دائماً علي استعداد لتقبل الهزيمة والبدء من جديد بحثاً عن كشوف جديدة . وقد كان لذلك عواقب غير محببة ؛ فقد وجه إليه اللوم كثيراً لفقدانه الاتساق ، ولإنكاره اليوم ما اعتقده يقيناً بالأمس ، ولما تتسم به نظريته من فقدان الكمال في جميع تفصيلاتها ، بل لاشتمالها على آراء متناقضة(٥٧) . والناس يتحمسون له بسهولة ، وينصرفون عنه بسهولة . غير أن ثمة حقيقة تبقى فوق الشك ، هي أنه كان دائماً أصيلاً ، وكان دائماً تواقاً للبحث عن أشكال جديدة من العمل البحثي . كذلك لا أحد يجادل في أن هيلمسليف كان أول لساني يرى ويؤكد أنه سيكون من أعظم مهمات اللسانيات في المستقبل خلق لغة عليا meta language تكون وسيلة منطقية للتعريف العلمي (انظر فيما يلي ف ٣٨٨) .

ولقد عرف اللسانيون من خلالهم اشتغالهم الحالي بالترجمة الآلية مدى ما كان لدى هيلمسليف من حماسة قادرة على التنبؤ للتجريد

الرياضي قرابة زمن الحرب العالمية الثانية . وسيظل يحظى بمكان في تاريخ اللسانيات حتى وإن لم يبق من تنظيره شيء ذو بال ، فهو الرجل الذي تطلع إلى أفق جديد لم يكن يخطر في ذلك الوقت على بال ، وهو أفق بحثي ينتظر الاقتحام .

368 ـ ولم تُصرَّ مدرسةٌ على الانتماء بجذورها إلى مذهب دي سوسير كما فعلت مدرسة هيلمسليف . وكان له دون غيره فضل المناداة ب «دي سوسير» مؤسساً للبنيوية اللسانية . ومن أجل ذلك أطلق كثير من الباحثين على نظريات هيلمسليف اسم السوسيرية المُحدثة . neo-saussurianism

وتعتمد لسانيات هيلمسليف على دي سوسير في أمرين لا غير : لقد أشار دي سوسير إلى دور الأصوات في تمثيل الماهيات السيكولوجية خلال عملية التفاهم المتبادل ، وكذلك فعل هيلمسليف إذ دأب على فحص الأصوات دائماً على أنهاهيئات مجردة ، على حين أهمل إهمالاً تاماً مظهرها المادي المحسوس . وأشار دي سوسير أيضاً إلى أن أصوات اللغة علامات تواصلية ؛ ومن ثم وجب أن تدرس في ضوء هذه الحقيقة ـ فجاء هيلمسليف ليخضع مذهبه اللساني لنظرية العلامات التواصلية (وليس من الضروري أن تكون هذه العلامات ذات طبيعة لغوية ؛ إذ يمكن ـ على وجه التساوي ـ أن تكون علامة من علامات المرور أو أى شيء آخر يتحمل نقل معلومة ما) . وفيما خلا هذين الأمرين نجد أن الجوامع المشتركة بين أفكار هيلمسليف والامبريقية المنطقية في القرن العشرين هي أكثر بكثير مما

تشترك فيه مع آراء دي سوسير . والحق أن همومه اللسانية لم تكن بحال تطوير الآراء السوسيرية النمطية .

369 ـ ومنذ البداية جاهد هيلمسليف في سبيل إيجاد «نحو منطقي» ؛ أي إيجاد معالجة علمية للغة ـ يمكن أن تكون في أعلى درجات الدقة والوضوح والعلمية وشبه الجبرية"like Algebra" . وقد وضعه هذا في علاقة مباشرة مع المناهج الرياضية في التحليل .

370 ـ نقطة الانطلاق بالنسبة لهيلمسليف هي أن اللغة ليست أمراً لا غنى عنه لتأمين التفاهم المتبادل (فالصم البكم يتواصلون بالإشارة والكلام ، وعلامات المرور «تتكلّم» : الضوء الأخضر يعني أن الطريق خال ، والأحمر يعني : قف لا تتقدم . . .الخ) .

ويقف هيلمسليف بآرائه البحثية في موقف أقرب إلى أنصار الامبريقية المنطقية ؛ وذلك لأنهم مشغولون بوضع نظرية عامة لعلامات التواصل هي نظرية السيميوطيقا Semiotics (أو السيميولوجيا ، وهو مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية Semeion بمعنى علامة) . وقد مارست أعمال كارناب Carnap نفوذاً قوياً بوجه خاص على هيلمسليف ـ وهذه الأعمال صنفان : أولهما صنف (منذ الثلاثينيات) تضمن معالجة كارناب لظاهرة اللغة في إطار مجال السيميوطيقا العامة ، أي معالجة اللغة جنباً إلى جنب مع وسائل التواصل الأخرى(كالإشارات العسكرية وإشارات المرور والسكك الحديدية ، وشفرة مورس Morse والأبجدية التي يستخدمها الصم

والبكم . . .الخ) . أما الصنف الآخر من أعماله فهو دراساته التي تحقق له فيها استخدام الطرق الرياضية في التحليل اللساني) . (انظر فيما يلي ٣٩٦) .

371 ـ وقد أطلق هيلمسليف على نظريته اللسانية اسم الجَلوسيمية Glossematics (وهو اشتقاق من الكلمة اليونانية glõssa بمعنى لسان) . وتعرف مدرسته اليوم بهذا الاسم .

وتعنى الجلوسيمية بالمقارنة النظامية لبُنى اللغات الحية بالبنى الأساسية لكل الأنظمة السيميوطيقية ، أي جميع الوسائل التي يتحقق بها التواصل (بما في ذلك الوسائل غير اللغوية) . وقد قامت هذه البُنى الأساسية على التحليل المنطقي الذي أجري بإستخدام الطرق الرياضية . وإذن ، فإن لسانيات هيلمسليف ذات طابع مقاماتي (براجماتي) ظاهر ؛ إذ إن الهدف منها هو أن تعين على وضع نظرية عامة للعلامات التواصلية ؛ أي نظرية عامة للسميوطيقا . ونتائج البحث الذي يعبر عنها بهذه الطريقة هي أيضاً عملية بدلالة أخرى : ذلك أنها تعين على إنجاز «لغة عليا» للترجمة ؛ أى إنجاز نظام من المعادلات تُحَول إليها اللغة البشرية في عملية الترجمة الآلية . (انظر فيما يلي ف ٤٦٨) .

372 ـ كان من بين أهم منجزات هيلمسليف إدخال المفهومين المائزين الجديدين الآتيين إلى البحث اللساني ، وهما : التمييز بين التعبيرExpression والمحتوى Content ، والتمييز بين الشكل Form والمادة Substance .

إن التعبير والمحتوى مقولتان أساسيتان بدونهما لا يكون تفاهم متبادل . والمحتوى هو الواقع الحي نفسه الذي هو موضوع التواصل ، أما التعبير فيشمل كل الوسائل التي يتم بها نقل كل المعلومات عن المحتوي وتحويلها إلى مصطلحات لغوية ـ أي إلى لغة .

ومن الضروري في عملية التفاهم المتبادل أن نميز بين جانبين من المحتوى هما المادة والشكل ، وكذلك يجب التمييز بين جانبي التعبير أنفسهما :

مادة المحتوى The Substance of the Content ، ويعني بها الواقع الحي في ذاته (الأشياء والبشر ومجمل العالم من حولنا)

شكل المحتوي The form of the Content ويعني به التصور النفسي لمادة المحتوى ؛ أي كيف نستقبل ونتصور الواقع الحي من حولنا .

مادة التعبير The Substance of Expression وهو الجانب الصوتي الفيزيائي من اللغة .

شكل التعبير The form of Expression وهو التصور النفسي لمادة التعبير ؛ أي كيف نستقبل ونتصور علامة اللغة في عملية التواصل .

ومن الممكن أن يفصل الشكل عن المادة ، ويدرس دراسة مستقلة . والحق أن مهمة عالم الجلوسيمية هي أن يدرس شكل التعبير في علاقته بشكل المحتوى . ولأن علماء الجلوسيمية يستخدمون مصطلح «الشكل»

Form على هذا النحو ـ لذلك كثيراً ما يطلقون على أنفسهم اسم «الشكلانيون» Formalists .

373 ـ ويرى هيلمسليف أن أهم شيء هو فحص العلاقات . ومثال ذلك أن عالم الجلوسمية عليه أن يضع في حسابه المحتوى في ذاته ، لأن أي تعبير معين هو مشروط بالعلاقة بين المادة وشكل المحتوى . ومن المشهور أن بعض اللغات الإفريقية لديها كلمتان مستقلتان إحداهما للبقرة البيضاء والأخرى للبقرة السوداء ، على أنها تخلو من أي كلمة تشير إلى التصور العام لأنواع الحيوان التي تقابل الكلمة الانجليزية "Cow" . وينبغي أن تُفَسر هذه الحقيقة بنوع العلاقة الخاصة بين شكل المحتوى ومادة المحتوي لدى أولئك الذين يتكلمون بتلك اللغة الإفريقية المعينة ، (أي أن تفسير ذلك يكمن في أنهم ـ في هذه الحال وعلى النقيض من معظم الشعوب الأخرى ـ يولون أهمية للتمييز بين الحيوانات البيض والحيوانات السود ، دون أن يشعروا بأدنى حاجة لتمييز مستقل يعالج تصور الأنواع) .

374 ـ والعلاقة بين المحتوى والتعبير أكثر تعقيداً مما يبدو لأول وهلة . ذلكم ما يؤكده هيلمسليف ، وعلى سبيل المثال كيف يكون علينا أن نفسر أن كلمة ألمانية واحدة هي blau «أزرق» تقابل كلمتين روسيتين هما goloboj «أزرق» و sinij «أزرق سماوي»؟ . هل الروس ـ في هذه الحالة ـ يبصرون أكثر مما يبصر الألماني عندما ينظرون إلى شيء واحد؟ .

وفي اللاتينية يوجد مفهومان نحويان هما : مفهوم حالة الأداة ablative case ومفهوم الجمع . ويمكن تعيين هذين المفهومين في الأسماء بأربع علامات لغوية هي /i/ ، /b/، /u/ ، /s/ (iubus ـ في نهاية الكلمة) ، ولكن أياً من هذه العلامات إذا أخذ معزولاً ـ ليس مقابلاً مستقلاً لأيّ من المفهومين النحويين اللذين هما موضع النظر (فالعلامتان /i/ ،/b/ ، ليستا بعلامتين لحالة الأداة ، ولا العلامتان /u/ ،/s/ بعلامتين للجمع ، كما أن العكس أيضاً ليس بصحيح . إن ibus ـ وحدها هي التي تشير مجتمعة إلى كلتا المقولتين النحويتين) .

375 ـ ولم يتساءل أحد حتى الآن عن المسوغ النظري للفصل الذي أجراه هيلمسليف بين المحتوى والتعبير ، وبين الشكل والمادة في التحليل العلمي ، وإن كان الكثيرون قد ارتابوا في صحة القول بأن الإجابة على مثل تلك الأسئلة التي سبق طرحها هي المهمة الصحيحة للباحث اللساني . غير أن العمل في مجال الترجمة الآلية قد أظهراليوم أن الباحث اللساني المشتغل بهذا العمل لا يمكنه في الواقع أن يغض الطرف عن هذه المشكلات المعقدة .

376 ـ ووجوه التمايز التي طرحها هيلمسليف ذات قيمة لا شك فيها بالنسبة للنظرية المعجمية .

لقد حاول الباحثون طويلاً أن يقدموا تعريفاً دقيقاً للفرق بين ظاهرتي المشترك اللفظي homonymy وتعدد المعنى polysemy . لكن تحليل

هيـيمسليف تمكن أخيـراً من أن يجـعل من هذه الدقة أمـراً ممكناً . فإذا اشتملت الكلمة الواحدة على محتويين لا يوجد بينهما أي صلة فإن هذا يكون مشتركاً لفظياً (ومثاله في الإنجليزية كلمة Sound (صفة بمعنى «سليم» ، وSound اسما بمعنى «صوت») . أما إذا اشتملت الكلمة الواحدة على محتويين بينهما صلة متبادلة بطريقة ما فعلينا - إذن - أن نعالج الأمر على أنه تعدد في المعني ؛ أي أن الكلمة تمثل وحدة معجمية واحدة ولكنها ذات معنيين (مثال ذلك كلمة رأس = عضومن أعضاء الجسم ، وكلمة رأس في مثل رأس القسم head of department) .

377 - والتزاماً من هيلمسليف بمعتقداته النظرية نجده - لدى فحصه للظواهر المرتبطة بالنطق - يهمل عن عمد كل المعلومات التي تنتمي إلى مقولة المادة . وهو يرى أن المادة ظاهرة متغيرة ؛ فالمظهر الصوتي للغة يتغير تغيراً مستمراً من جيل إلى جيل ، وهيلمسليف ينشد الثوابت الأساسية "ultimate invariants" ؛ أي أنه ينشد الحقائق التي تظل غير قابلة للتغير ما دامت هذه البنية اللغوية المعينة قائمة . وقد لفت الأنظار - على سبيل المثال - إلى المدى الذي تغير به المظهر النطقي من اللغة الفرنسية عبر القرون ، على حين أنها لا تزال - من حيث البنية الأساسية - هي اللغة نفسها . إن القيم المعينة قد تغيرت ، ولكن ما بينها من علاقات ظل بنفس الدلالة النمطية التي نفهمها من المصطلح «اللغة الفرنسية» . ونحن - على وجه الإجمال - نشكل فكرة عن دور علامة لغوية ما - في المقام الأول - على أساس علاقتها بالعلامات اللغوية الأخرى في اللغة ؛ أي

على أساس موقعها من النظام . وكذلك الأمر خارج مجال المشكلات اللسانية ؛ ذلك أن الظواهر لا تكتسب قيمتها إلا في علاقتها بالظواهر الأخرى ذات الصلة بها . ولنتصوّر أن شارعاً ما نعرفه جيداً في مدينتنا يتغير تغيراً تاماً في سنوات قليلة : تحطمت جميع المنازل بفعل القنابل ، وقامت مبان جديدة غير مألوفة مكان المباني القديمة ، بل إن اسم الشارع نفسه قد تغير . غير أنه ـ على الرغم من كل شيء ـ يظل بالنسبة لنا هو الشارع نفسه ، ونستطيع الاهتداء له دون أية صعوبة ؛ ذلك أن موقعه من شبكة الشوارع الأخرى يبقى كما هو . وهذا هودائماً أكثر العوامل حسماً في تعرفنا إلى الظاهرة .

378 ـ هذا التصور النظري أضفى على الهموم اللسانية لدى جميع أنصار الجلوسيمية توجهاً مميزاً ، ولم تزحزحهم عن هذا الموقف تلك المعضلة التي أقلقت غيرهم من اللسانيين ؛ وهي اتخاذ القرار لصالح الآنيّ أو الزماني من البحث اللساني . إن هذا القرار لا يعنيهم على الإطلاق ؛ فهم متطلعون لما هو أساس في البنية اللغوية التي بدونها لا يكون هناك تفاهم متبادل ؛ أي أنهم يبحثون عن العلامات اللغوية ، التي تبدو الآن كما قد كانت في الماضي وكما ستكون في المستقبل . إن اللسانيات عندهم ليست آنية ولا زمانية (انظر فيما سبق ف ٢٦٠) ، وعامل الزمن هنا لا أهمية له .

379 ـ وأنصار الجلوسيمية لا يعالجون آياً من الصوتولوجيا ؛ والصرف أو النحو أو الدلالة منفصلاً بعضها عن بعض ؛ إذ ذلك يعني لا محالة أن يجري العمل على المادةSubstance (أي على الأصوات والكلمات والجمل المحسوسة) .

إن اللغة بالنسبة إليهم «ظاهرة باطنية» immanent phenomenon غير طيعة للتجربة الإدراكية (بحسب التعريف المختصر الذي قال به الباحث السوفيتي شاوميان الذي هو أقرب ما يكون إليهم بالنسبة لهذا التصور) .

380 ـ استخدم علماء الجلوسيمية في دراستهم للغة التجريدات ، أي أنهم حددوا كل وحدة من وحدات اللغة برموز عرفية (مثال ذلك أن يرمز إلى كل صائت Vowel بالرمز V وإلى كل ساكن Constant بالرمز C ، وإلى كل علاقة Relationship بالرمز R ، وإلى كل جملة Sentance بالرمز S . . .الخ) ، وهم يصفون مجمل بنية اللغة مستخدمين هذه الرموز . غير أن استخدام هذه التجريدات في الإجراء المنهجي ، على أي حال ، لم يقف حائلاً دون دراسة المشكلات المتعلقة بالظواهر اللغوية المحسوسة نفسها (إذ اشتغل هيلمسليف نفسه بمثل هذه المشكلات كالتحديد determination والتطابق Congruency على مستوى التركيب Syntax) .

381 ـ يطلق أهل الجلوسيمية على وحدات نظامهم اللساني المجرد مصطلح الأشكال Forms . والشكل أيضاً هو كمية مجردة . إنه يعين جميع التواليف الممكنة لعلامة لغوية بعينها .ويتم اكتشاف مدى الإمكانات الفعلية للتوليف باستخدام الإحلال Commutation . وهو الاستبدال المنتظم لكل علاقة لغوية في سياق معين بهدف التحقق من العلامات التي يمكن لها أن تشغل هذا السياق والعلامات التي يمتنع عليها ذلك ، وهذا العمل يزودنا بالمعلومات التي تحدد العلامات المرتبطة فيما بينها بعلاقات متبادلة ، والعلامات التي ليست كذلك . ومثال ذلك أن

- العلاقة بين صيغ الأفعال الإنجليزية : likes, lives, sees, looks at يمكن إيضاحها بوضعها في سياق واحد مثل :

الرجل يرى الكلب	the man sees the dog
الرجل ينظر إلى الكلب	the man looks at the dog.
الرجل يحب الكلب	the man likes the dog
الرجل يعيش الكلب(؟؟)	the man lives the dog

إن التواليف الثلاث الأولى ممكنة ، أما الرابعة فغير ممكنة .

382 ـ وباستخدام اختبار الإحلال يكون أهل الجلوسيمية قد إنتهوا بالضرورة إلى ملاحظة المادة Substance (أي ملاحظة الحقائق اللغوية المحسوسة) . وهذا الأمر مخالف لإعلانهم النظري الأساسي بأنهم سيقيدون أنفسهم بمعالجة الشكل Form . ولجوؤهم الذي لا مفر منه إلى مثل هذا الاختبار في التحليل ينظر إليه ـ إجمالاً ـ على أنه أمر يكشف عن أضعف النقاط في نظرية الجلوسيمية .

383 ـ وقد أبدى هيلمسليف ـ في دراسته لبنية العلاقات اللغوية ـ عدداً من الملاحظات المتنوعة تستحق الانتباه . والآن تعد هذه الملاحظات ـ التي ارتبطت بتمييزه بين علاقات التتابع Syntagmatic realtions وعلاقات الاستبدال Paradygmatic relation ـ من الإنجازات المرموقة التي تلقيت بالقبول الواسع في النظرية اللسانية .

وتختص علاقات الإستبدال بفحص العلاقات التبادلية بين الوحدات

اللغوية في نظام لغوي كامل ، على حين تختص علاقات التابع بالعلاقات المباشرة بين الوحدات اللغوية في سلسلة الكلام[٥٨] . وترتبط علاقات الاستبدال والتتابع بعضها ببعض على وجه التبادل على نحو ما جرى تأسيسه باستخدام اختبارات الإحلال . وينبغي أن يكون الهدف من التحليل اللساني هو الكشف عن جميع المبادئ التي بها يحدث هذا الارتباط . حقاً إن البحث اللساني ينبغي أن يعنى في المقام الأول بالمظاهر اللسانية ، ولا يعني هذا أياً من المظهرين الصوتي والمعنوي في اللغة ، بل يعني العلاقة بين المظهرين . ولكل لغة مفردة علاقاتها الخاصة بها . وتأسيس علاقات التابع والاستبدال باستخدام اختبار الإحلال يمكن أن يحدد طبيعة الظواهر اللغوية ذاتها ؛ أي أنه يظهرنا في كل حالة من الحالات المعينة على ما هوخاصية أساسية عامة ، وما هو سمة مفردة .

384 ـ لقد شهد القرن العشرون فيضاناً من المصطلحات الجديدة ، فاكتسبت المفاهيم الجديدة تسميات جديدة (انظر فيما سبق ف ٢٣٩) . والجلوسمية عند هيلمسليف ليست استثناء من هذه القاعدة العامة . ولذلك تعترض المبتدئ في الدراسات الجلوسيمية مصاعب مصطلحية . إن هيلمسليف ، وهو النصير المتحمس للمناطقة المحدثين قارب تعريف الظواهر من منظور معرفي (أي من منظور الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة) ، مما يقتضي مجهوداً لتأمين الدرجة القصوى من دقة التعبير . ولقد كان استخدام المصطلحية ذات الكفاءة ضرورة مطلقة ، وكان ينبغي إيجادها في كثير من الحالات من أجل تحقق هذه الغاية . وكان

هيلمسليف في هذا الصدد أكثر عرضة للنقد ؛ ذلك أنه أخفق في استخدام المصطلحية الموجودة ، وهي مصطلحية لم تكن دائماً غير مناسبة بل إن الأمر على النقيض . وهناك أيضاً مظهر ضعف يشترك فيه هيلمسليف مع سائر البنيويين ؛ ألا وهو افتقاد الاتصال الأوثق بين المدارس الأساسية ، ولا سيما في السنوات الأولى من عمر البنيوية ، (انظر فيما سبق ف ٢٣٢) . وقد أدى ذلك إلى فوضى مزعجة في تأسيس المصطلحية اللسانية الحديثة . إن المبتدئ في اللسانيات عليه أن ينفق زمناً طويلاً ـ علي سبيل المثال ـ حتى يتبين له أن التمييز الذي وضعه هيلمسليف بين الفئة المكثفة intensive والفئة المنتشرة extensive تقابل الظواهر التي حُددت في مصطلحية جاكوبسون بالمتقابلتين موسوم / غير موسوم marked / unmarked (انظر فيما سبق ف ٢٢٨) ، ويتبين له كذلك أن ما يفهمه هيلمسليف من تعبير «المنهج الاستدلالي في النحو» deductive method يقابل ما تطلق عليه مدرسة بيل «البحث عن المكونات المباشرة» search for immediate constitutents (انظر فيما سبق ف ٣٣٦) ، وأن ما تطلق عليه مدرسة بيل الاستبدال Substitution يقابل الإحلال Commutation في المصطلحية الجلوسيمية . . .وغير ذلك . غير أنه بمجرد السيطرة على الأبجدية المصطلحية الأولى في اللسانيات الحديثة تتفتح الأبواب في يسر أمام نظرة تطل على آفاق جديدة .

385 ـ إن التصورات النظرية عند أصحاب الجلوسيمية ، تلك التي اكتسبت من أول أمرها توجهاً منطقياً ـ قد ميزت أعمالهم من أعمال سائر

المدارس اللسانية ، ولا سيما في الأطوار الأولى من البنيوية اللسانية . وصحيح أن أهل الجلوسيمية قد اتهموا بحبهم المفرط للتجريد والشكلانية[٥٩] ، وبأنهم لم يفلحوا دائماً في تطبيق معاييرهم المنطقية على مادة اللغة الفعلية (وهو ما قوبل بصيحات الاستهجان من قِبَل النقاد) ـ ولكن هؤلاء المناصرين للجلوسيمية هم الذين أقلع الباحثون ـ في السنوات القليلة الماضية فحسب ـ عن النظر إليهم على أنهم نوع من النبت الغريب في حقل البنيوية اللسانية ، ذلك أن العمل في الترجمة الآلية machine translation قد أخذ الآن يبلغ أشده .

ولقد كان للاعتراف العام بقيمة المناهج الرياضية في اللسانيات وتعرف هذه المناهج في زماننا فضل الجمع بين كل المدارس البنيوية والتقريب بينها . (انظر فيما سبق ف ف ٢٣٢و٢٣٦) . وكان أنصار مدرسة بيل من أوائل من فطنوا إلى أن الإخفاق في فهم الجلوسيمية كان نتيجة افتقاد الاحتكاك المتبادل أكثر من كونه نتيجة للفروق في التصورات النظرية الأساسية . (انظر فيما سبق ف ٢٣٥) .

وتلقى مدرسة الجلوسيمية انتشاراً ـ بوجه خاص ـ بين البنيويين السوفييت[٦٠] .

386 ـ يقدم ب . سيرتسيما B. Siertsema دراسة مستوعبة لأعمال هيلمسليف حتى نهاية عام ١٩٥٤ في الكتاب السابق ذكره : **«دراسة في الجلوسيمية : استقراء نقدي لمفهوماتها الأساسية»**

"A Study of Glossematics: Critical Survey of its Fundamental Concepts, Hague, 1955"

* نشرت النظرية الكاملة للجلوسيمية أول مرة عام ١٩٤٣ باللغة الدانيمركية (L. Hjelmslev, Omkring Srpogteoriens grundlae ggelse) ، وبالانجليزية (بترجمة ف . ج . هوايتهفيلد F. J. Whitefield) عام ١٩٥٣ بعنوان : **مقدمة نقدية لنظرية في اللغة**

(Prolegomena to a Theory of Language), Suppl. to TJHL, Vol. 19, Memoria 7, Indiana Univ. Publ. in Anthropology and Longuistics).

وقد أسهمت الترجمة الإنجليزية إلى حد كبير في انتشار أفكار هيلمسليف (وفي نهاية الكتاب ألحقت قائمة مشروحة بمصطلحات الجلوسيمية) . ونشرت ترجمة روسية للكتاب في مجموعة «الجديد في اللسانيات "Novoe v lingvistike", (Moscow, 1960, PP. 264-389)

ويتحدث هـ . أ . أولدال Uldall عن نظرية الجلوسيمية (واضحٌ أن ذلك كان بوحي من هيلمسليف نفسه) في كتابه **«مختصر في الجلوسيمية»**

("Outline of Glossematics", Copenhagen, 1957) (وهناك ترجمة لهذا العمل إلى الروسية في مجموعة «الجديد في اللسانيات» (PP. 390-436) .

ثمة عرض لآراء هيلمسليف العامة في البنيوية في دراسة بعنوان «منهج التحليل البنيوي في اللسانيات»

(Metod struktornogo analiza v lingvistike) Acta Linguistica, VI, fasc. 2-3, (Copenhagen, 1950-51), PP. 57-67).

وقدم هيلمسليف أول عرض عملي لمنهجه في كتابه «مقولة الحالة : دراسة في النحو العام»

"La Categoire de Cas. Étude de grammaire générale" Part 1: Acta Linguistica, VII, I, (1935)' Part II: Acta Linguistica, VIII , I, (1935)' Part II: Acta Jutalindica, VII, 1, (1935); Part II: Acta Linguistica, IX, 2, (1937).

كذلك شرحت منجزات هذه المدرسة شرحاً طيباً في الإسهامات المنشورة بالمجموعة التذكارية من مجلة حلقة براغ اللسانية (TCLC, vol. V) بعنوان «دراسات بنيوية» Research Structurales بمناسبة بلوغ هيلمسليف عامه الخمسين(١٩٤٩) . وانظر أيضاً كنود توديباي Knud Todeby في «البنية الباطنة للغة الفرنسية»

Sructure immanent de la langue Francaise", TCLC, VI, PP. 7-282.

انظر أيضاً أندريه مارتنيهAndré Mariné : «حول موضوع أسس النظرية اللسانية عند لويس هيلمسليف»

"Au sujet des fondaments de la theorie linguistique de Lois Hjelmslev" Bulletin de la Société de linguistique de Paris, 442 (196), PP. 19-43

ولهذا العمل ترجمة روسية نشرت في مجموعة «الجديد في اللسانيات» (PP. 4337-462) .

* انظر كارل هـ . بورجسترام Carl HjBorgesträm : «تقنية الوصف اللساني

"Technique of Longuistic Description"; Acta Linguistica, 5 (1945-1949)

* يبلي - فيشر يورجنسون Eli-Fischer Jorgenso : «النشاط اللساني في الدانيمرك (١٩٤٠-١٩٤٨)»

Danish Longuistic Activity , 1940-1948, Lingua, II, 1, (1949), PP. 95-109

* ل .ل . هاميريك L.L. Hammeich : «أهل الجلوسيمة ومناهجم»

"Le Glossematistes danois et leur méthodes", Acta Philogica Scandnavia, 21, 1 (1950), PP. 1-12

* سفاند يوهانسين Svand Johansen : «الجلوسيمية والمنطق الرمزي»

"Glossematics and Logistics", Acta Linguistica, VI, (1950), PP. 17-30

* ج . أونجيير G. Uhengeuer : «المنطق الوضعي واللسانيات الحديثة (الجلوسمية)»

"Lonischer Positiismus und moderne linguitik (Glossematik)" Uppsala, (1959)

* ف . ا . زفيجينتسيف A. V. Zrigincev : «الجلوسيمية واللسانيات»

(Glossematika i lingvistika)Moscow, 1960, PP. 215-243

في مجموعة «الجديد في اللسانيات»

* هينينج سبانج - هانسين Henning Spang - Hanssen : «الجلوسيمية» "Glossematics" Trends, 8, PP. 128-164 .

الحـــواشي

(٥٧) في رسالة علمية بعنوان : «دراسة في الجلوسيمية : استقراء نقدي لمفاهيمها الأساسية» (انظر فيا بعد ف ٣٨٦) تنقد بيرتا سيرتسيما Berta Siertsema مظاهر عدم الاتساق في مذهب هيلمسليف بطريقة تتسم بالفيهقة .

(٥٨) قارن تمييز دي سوسير للعلاقات السيتاجمية (rapport syntagmtiques) في مقابل العلاقات الاستدعائية (rapport associatifs) . ويرى دي سوسير أن الأولى تختص بالعلاقات القائمة بين العلامات اللغوية في سياق معين ، على حين أن الثانية تشير إلى الرابطة الاستدعائية لعلامة لغوية ما بالعلاقات التي تصاغ طبقاً للنموذج نفسه . (قارن : speechless , shamless, useless وغيرها) .

(٥٩) هذا المصطلح الذي أساء فهمه في الغالب قوم علموا به على وجه غير صحيح من حيث قيمته الفعلية هنا ـ لم يشجع كثيراً من اللسانيين على تقبّل الدراسات الجلوسيمية .

(٦٠) يمكن أن يلحظ ذلك ـ على سبيل المثال ـ من الموقف اللساني الذي اتخذه س . ك . شاوميان كما ظهر في كتابه : «اللسانيات البنيوية بما هي نظرية في اللغة» . (صدر عن معهد الدراسات السلافية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية)

Strukturanaja lingvistika kak immanentnja teorija jazyka (Moscow, AN,SSSR, Institute Slavjanovedenija, 1958)

الرمزية المنطقية في اللسانيات

المنطق الرمزي

387 ـ كان إدخال الطريقة التجريدية (أي استخدام الرموز في التحليل العلمي) ذا أهمية ثورية لتطور البحث العلمي في القرن العشرين . وباستخدام هذه الطريقة حققت الرياضيات والفيزياء صعوداً وطفرة هائلة . وقد أسهم أهل العلوم المنضبطة وأهل الفلسفة الحديثة من علماء المنطق الرمزي في تحقيق الكمال لهذا الإجراء المنهجي .

388 ـ واتجه التعاون المشترك بين علماء الرياضيات وعلماء المنطق في المقام الأول إلى اكتشاف «لغة عليا» meta language ، وهي لغة مجردة ومنطقية إلى أقصى حد تستخدم لأغراض التعريف العلمي . إن اللغة الإنسانية لا يمكن أن تكون هي اللغة الواقعية للعلم ؛ لأنها ليست باللغة المنطقية الصارمة . وقد اتفق علماء الرياضيات والمنطق على أن خدمة متطلبات العمل العلمي يمكن أن تتحقق على الوجه الأمثل بنظام للتواصل مؤسس على وحدات مجردة (رموز) يجري تنظيمها على نحو يضمن الحد الأقصى من الدقة في الاتصال .

389 ـ والرمز Symbol هو علامة عرفية يتم بواسطتها تحديد الظواهر الواقعية لكي تسهل عملية التحليل المنطقي (حتى إن الرموز في الرياضيات

تستخدم في أمثلة الأطفال ؛ إذ يشار إلى العدد المجهول بالرمز س وإلى العدد المعلوم بالرموز (أ أو ب أو جـ) . ويمكن توضيح طريقة إدخال الرموز المنطقية في التحليل النحوي القائم على اختبار الاستبدال Substitution test بضرب الأمثلة الآتية[١] :

١ ـ لنفرض أن ل هو اللغة المدروسة ، وأن «أ ، ب »علامتان معينتان يهمنا معرفة العلاقة بينهما ، وأن «س ، ص »هما أي علامتين أخريين من اللغة «ل » .

٢ ـ ينبغي أن تنتمي «أ ، ب »إلى فئة نحوية واحدة إذا أمكن وقوع كل منهما في موقع الأخرى بالتبادل في سياق نحوي واحد . ومن الممكن تصوير إمكان التبادل بينهما منطقياً بإحدي المعادلتين الآتيتين :

(أ) يمكن تغيير «أ ، ب » بالتبادل في «ل » إذا كانت «س أ ص» و «س ب ص» جملتين في «ل» .

(ب) يمكن تغيير «أ ، ب » بالتبادل في ل إذا كانت «س ب ص» تقوم بوظيفة الجملة في المواقع التي يمكن أن تقوم فيها «س أص »بالوظيفة نفسها ، والعكس صحيح .

ونظراً لأن استخدام الرموز في التحليل العلمي واسع الانتشار نجد كثرة من العلماء يطلقون على الطور المعاصر من أطوار البحث العلمي اسم عصر الخوارزمية algorithm[٢] .

390 ـ ولم تكن لجهود علماء الرياضيات والمناطقة في سبيل البحث عن لغة عليا نصيب من جودة التنسيق في أول الأمر ؛ إذ كان كلا الفريقين

يعمل منفرداً ، وكان كل منهم يحاول اختبار طرق استخدام الرموز في التحليل داخل إطار تخصصه لا يتعداه . وهكذا ظهرت الرياضيات العليا (meta-mathmatics) التي أحكم طرقها عالم الرياضيات الألماني هيلبرت Hilbert ، كما ظهر المنطق العالي metalogic (الذي أسسته مدرسة المناطقة البولنديين ، وعلى رأسها **أجوكيفيتش** Ajukiewicz ، و**ليزنيفسكي** Les´niewski **ولوكازفتش** Lukazeiwicz ، و**تارسكي** Tarski) . وفي النهاية تضافرت هذه الجهود نتيجة لاعتراف الفريقين بما يجمعهما من هدف مشترك وهو اكتشاف لغة عليا . وكان هذا يعني تأسيس مجال تخصصي جديد هو المنطق الرمزي logistics .

391 ـ أكد أهل المنطق الرمزي الفرضية القائلة بأن الرياضيات مؤسسة على المنطق ، وأنه ينبغي أن يؤلف بين جميع الخبرات المنهجية التي اكتسبها هذان التخصصان[٣] . كذلك أكد أهل المنطق الرمزي أن بعض علماء الرياضيات (مثل **فريج** Frege **وهيلبرت** Hilbert **وبيانو** Peano وغيرهم) قد قدموا في عملهم أمثلة باهرة للمنهج المنطقي الحديث في التحليل .

وسرعان ما وجه علماء المنطق الرمزي انتباههم نحو مشكلة اللغة الإنسانية .

392 ـ شغل الفلاسفة أنفسهم طويلاً بأسئلة من مثل : في أي شيء يكمن جوهر اللغة؟ وكيف يمكن تعريفها تعريفاً دقيقاً؟ وكيف يتم إنجاز ظاهرة التفاهم المتبادل؟ وما عسى أن تكون طبيعة «اللغة الكاملة» من

المنظور المنطقي؟ وغير ذلك من الأمثلة . وقد اكتسب هذا الاهتمام المتقدم حافزاً أقوى في الحقبة التي كان الناس فيها يواصلون بحثهم عن «اللغة العليا» . ولكي ينظموا البنية المنطقية للغة العلم بأقصى قدر مستطاع من الدقة لم يكن أمامهم سوى أن يوثقوا صلتهم ببنية اللغة الإنسانية ، التي هي أكمل أداة للتواصل تم ابتكارها حتى الآن . غير أن هناك أيضاً عوامل أخرى محفزة ، وأول هذه العوامل المبدأ الذي شاع التمسك به ، وهو أن الفلسفة الحديثة ينبغي أن تعنى بالمنطق العلمي الذي يستند إلى ظاهرة التواصل . ثم يأتي الرأى الذي اكتسب درجة ما من الشيوع (وقد آمن به على سبيل المثال ـ راسل نفسه Russell) ، وفحواه أن السبب المباشر في الخلافات بين المظاهر الأساسية في الفلسفة هو الخلافات الأساسية الواقعة في نظم اللغات المستخدمة في التعبير عن الأفكار الفلسفية[٤] . وأخيراً اتجه اهتمام الدارسين في القرن العشرين على نحو مكثف إلى مشكلة العلاقة بين الإنسان وثقافته (انظر فيما سبق ف ٣٣٤٣) ، والصيغة التي من خلالها يتم التعبير بشكل أكثر مباشرة عن هذه العلاقة هي اللغة الإنسانية .

393 ـ ويرجع الفضل في تأسيس المقاربة المنطقية الرمزية للظواهر اللسانية في المقام الأول إلى ممثلي «حلقة ڤيينا للمناطقة» Vienna Circle of Logicians[٥] (وهي التي عرفت باسم «المناطقة الامبريقيون») ، ولا سيما ر . كارناب R. Carnap (وهو الذي أحكم استخدام المنهج الرمزي في دراسة النحو) ، وهـ . ريشنباخ H. Reichenbach . وقد جعل المناطقة الامبريقيون مجمل البحث مديناً لهم بفضل اشتغالهم بمنهج مؤسس على استخدام الرموز . كما قدم الفيلسوف إ . كاسيرير E. Cassirer إسهاماً معتبراً في تحقيق الدقة والذيوع للمنهج الجديد ، وذلك باتخاذه جانب

المناطقة الامبريقيين فيما يتصل بالهموم اللسانية . أما أقوى مراكز المنطق الرمزي الآن فموجود في الولايات المتحدة .

394 ـ وتسمى دراسة اللغة البشرية باستخدام اللغة العليا النحو الرمزي logistic grammar . وتعد هذه الدراسة في أيامنا تخصصاً علمياً جديداً .

395 ـ ولقد قارب ممثلو الفلسفة الحديثة البحث اللساني ـ في المقام الأول ـ من منطلق همومهم الفلسفية (وارتبطت كشوفهم الأولى ذات الأهمية النظرية والمتصلة بتطبيق المنهج المنطقي الجديد على اللغة الإنسانية ـ بما بذلوه من جهد لحل إحدى المشكلات الفلسفية المتقادمة ؛ وهي مشكلة البحث في ماهية الحقيقة) . ولم يبدأ المناطقة الرمزيون إلا أخيراً في الاشتغال بظواهر من مثل العلامات اللغوية ، ومبدأ تنظيمها ، والترادف ، وتعدد المعنى (انظر فيما سبق ف ٣٧٦) وما إلى ذلك من مشكلات . وهكذا ووجه المناطقة الرمزيون بمجالات علمية (كالسيميائية Semiotics ، وعلم الدلالة ، وعلم التراكيب النحوية) ذات أهمية مباشرة للباحثين اللسانيين . وخلال هذه المرحلة من مراحل تطور المنطق الرمزي بدأ الباحثون اللسانيون في المشاركة بدور نشط في منجزات هذا العلم ، ونقل الخبرة المستفادة منه إلى الممارسة المنهجية الخاصة بهم ، ولم يكتسب المنهج الجديد قيمته الحقيقية في اللسانيات إلا بعد أن امتلك زمامه المتخصصون في اللغة[٦] .

إحـــالات

396 ـ للإحاطة بأول اتصال بمناهج المنطق الرمزي نوصي بالدراسة التي كتبها ارنست كاسيرير : «فلسفة الشكل الرمزي (كان العنوان الفرعي للجزء الأول : عن اللغة) :

Philosophie der Symbolischen Formen, 1 (subtitled die Sprach), (Berlin, 1923)

(صدرت ترجمته الإنجليزية عام ١٩٥٣)

* انظر أيضاً أعمال كارناب

ـ «عن النحو المنطقي للغة»

Die logische Syntax der sprache, (Vienna, 1934)

والطبعة الإنجليزية بعنوان

The Logical Syntax of id Language (New York, 1937)

هي الأكثر انتشاراً .

ـ «أسس المنطق والرياضيات»

Foundations of Logic and Mathematics", International Encyclopedia of Unified Science",Vol. 1, No. 3 (Univ. of Chicago Press, 1939)

ـ «مدخل إلى السيميائية»

Introduction to Semiotics, (Cambridge, Mass, 1942)

ـ «المعنى والضرورة : طبعة موسعة»

Meaning and Necessity (Chicago, 1947, expanded edition, 1956)

* وفي كتاب هـ . ريشنباخ H. Reichenbach «مبادئ المنطق الرمزي» Elements of Symbolic Logic (New York, 1948) أبدى المؤلف عدداً من الملاحظات المتنوعة عن اللغة بوجه عام ، مع إحالات إلى أمثلة حقيقية في عدد من اللغات ، وعلى رأسها اللغات الهندية ـ الأوربية .كما يشتمل الكتاب أيضاً على استقراء للنتائج التي تمخض عنها العمل في مجال النحو الرمزي ـ المنطقي (ولا سيما في الصفحات ٢٥١-٢٥٤) .

كذلك كتابه «أسس المنطق الرمزي»

"Essentials of Symbolic Logic" (New York, 1952)

* كتاب ب . زيف P. Zipf «التحليل الدلالي»

Semantic Analysis (Ithaca, 1960)

وهو من أحدث الكتب المرموقة التي تشتمل على عرض لاستخدام التحليل المنطقي في دراسة اللغة .

* ننصح ـ على وجه الخصوص ـ بقراءة عملين ألفهما ن . تشومسكي موجهين في الأصل إلى جمهور اللسانيين ـ وهما :

ـ «البنية المنطقية للنظرية اللسانية»

The Logical Structure of Linguistic Theory (mimeographed, Cambridge, Mass., 1956)

ـ «التراكيب النحوية» Syntactic Structures, (The Hague, 1957)

الحــواشي

(١) هذا بيان مختصر للإجراء المنهجي الذي اقترحه كارناب .

(٢) مصطلح رياضي يشير إلى إجراء للحساب عن طريق الرموز .

(٣) عبر برتراند رسل عن هذه الفرضية ـ من بين فروض أخرى ـ تعبيراً قوياً . وهو من بين أعظم علماء المنطق في زماننا (في كتاب شهير كتبه رسل بالاشتراك مع هوايتهيد Whitehead بعنوان : «مبادئ الرياضيات»

"Principia Mathematic", (Cambridge 1925).

(٤) علينا هنا تحديداً ـ على سبيل المثال ـ أن نلتمس شرحاً للفروق المستعلمة بين الفلسفة الصينية وفلسفة الشعوب المتكلمة باللغات الهندية ـ الأوربية .

(٥) مدرسة فلسفية أسست في فيينا عام ١٩٢٤ أعلنت أن الدرس المنطقي ينبغي أن يشغل مكاناً مركزياً في الفلسفة الحديثة .

(٦) التزم الفلاسفة في الجانب الأكبر دروبهم المألوفة الخاصة بهم . والأصل أنهم لم ينجزوا أبحاثاً يمكن أن تكون ذات فائدة مباشرة للباحثين تتصف بأنها ذات توجه لساني صارم . ومثال ذلك أن تأليف كتب نحوية دراسية على أساس المنطق الخالص يبدو مشروعاً طوباوياً مثالياً في اللسانيات ، على حين حمل بعض علماء المنطق الرمزي هذه الفكرة على محمل الجد التام . (انظر : كتاب هـ . ريشنباخ H. Reichenbach «مبادئ المنطق الرمزي»

"Elements of Symbolic Logic", New York, 1948, P. 255 and passisn.

السيميائية (السيميولوجيا)

397 ـ السيميائية Semiotics[٧] أو العلاماتية Semiology هي دراسة العلامات المستخدمة لتحقيق التفاهم المتبادل[٨] . وفي اللسانيات تحتل العلامة اللغوية المكان الأول والأساسي بين علامات التواصل . أما بالنسبة للفلاسفة فتشمل الدراسات السيميائية كل الإشارات التواصلية . وبهذا المعنى (الفلسفي) تطورت السيميائية خلال القرن العشرين بوصفها فرعاً من فروع العلم ، وهي المجال الذي تلقاه كثير من الباحثين اللسانيين بالقبول في الآونة الحاضرة (وعلى رأسهم أنصار الجلوسيمية . انظر فيما سبق ف ٣٧٠) .

398 ـ وأول علماء السيميائية العظام من بين اللسانيين هو فرديناند دي سوسير[٩] : فقد كانت نظريته في اللغة مؤسسة إلى حد كبير على فحص العلامة اللغوية . ولا تزال هذه المشكلة الجديدة ـ التي وضعها دي سوسير في صميم الهموم اللسانية ـ ذات أهمية حية إلى اليوم .

399 ـ اجتذبت الظاهرة السيميائية اهتمام الفلاسفة منذ وقت مبكر[١٠] . غير أن أسس السيميائية الحديثة لم توضع إلا في النصف الأول من القرن العشرين ، بدءاً من العمل الذي قام به المنطقيّ الأمريكي شارلز بيرس Charles Pierce[١١] . أما المجال الحق لهذا العلم الجديد فقد أسسه عالم أمريكي آخر هو س . و . موريس C.W. Morris

400 ـ يرى موريس أن السيمياتية لم تكن مجالاً تخصصياً فلسفياً فحسب ، بل إنها احتلت فوق ذلك موقعاً مركزياً في البحث العلمي بوجه عام ؛ إذ كان عليها مهمة استكشاف اللغة المشتركة في النظرية العلمية (ويرى كثير أن في هذا الرأي مبالغة في تقدير أهمية السيميائية . ولكن الجميع يتفقون على أن دورها في تطوير مجمل البحث العلمي هو دور ذو أهمية خاصة) . وقسم موريس السيميائية إلى ثلاثة أفرع : المقاماتية (البراجماتية Pragmatics) ، وعلم الدلالة Semantics ، وعلم التراكيب Syntax . ولا يزال هذا التقسيم مقبولاً بوجه عام حتى الآن .

وتتضمن المقاماتية Pragmatics دراسة وسائل التواصل في علاقتها بالإنسان : أي ما الذي يحدث للإنسان حين يرسل أو يستقبل رسالة ما؟ ، وعلى أي شيء تعتمد الطريقة التي يتم بها إنجاز التواصل (على الإجمال أو في كل حالة بخصوصها)؟ وإلى أي مدى يتكيف شكل التواصل تبعاً لنمط الثقافة؟ .

ويعني البحث الدلالي وبحث التراكيب بظاهر التواصل دون اعتبار لعلاقتها بالإنسان . وهدف علم الدلالة هو شرح العلاقة بين العلامات التواصلية والمفاهيم التي تشير إليها . أما علم التراكيب Syntax فيدرس أشكال الارتباط بين العلامات في نظام تواصلي معين ، مع الالتزام بالتحليل الشكلي (أي دون اعتبار للمعنى) .

401 ـ ويسمى المشتغلون بالمشكلات السيميائية (في الفلسفة)

«الدلاليون» Semanticians[١٢] . وينقسم هؤلاء فريقين بحسب المذهب الذي يشكل همومهم العلمية ، والشكل الذي يتخذه عملهم ، وهما : علماء الدلالة العامة general semanticians ، وعلماء الدلالة الأكاديميون academic semanticians (المناطقة الرمزيون) .

ويعترف علماء الدلالة العامة بقيمة منهج المنطق الرمزي ، ولكنهم لا يهتمون اهتماماً أساسياً بتدقيقه وإحكامه . ويضع هؤلاء نصب أعينهم مهمة الكشف عن نظرية عامة في العقل البشري يمكن لها أن تسهم في نظرية المعرفة . ولذلك فإن اهتمامهم «اللساني» انصب على جلاء العلاقة بين اللغة والثقافة (أي على البحوث المقاماتية Pragmatics[١٣]) . وإذن ؛ فإن علم الدلالة العام هو عقيدة فلسفية في الأساس ، يبدو أول وهلة أنها ذات أهمية ضعيفة للباحث اللساني . وعلى أي حال ؛ فإن اللسانيات الأنثروبولوجية (انظر فيما سبق ف ٣٤٣) قد وجدت قدراً صالحاً من العوامل المحفزة من أجل مواقفها تجاه مشكلة اللغة في العمل الذي يقوم به المشتغلون بعلم الدلالة العامة .

ويعنى علماء الدلالة الأكاديميون بالنحو المنطقي الرمزي (انظر فيما سبق ف ٣٩٤) ؛ أي بالدراسات الدلالية ودراسة التراكيب . ويبرز في هذا المجال البحثي خاصة اسم رودلف كارناب .

402 ـ ويرى كارناب أن البحث الدلالي يمكن أن يتخذ صورتين أساسيتين ؛ حيث يعتني علم الدلالة الوصفي Descriptive Semantics

بوصف الظواهر التي تكيف طبيعة علامات التواصل الموجودة والمستعملة بالفعل . ومن ثم فإنه مجال تخصصي يتابعه في المقام الأول الباحثون اللسانيون . وهذا المجال كذلك ذو أهمية للفلاسفة ؛ فهو يقدم لهم من المقترحات ما يتمكنون به من صياغة التراكيب المنطقية التجريدية للنظم التواصلية . أما علم الدلالة النظري فيتضمن تدقيقاً وإحكاماً لمنهج العمليات المنطقية باستخدام رموز يجري إدخالها في بنية تراكيب النظم الدلالية المجردة . والدارسون في علم الدلالة النظري هم المناطقة بالأصالة . ويرى كارناب أن علاقة الدلالة النظرية بالدلالة الوصفية شبيهة بالعلاقة بين الرياضيات التجريدية والرياضيات التطبيقية ، أو بين الفيزياء النظرية والفيزياء الامبريقية .

ومهمة علم التراكيب هي ـ على ما يراه كارناب ـ بناء نظرية من العلاقات الشكلية باستخدام التحليل المنطقي (في ظل تصور موريس . انظر فيما سبق ف ٤٠٠) . وفي مثل هذا التحليل ينظر إلى اللغة على أنها نظام رياضي رمزي a calculus ، أي نظام من الأعراف أوالقواعد يعبر عنه بالرموز ؛ فالبحث التركيبي ، إذن سيكون ذا علاقة بمثل هذا التعريف للنظام التواصلي .

وقد كان لآراء كارناب أصداء مهمة في اللسانيات الحديثة ، كما أنها أثرت تأثيراً قوياً على تطور منهجية هذا العلم .

إحـــالات

403 ـ العملان الأساسيان لموريس هما :

ـ **«الأساس في نظرية العلامات»**

Foundation of Theory Signs (Chicago, 1 1938)

و **«العلامات واللغة والسلوك»**

Signs, Language and Behaviour (New York, 1946)

* سبق ذكر الأعمال الأساسية لرودلف كارناب فيما سبق ف ٣٩٦ . وانظر أيضاً :

كوين Quine : **«الكلمة والشيء»**

Word and Object, (New York, 1960)

ومجموعة دراسات بعنوان **«علم الدلالة وفلسفة اللغة»** بإشراف ل . لينسكي

Semantics and the Philosophy of Language", ed. L. Linsky (Urbana, 1952)

وتشتمل المجموعة على دراسات أذن بنشرها مؤلفوها وهم :

ل . لينسكي ، ا . تارسكي ، س . ا . لويس C. I. Lewis **نيلسون جودمان**Nelson Goodman **ويلارد ف . كوين** Willard V. Quine ، **برتراند**

راسل Berterand Russell ، بينسون ميتس Binson Mates ، بول مارهينكه Paul Marhenke ، كارل ج . هامبل Carl G. Hempel ، رودلف كارناب ، أرنيه نيس Arne Neass ، مورتون ج . هوايت Morton G. White

* هناك وصف تفصيلي للتصورات الفلسفية لدى علماء الدلالة العامة ، وللنمط الغالب على اهتماماتهم باللغة تضمنه كتاب عالم الرياضيات البولندي الفريد كورزيبسكي Alfred Korsybski (ويعد صدور هذا الكتاب علامة على تأسيس المدرسة الفلسفية نفسها) ، وهو : «العلم والصحة العقلية : مدخل إلى النظم اللاأرسطية وعلم الدلالة العامة»

Science and Sanity: An Introduction to Non-Aristotalian Systems and General Semantics (Lancaster, Science Press XX, 1933)

* ومن الكتب السيارة ، بين أهل اللسانيات الانثروبولوجية كتاب س . ج . هايا كاوا S. J. Haya Kawa (وهو أيضاً من أنصار علم الدلالة العام) : «اللغة في الفكر والفعل» Language in Thought and Action (New York, 1949)

* ويعتمد اللسانيون عادة في تحصيلهم للمعلومات الأولية عن مجموعة المشكلات السيميائية المختلفة على كتابين هما :

- كتاب س . ك . اوجدن C. K. Ogden و ا . ا . ريتشاردز I. A. Richards وهو «معنى المعنى : دراسة في تأثير اللغة على الفكر وعلم الرمزية»

"Meaning of Meaning: A Study of the Influence of Language upon Thought and the Science of Symbolism"(London, 1954)

وكتاب هـ . سبانج ـ هانسين ـ H. Spang Hansen : «نظريات حديثة في طبيعة العلامة اللغوية»

"Recent Theories on the Nature of the Language Signs" (Copenhagen, 1957)

* ويمكن للمشتغلين بالدراسات السلافية أن يجدوا معلومات موثقة في كتاب آدم شاف Adam Schaff بعنوان :

"Wstep do semantyki"(Warsaw, 1969)

أما جمهور اللسانيين اليوغسلاف فإن أيسر المصادر تناولاً بالنسبة لهم كتاب «النظرية الديالكتيكية في المعرفة»

Dijalektič teopija značenija, (Beograd, 1961)

الحـــواشي

(٧) من الكلم اليونانية sēmiotikē

(٨) لا ينبغي أن يختلط ذلك بالمصطلح semology الذي شاع استعماله باطراد لدى بعض اللسانيين الأمريكيين ليكون علماً على تخصص جديد استوحاه أصحابه من مبادئ اللسانيات الانثروبولوجية (انظر فيما سبق ف ٣٤٢) . وقد قدم مارتين جوس Martin Joos عرضاً لهذا التخصص الجديد والمفاهيم المتصلة به في دراسة بعنوان : «السيمولوجيا : نظرية لسانية في المعنى» "Semology: a Linguistic Theory of Meaning" SIL, 13 (1958), 53-70 .

ويمكن أن تختص السميولوجيا بفحص مشكلات المعنى المتعدد Polysemy (انظر فيما سبق ف ٣٧٦) اعتماداً علي الإحلال Substitution بوصفه الإجراء المنهجي المعتمد في التحليل (انظر فيما سبق ف ٣٣٢) .

(٩) كانت الوظيفة التواصلية للعناصر اللسانية موضع التأمل قبل دي سوسير ولكن بطريقة غير منهجية ودون تغلغل في أعماق المشكلة . وأجدر المحاولات بالذكر هي المحاولة الأصيلة (ويرجع تاريخها إلى ١٨٨٥) التي قام بها الألماني ڤيجينر Wegener لإنتاج طبقية سيمائية للمنظومة التي تتشكل منها اللغة البشرية على أساس اللغات الألمانية واليونانية واللاتينية (أي تحديد المنظومة المنطقية الأساسية لظاهرة اللغة) .

(١٠) في تاريخ مبكر يعود إلى عام ١٦٩٠ أكّد جون لوك في تصنيفه لمجالات الدرس العلمي أن المنطق كان مجرد فرع من تخصص أوسع هو السميائية التي تشمل دراسة العلامات المستعملة في «الفهم والتواصل» .

(١١) كانت نقطة المفارقة عند بييرس اعتقاده أن الأبحاث المنطقية يجب أن توجه أصلاً إلى دراسة العلامة التواصلية ، ذلك أنها الوسيلة التي يتحقق بها بث

الإنسان لأفكاره عن العالم الخارجي . وقد عرض نظريته في كتاب :«دراسات مجموعة من أعمال شارلز ساندز بيرس»
"Collected Papers of Charles Sanders Pierce" (Cambridge Mass. 1932).

(١٢) كان المصطلح semantics معروفاً في الفلسفة منذ أمد طويل حتى في زمن أرسطو . وقد بدأ استخدام الفلسفة السيمانتكية semantic philosophy في القرن السابع عشر (وظهر أول مرة في كتاب جون سبنسر John Spincer : «مقال في المعجزات» "A Discourse Concerning Prodigies", 1965, 2ne ed. .

(١٣) أكد هؤلاء أن اللغة تحتفظ بآثار من السيكولوجية البدائية (ومثال ذلك أن كثيراً من اللغات فيها ما يقابل التعبيرين : "the sun sets" و "the sun rises" (وترجمتها حرفياً «الشمس تجلس» و «الشمس تنهض») لأن البشر لقرون كثيرة اعتقدوا حقاً أن الشمس تختفي من السماء وتظهر مرة أخرى في الصباح التالي) . وأنها تكشف عن موقف ذاتي في قياس الحقيقة (فنحن نقول الماء بارد والماء حار . والحق أنه ليس بارداً ولا حاراً ولكنه احتسب بارداً أو حاراً تبعاً لدفء أجسامنا .

علم الدلالة اللسانية

404 ـ وُضع الأساس لعلم الدلالة اللسانية Linguistic Semantics وهو علم معاني الكلمات وأشكالها النحوية ـ في نهاية القرن التاسع عشر ، وكان تأسيسه في المقام الأول ثمرة لعمل اللساني الفرنسي ميشيل بريال[١٤] Michel Bréal . غير أن هذا العلم لم يبدأ في التطور على نحو جدي بوصفه فرعاً مستقلاً من فروع اللسانيات إلا في القرن العشرين . وكان تطوره في السنوات الأخيرة علي وجه الخصوص أكثر نجاحاً بفضل تزايد أعداد المهتمين بمشكلاته ، واكتساب آفاق نظرية أكثر رحابة ، واستخدام إجراءات منهجية أكثر كفاءة .

405 ـ حدد بريال ومعاصروه[١٥]موقع الدراسات الدلالية في إطار الحدود التي توافقت مع التوجه اللساني العام في نهاية القرن التاسع عشر . فبقدر ما كان الانتباه مركزاً على المعاني الفعلية للكلمات كان ذلك أمراً أساسياً من أجل إلقاء الضوء على الخلفية السيكولوجية لظاهرة اللغة ، وإلا فإن هذا المبحث كان سيظل في معظمه واقعاً في مجال دراسة تاريخ اللغة ، أي فحص التغيرات الدلالية التي نشأت في عملية التطور اللغوي .

406 ـ وفي بداية القرن العشرين تحسنت منهجية علم الدلالة التاريخي . ويرجع الفضل في معظم ذلك إلى جهود الباحثين الفرنسيين ؛ فالإنجازات الأساسية للجغرافيا اللسانية كانت معنية ـ على سبيل المثال ـ

بنظرية «تعارضات المشترك اللفظي» hymonymic Conflicts (انظر فيما سبق ف ١٥٠) ، وبالدور الذي قامت به العوامل الإجتماعية والتاريخية في تطور المفردات . وكان استنباط هذا الرأي النظري الأخير مديناً بالكثير لألوان النشاط الناجحة التي مارسها المشتغلون باللسانيات الاجتماعية (انظر فيما سبق ف ١٦٢) ، واللسانيون الإيطاليون المحدثون (انظر فيما سبق ف ١٨٠) .

407 ـ وفي زمن مبكر يرجع إلى العقود الأولى من القرن الحالي دخل إلى مجال المناقشات اللسانية موضوع مهم لا يزال من موضوعات الساعة ؛ ألا وهو : ما المبادئ العامة التي تحكم التغيرات الدلالية؟ وكيف يمكن تأسيسها؟[١٦] . وجهود أنصار علم الدلالة البنيوي Structural Semantics في هذا المجال جديرة بأن نخصها بالذكر .

408 ـ لقد لوحظ من زمن طويل أن كلمات معينة تأتلف في شكل مجموعات بحسب معناها لكي تشكل منظومة كلية متناسقة ، أي أنها تشكل نسقاً . وفي زمن يعود إلى عام ١٩١٠ استخدم مصطلح «النسق الدلالي» (System if Meaning) Semantic System استخداماً صريحاً على يد ر . م . ماير R. M. Mayer ؛ الذي بيّن[١٧] أن أسماء الرتب العسكرية ـ على سبيل المثال ـ لا تكتسب معناها الحقيقي إلا في إطار مصطلحية كلية للرتب المستخدمة في جيش ما ، وهذه المصطلحية في كينونتها تؤلف «نسقاً من المعاني» (Bedeutungs system) ، كذلك تأكد أيضاً في عدد من الحالات أن الأنساق الدلالية قد تغيرت بمرور الزمن تبعاً لتغير تصورات

الإنسان عن الواقع . (مثال ذلك أن نظام أسماء الألوان كان في العالم القديم مختلفاً عما هو عليه الآن . كما أن الأسماء الحالية لا تستغرق كل ظلال الألوان في شعاع الشمس)(١٨) .

بيد أن أول بحث حقيقي شامل لنظرية الأنساق الدلالية لم يتشكل إلا مع الدراسة الشهيرة التي أنجزها تيرير J. Terier بعنوان :

Der deusch wortschato im sinnbezirk des verstandes (Heildberg, 1931).

وفيها عولجت لأول مرة حالة مُقْنعة تثبت النظرية القائلة بأن جميع الكلمات تعمل بوصفها وحدات في نظام معجمي كامل ينتمي إلى لغة بعينها في لحظة بعينها من لحظات التاريخ .

409 ـ وبمقاربة مشكلة علم الدلالة من منظور بنيوي ـ قدم تيرير صياغة محكمة لنظرية تُعنى بالمجالات الدلالية semantic fields : فالكلمات التي تدل على تصورات تربطها علاقات القرابة ـ أي ترتبط فيما بينها بمجالات الوعي البشري ، وتشكل نسقاً (أي مجالاً دلالياً) من الوحدات الدلالية المترابطة . وحين يتغير أحد التصورات بمرور الزمن فإن التصورات الأخرى في المجال نفسه يتناولها التعديل ، وهو ما يعنى تلقائياً حدوث تغير في معاني الكلمات المقابلة(١٩) .

410 ـ وقد أعلن المنظر اللساني الشهير كارل بوهلر Karl Buhler (انظر فيما سبق ف ٩١) أيضاً وقوفه إلى جانب المقاربة البنيوية للمشكلات

الدلالية (وكان ذلك عام ١٩٤٣ في كتابه «نظرية اللغة» Sprach theorie) . وقد كانت مأثرته العظيمة هو ومعاصروه في تحديد مجالات الهَمّ اللساني العام إسهاماً حيوياً نحو تركيز الاهتمام على نظرية الأنساق الدلالية بوجه عام ، ومن ثم على أطروحة تيريير الخاصة «بالمجالات الدلالية» . ثم قطع تطوير هذه النظرية فيما بعد شوطاً أبعد على يد أنصار اللسانيات الاجتماعية الفرنسية (انظر فيما سبق ف ١٦٣) مع إبراز دور العوامل الاجتماعية في تحديد مصير الكلمات (وقد قام بمعظم العمل في هذا المجال ج . ماتوري G. Matoré) . ولم يقتصر الأمر في موضوع «مجالات المعنى» على الانتماء إلى اللسانيات فقد درسه أيضاً أنصار علم النفس الحديث .

411 ـ وتتضمن الدراسات الدلالية أيضاً مشكلات سيميائية مثل فحص طبيعة العلامة اللغوية . وكما سبق أن ذكرنا (انظر فيما سبق ف ٢٥٥) لا تزال المناقشة مستمرة حول الارتباطات القائمة بين سلسلة صوتية معينة ، وحول مدى انعقاد الصلة التحكمية بينها وبين معنى معين . (وقد عولجت هذه المشكلة منذ زمان دي سوسير على يد كُتَّاب بارزين من أمثال بوهلر و بيوسينس Buyssens و أولمان Ullman و زفيجينسف و ريجنيل Rebnéll Regnéll وكثيرين غيرهم) . وتقع ظاهرة التسمية nomination (وهي إطلاق أسماء على الظواهر) في صميم الاهتمام : فإلى أي مدى يكون السبب في إطلاق الاسم على الظاهرة هو مجرد الحاجة إلى التواصل ؛ أي لجعل المحادثة الدائرة عن الظاهرة أمراً ممكناً؟ كذلك إلى أي مدي تشتمل عملية التسمية على تقويم ذاتي للظاهرة التي يشير إليها

الاسم . (وقد ناقش هذه المشكلة كثير من الكتاب ، وكان بعضهم من غير المنتمين إلي دائرة علماء الدلالة بشكل مباشر ، بل كان اهتمامهم بمشكلة العنصر السيكولوجي في اللغة ـ ومن بينهم ڤوندت Wundt . انظر فيما سبق ف ٨٣ ، و بالي Bally انظر فيما سبق ف ٢٦٥) .

412 ـ والمشكلة المتعلقة بتعريف الكلمة وكيف ينبغي تحديدها هي مشكلة على جانب كبير من الأهمية ، وموضوع لا يزال من موضوعات النقاش الحية . ثم إن لدينا أيضاً المشكلة المعلقة بكيفية الفصل بين المشترك اللفظي (انظر فيما سبق ف ٣٧٦) وتعدد المعنى . وهذه المشكلة الثانية في ذاتها تطرح أمامنا الحاجة إلى القيام بتمييز على المستوى النظري بين ما هو متضمَّن في معنى كلمة ما بالقوة ، وما هومتضمن في معناها بالفعل ؛ (فالكلمة الصربو ـ كرواتية meso تتضمن المفهومين الذين يُعبَّر عنهما في الانجليزية بالكلمتين لحم meat وجلد flesh) . وينبغي على التحليل الفعال للمعنى أن يكون قادراً على تلبية المطلب المتعلق بتعيين الحدود الفاصلة بين المجالين المنطقي والسيكولوجي في اللغة[٢٠] .

413 ـ وثمة موضوع آخر نوقش كثيراً (لا سيما في هذه الأيام من حيث علاقته بمتطلبات الترجمة الآلية[٢١]) وهو موضوع العلاقة بين المعنى المعجمي lexical ، والمعنى النحوي Grammatical . (مثال ذلك أن الصرفيم ič ـ في الصربو ـ كرواتية له معنى معجمي يدل على التصغير فالكلمة cvetič تعني زهرة صغيرة ، ولكن الصيغة se تستخدم علامة على اللزوم أو المطاوعة مع الفعل الصربوكرواتي pec´i «يخبز» والفعل pec´i se

«ينخبز» هو صيغة ذات معنى نحوي) .

414 ـ ولقد كانت الإشارة إلى قيمة السياق في إضاءة ظلال معينة من المعنى[٢٢] إسهاماً مفيداً في تقدم التحليل الدلالي العملي . غير أن هذا لم يؤد إلى تحسن حاسم في مجال الدراسات اللسانية ؛ فهي لا تزال تعاني من افتقاد المقاربة المنهجية التي تتميز بالإحكام والكفاءة . إن مظاهرالنقص المعروفة في معاجم اللغة الواحدة تكمن في انعدام فعالية الوسائل التي تعتمد عليها في التعريف ؛ فليس ثمة إمكان لتنمية المترادفات واستخدام وسائل أخرى بدلاً منها في الوصف ، كما لا يمكن التمييز بطريقة كفء بين المشترك اللفظي وتعدد المعنى .

415 ـ وفي عام ١٩٥٧ حاولت جماعة من علماء النفس الأمريكيين[٢٣] أن يدخلوا التحسين على مناهج الدرس المعجمي باستخدام اختبارات خاصة تستهدف تحديد «الخط الدلالي» semantic profile لكلمة ما ، وقاموا برسم تدريج يشتمل على سبعة حقول خالية ومجالين متضادين . وفي أحد هذين المجالين توضع صفة من الصفات adjective على حين توضع في المجال الثاني صفة أخرى هي الضد الدلالي للأولى ؛ مثال ذلك : جميل ـ قبيح ، حكيم ـ أحمق . . .الخ . وتوضع علامات بالسلب والإيجاب موزعة على الحقول السبعة الخالية . وحينئذ يُقَدم عدد من الكلمات المختارة إلى عدد من الأشخاص المختلفين ، ويكون عليهم أن يضعوا العلامات المناسبة (سلباً أو إيجاباً) في الحقول الخالية ؛ أي ـ بعبارة أخرى ـ أن يقوموا بتحديد الحقل الذي تتحرك في اتجاهه خصائص الكلمة المعنيَّة . فإذا كانت الكلمة التي لدينا ـ على سبيل المثال ـ هي

كلمة «أم» فعليه أن يحدد الخصائص التي توصف بها : «جميلة» أم «قبيحة» ، «حمقاء» أم «حكيمة» . . .الخ .

وبعد الانتهاء من الاختبارات يمكن الحصول على «الخط الدلالي» للكلمة التي هي تحت الفحص (أي التصنيف الرقمي لهذه الخصائص) ، وذلك باستخدام الطرق الإحصائية . ويرى هؤلاء المؤلفون أن هذا العمل يجعل في الإمكان أن تقاس المسافة بين كلمة وأخرى من حيث المعنى . غير أن هذه الطريقة ـ على أي حال ـ قد تلقاها الباحثون اللسانيون بكثير من النقد [٢٤] .

416 ـ والجدل الدائر بين علماء الدلالة (لا سيما في الولايات المتحدة) مَعْنيٌّ في أحدث مراحله باستكشاف طريقة موضوعية لتحليل المقولات الدلالية . وثمة اعتقاد راسخ ينمو نمواً مطرداً ، ويرى أن هذ الطريقة الموضوعية تكمن في تطبيق معايير اللغة العليا ؛ تلك التي جرى إحكامها على يد أنصار المنطق الرمزي (انظر فيما سبق ف ٣٨٨) . وبقبول مثل هذه الطريقة يمكن للسانيات أن تتحرك نحو أهدافها العظيمة ـ وإن كانت أهدافاً جد بعيدة ، وهي :

(١) الدراسة المعجمية الدقيقة .

(٢) استكشاف مقولات دلالية كلية (مثال ذلك : تأسيس البنى الدلالية ، والقوانين الحاكمة عليها ، تلك التي تتضمنها لغة ما بقطع النظر عن تحققاتها المحسوسة) . وسيكون في تحقيق هذه الأهداف عون كبير على تقدم الترجمة الآلية .

إحــالات

417 ـ يمثل بريال الدراسات الدلالية التقليدية في كتابه : **«مقال في علم الدلالة»** Essai de sematique, Paris, 1897 .

ـ ثمة إيضاح جديد للتوجه المنهجي الحديث لدى علماء الدلالة الفرنسيين تضمنه كتاب ماتوري : **«منهج الدراسة المعجمية ، في مجال اللغة الفرنسية»**

"La methode en lixcologie", (Donine Francais), (Paris, 1953)

ـ وهناك أيضاً دراسة وضعها ليو فيسجربر leo Weisgerber بعنوان : **«علم المعنى : متاهة علم اللغة»** .

"Die Bedeutungs - lehre - ein Irriveg der Sprachuissenschaft", Germanich-Romaniche Monatschrift, XV, (1927), PP. 161-183

وفي هذه الدراسة نقد لعلم الدلالة القديم مع تفسير للمصطلحية المعجمية .

ـ وفي كتاب وضعه ر . **هاليج وفون ڤارتبرج**

R. Hallig - W. von Wartburg

توجد نظرية في النظام وعنوان الكتاب **«النظام المفهومي بوصفة قاعدة لعلم المعاجم»**

"Begriffssystem als Grundlage für die Lexicographie" (Berlin, 1952)

ـ وتولي ليو شبيتزرLeo Spitzer بيان المنهج المعجمي للمدرسة المثالية الجمالية في كتاب له بعنوان : **«مقالات في علم الدلالة التاريخي»** "Essays in Historical Semantics", (New York, 1940)

أما المصادر الأساسية لدراسة علم الدلالة الحديث فهي :

ـ س . أولمان : **«مبادئ علم الدلالة»**

"Principles of Semantics", (Glasgow, 1957)

(وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب التي هي أهم من طبعته الأولى الصادرة عام ١٩٥١ . إذ زاد فيها فصلاً بعنوان **«ملاحق للطبعة الثانية : التطورات الأخيرة في علم الدلالة»** ص ص٣٠٠-٣٢١

ـ ا .ف . زفيجيتسيف : **«الدلالة السيميولوجية»**

Semasiologija (Moscow, 1957)

ـ هـ . ريجنيل : **«علم الدلالة»** Semantik (Stockholm, 1958)

ـ وانظر أيضاً الأعمال التالية من تأليف **أولمان** : كتاب **«مختصر في علم الدلالة الفرنسي** "Précis de semantique francais" (Berne, 1952) ـ وفيه عرض عملي ممتاز لأحدث المناهج الدلالية ودراسته التي عنوانها : **«علم الدلالة والتنميط اللساني»**

Semantics and Linguitic Typology", Word, 9 (1953) PP. 225-240

ـ وهي دراسة مهمة لأنها تطرح مسألة إلقاء الضوء الكاشف على المقولات الدلالية الكلية في اللغات .

- يشتمل كتاب ب . جيرو P. Guiraud : «علم الدلالة»

"La Sematique (= Que sais-je?)" (Paris, 1955)

على مسح عام يمتاز بالوضوح لتطور الدراسات الدلالية وللمشكلات الدلالية الأساسية .

- مجموعة دراسات عنوانها «**عن المناهج المنضبطة في دراسة اللغة**» O točnyx metodax issledovanja jazyka, I. A. Mel'čuk و ا . ف . بادوتشيفا E.V. Padučeva ، و ر .م . فرومكين R. M. Frumkin . وقد نشرتها جامعة موسكو ١٩٥١ . ويحتوي الفصل الثاني من هذه المجموعة وهو بعنوان : «**بعض قضايا علم الدلالة في اللسانيات المعاصرة**»

Nekotorye voprocy semantiki v sovremennoū jazykoznanii" - PP. 20-32

- عرض مختصر ولكنه متمكن للمشكلات الدلالية الحية في اللسانيات الحديثة .

- وانظر أيضاً مجموعة دراسات بعنوان : «**قضايا نظرية اللغة في اللسانيات الأجنبية المعاصرة**»

Voprocy Teorii jazyka v covremennoj zarobežnoj lingvistike (Moscow, AN SSSR, 1961)

- وفيه نشرت دراسات كثيرة مهمة منها على سبيل المثال :

- ر . ا . بوداجوف «**نحو نقد للنظريات النسبية**»

R. A. Budagov, "K Kritike reljativističeskix, teopij, PP. 5-29

- دراسة ا . ا . أفيمسيفا : **«نظريات المجال الدلالي وإمكانات تطبيقها في دراسة التأليف المعجمي في اللغة»**

A. A. Ufimceva, "Teopii semantičkogo polja i vozmonožnoctii ix primenenija pri izučenijii slovarogo coctava jazyka, PP. 30-63

- ك . ا . ليفكسوفيكيا : **«بعض النظريات اللسانية الأجنبية ومفهوم الكلمة»**

K. A. Levkovskaja; "Nekotopye zarobežnye jazykovedčkix teopii i ponjatie slova, PP. 64-89

وانظر دراسة ي . ا . نايدا : **«نظام لوصف العناصر الدلالية»**

E. A. Nida "A system for description of Semantic Elements", Word, 7, (1951), PP. 1-14

- وفيها عرض لاستخدام الطريقة الأمريكية التقليدية في تحليل المشكلات الدلالية . أما دراسته **«تحليل المعنى وصناعة المعجم»**

Analysis of Meaning and Dictionary Making, IJAL 24 (1958), PP. 279-292

فهي ذات أهمية خاصة لواضعي المعاجم .

وفي السنوات الأخيرة صدر عدد متنوع من الأعمال التي تجلت فيها مقاربة مشكلات المعنى تبعاً لأفكار اللسانيات الأنثروبولوجية . ويمكن أن نذكر من بينها ما يأتي :

ـ د . ل . اومستيد : «نحو نظرية ثقافية للابتكار المعجمي»

D. L. Omsted, "Towards Cultural Theory of Lexical Innovation" Reports of the Annual Round Table Meating on Linguistics and Language Studies (1954), PP. 105-117.

ـ أو . فينريخ : «رحلات في الفضاء الدلالي»

U. Weinreich: "Travels in Semantic Space", Word, 14 (1958), PP. 346-366.

ـ د . هـ . هايمز : «عن تنميط الأساليب الإدراكية في اللغة»

D. H. Hymes, "On Typology of Cognitive Styles in Language", Anth. Linguistics , 3, No. 1 (1961), PP. 22-54.

وعن المحاولات لتأمين التحليل الموضوعي للمعنى باستخدام الاختبارات النفسية ـ انظر الدراسة التي سبق ذكرها : **«قياس المعنى»** The Measurement of Meaning ، ونقد **فينريخ** (انظر فيما سبق حاشية ف ٤١٥) .

ـ وقد ناقش د . م . **مكاي** D. M. Mackay إسهام نظرية المعلومات في تكميل التحليل الدلالي في دراسته . **«موقع المعنى في نظرية المعلومات »**

"Meaning" in the Theory of Information , Information Theory, ed. by C. Cherry (= Basic Books) (New York, 1956)

من بين الدراسات التي تعالج مشكلة تحليل الفكر من خلال تحليل اللغة يمكن أن نذكر الأعمال التالية :

- ر . ويلز : «المعنى والاستعمال»

R. Wells, "Meaning and Use", Word, 10, (1954), PP. 235-250.

ودراسته «هل المعالجة البنيوية للمعنى ممكنة؟»

"Is a Structural Treatment of Meaning Possible?" 8th Proceedings, PP. 654-666

و«مقاربة رياضية للمعنى»

"A Mathematical Approach to Meaning" CFS, XV (1957), PP. 117-136

ودراسة تشارلز س . فرايز : «المعنى والتحليل اللساني»

Charlez C. Fries, "Meaning and Linguistic Analysis", Lg., 30, No. 1 (1954), PP. 54-68

- شيروهاتوري : «تحليل المعنى»

Shiro Hattori, "The Analysis of Meaning" For Roman Jacobson, PP. 207-212

- وفي كتاب زفيجيتسيف السابق ذكره توضيح بالأمثلة للمنهج الطريف الذي مارسه علماء المعاجم السوفييت .

- وانظر أيضاً ا . س . أخمانوفا : «مختصر في علم المعاجم الروسي العام»

Očerkej no obššej russkoj leksikologii (Moscow, 1957)

ـ وكذلك الدراسات التي تضمنتها الدورية «**مجموعة دراسات في صناعة المعاجم**» Liksikografičskij sbornik (وقد شارك في تأليفها مؤلفون من أمثال : **أوجيجوف** Ožegov و **فينوجرادوف**Vinogradov و **أخمانوفا** Axmanova و **أفرورين** Avrorin و **زفيجينتسيف** ، و **كوتيلوفا** Kotelova وغيرهم) .

وهذه الدورية ذات أهمية خاصة بالنسبة لتطور التصورات الحديثة في مجال المشكلات الدلالية بالاتحاد السوفييتي ، ولا يزال في إمكان هذه الدورية أن تخدم المهتمين بالدراسة المعجمية بوصفها كتاباً دراسياً تمهيدياً لهذا العلم .

أما العمل الذي تولى تقديم إيضاح مقنع لكيفية استخدام المعايير الرمزية المنطقية في التحليل فهو :

ـ ج . بار ـ هيليل : «**النحو المنطقي وعلم الدلالة : وعلاقاتهما اللسانية**»

J. Bar-Hillel, "Logical Syntax and Semantics: Their Linguistic Relevance", Lg., 31 (1955), PP. 36-45

الحـــواشي

(١٤) حقق المصطلح semantique شيوعه الأول في الدوائر اللسانية على يد بريال (وقد طرحه لأول مرة في دراسته «القوانين الذهنية للغة . نصوص من علم الدلالة» "Le Lois intellectuelles du langage, fragments de se'mantique", Annuaire de l'Association pour l'encouragement des étude grecque en France, vol. XVII, 1883)

أما اللسانيات الإنجليزية فقد أنتجت مصطلحاً آخر هو السيماسيولوجي semasiology . ويستخدم التعبيران الآن كما توجد بالإضافة إلى ذلك محاولات لتقديم مزيد من المصطلحات (مثل : sematology, glossology, rhematics, rhematology) ولكن هذه المصطلحات ليس لها أهمية عامة .

أما اللسانيات الإنجليزية فقد أنتجت مصطلحاً آخر هو السيماسيولوجي semasiology .

(١٥) كثير من اللسانيين كان لهم اهتمام نشط بمشكلات المعنى ومن هؤلاء ا . دارمستيتر A. Darmesteter و هـ . باول (انظر فيما سبق ف ٩٨) و ف . فونت W.wundt (انظر فيما سبق ف ٨٣) . و هـ . شوخارت H. Suchardt (وغيرهم ممن أسهموا في تحرير دورية Worter und Sachen وانظر فيما سبق ف ١١١) .

(١٦) ثمة كتاب له أهمية خاصة في لفت أنظار اللسانيين إلى هذه الوجهة . وهو كتاب ستيرن Stern «المعنى وتغير المعنى» . مع إشارة خاصة إلى اللغة الإنجليزية. "Meaning and the Change of Meaning (Goterberg, 1931).

(١٧) في الدراسة التي عنوانها «النسق الدلالي»

"Bedeutungssystem", Kuhus Zéitschrifi, XLIII (1910), PP. 352-368

(١٨) قام بمعظم العمل في معالجة هذه المشكلة ل فيسبرجر L. Weisgerber (أحد مؤيدي الهمبولتين المحدثين حتى فيما قبل ١٩٣٠) .

(١٩) وضح تيرير Terir أفكاره بضرب أمثلة من التاريخ المعجمي للغة الألمانية . وبين كيف حدث على مر القرون تغير في المعنى صحة تغير في العلاقات المتبادلة بين الكلمات التي تسمى المفاهيم العامة التي تشير إلى الحكمة والمهارة . وقد اعتمد تيرير في هذا البنيان على المفاهيم الخاصة بالظواهر المعينة التي تختص بالطبقات الاجتماعية والمعرفة والثقافة (فسَّر تيرير تاريخيا العلاقة بين التعبيرات الآتية : Wisheit و Wizzen و Kunst و List)

(٢٠) ثمة اتجاه مطرد في اللسانيات اليوم إلى تبني ما يطرحه المناطقة من معايير للتمييز (ومثال ذلك إطلاق المصطلح formators على الضمير «هو / هي» it أو حرف عطف «أو» or ، إذ إنهما يعبران أصلاً عن مفاهيم تقع في مجال الفكر المنطقي ، على حين أن الكلمتين «بيت» house و«يجري» run تنتميان إلى فئة المعينات designatorsm وتشيران مباشرة إلى الظاهرة الواقعية .

(٢١) انظر فيما يلي في ٤٧٥

(٢٢) جاء التأثير الأعظم في هذا المذهب من جهة مدرسة اللسانيات الإثنوجرافية (الإنجليزية ، ومدرسة اكسفورد) . وتعرف هذه المدرسة أيضاً باسم المدرسة المقامية contextual school . وقد أسسها مالينوفسكي وفيرث (انظر فيما سبق حاشية الفقرة ٣٤٨) .

(٢٣) س . ا . اسجود و ج . ج . سوسي G. J. Souci و ن . هـ ، تانينباوم P. H. Tannenbaum : «قياس المعنى» :

"The Measurement of Meaning (Urbana, 1957)

(٢٤) انظر النقد الذي أورده ڤينريخ Weinreich في مجلة

Word, XIV, 2-3 (1958) . PP. 346-366

ورد اوسجود وتقريراً آخر لڤينريخ في المجلة نفسها

No. XV, (1959), PP. 192-200 and 200-201.

علم النحو
والمقاربة التوليدية

418 ـ كان علم النحو هوالتخصص الوحيد الذي لم يبدأ مرحلة التطور المكثف حتى بداية القرن العشرين . وكان التقدم البطئ في علم النحو (حتى ذلك الحين وفي العقود الأولى من القرن العشرين) محكوماً بمظاهر ضعف ظاهرة في المنهجية . وقد كان علاج هذه المظاهر ـ على وجه الإجمال ـ أقل شمولاً وأقل تعقيداً إلى حد كبير مما كانت عليها الحال في منهجية الصوتيميات والصرفيميات ؛ ذلك أن ظاهرة «التركيب» قد عولجت عادة من زاوية المعنى ، وجرى تحليلها بمعايير ذاتية خضعت «للذوق اللساني» عند الباحث . وبذلك فقدت التعريفات النحوية سلفاً أكثر عناصرها ضرورة ، وهو عنصر الدقة العلمية الصارمة[١] . (والحق أن النحو كان هو السبب الأساسي فيما اكتسبته اللسانيات التقليدية من سمعة سيئة حين نعتت بأنها «تخصص ذهني») .

419 ـ ولم يظهر أول مظاهر التجديد المهمة في علم النحو حتى الثلاثينيات من هذا القرن . ثم أخذ ميدان الدراسات النحوية في التوسع ، فظهر اعتقاد متزايد ـ على سبيل المثال ـ بأن فهم الجملة والعلاقات القائمة بين أجزائها لا بد له من فحص الأطراف المشاركين في حدث التواصل . (وقد لفت الانتباه إلى هذا الأمر ك . بوهلر و ا . جاردنر Gardiner على وجه

الخصوص) . وبذلت محاولات لإلقاء الضوء على الجملة من زاوية مختلفة الاختلاف . وحل محل التعريف «الذهني» تعريف «فيزيائي» ؛ فحددت الْجملة بأنها وحدة لسانية وَحَّد التنغيم بين أجزائها ـ وهي الكلمات ـ ليشكل منها بنية كلية كلامية مفردة» . •وقد تبنى هذا التعريف ـ على سبيل المثال ـ عالم النحو الدانيمركي ا . دي جروتA. de Groot) .

420 ـ ولم يخط النحو في تطوره خطوة حاسمة إلا حين شرع الباحثون في تطبيق المنهج البنيوي الذي جرى إحكامه تبعاً لمباديء مدرسة ييل (انظر فيما سبق ف ٣٥٥) .

421 ـ ولم يُقم أنصار اللسانيات التقليدية وزناً لمشكلات النحو لدى اشتغالهم بالدرس الصرفي وعكس ذلك صحيح . واعتقدوا أن المشكلات النحوية والصرفية ينبغي أن يفصل بينهما فصلاً حاداً في النظرية والتطبيق كليهما ، وأن دراسة استخدام الصيغ ينبغي أن يُعزى إلى النحو . أما موقف أهل اللسانيات البنيوية فقد كان مختلفاً بالكلية ؛ فهم لا يضعون فصلاً حاسماً بين التخصصين ، ويؤكدون أن استخدام الصيغ ذو طبيعة صرفية في الأساس . وكان أبرز علماء الصرف في مدرسة ييل هم رواد علم النحو الحديث في آن معاً (انظر فيما سبق ف ٣٣٥) . واعتمدت دراستهم لبنية الجملة على تجريد أنماط «المكونات المباشرة» في الجمل(انظر فيما سبق ف ٣٣٦) بملاحظة قواعد التوزيع .

وينتمي العالم اللساني الأمريكي بول جرافين Paul Gravin إلى جيل تلقى تدريباً جيداً في المقاربة التوزيعية للنحو ، وكان هذا العالم هو الذي

طرح في الخمسينيات أعظم الأفكار اللاتوليدية نصيباً من الأصالة حول مشكلات النحو .

422 ـ وقبيل عام ١٩٦٠ دخل النحو الحديث أهم مراحل تطوره ؛ ففي ذلك الحين تحديداً تأسس النحو التوليدي Generative Grammar . وقد وضع هذا المصطلح لكي يؤكد أن مثل هذا النحو يقصد به الكشف عن القواعد الحاكمة على بنية الجمل وتراكيبها . واعتاد الباحثون أن يطلقوا مصطلح النحو التحويلي Transformational Grammar على نمط من أنماط النحو التوليدي نهض على أساس منهج معين في التحليل قدمه تشومسكي (انظر فيما يلي ف ٤٢٦) . (يستعمل تشومسكي مصطلح التحويل Transformation ليحدد به أصناف القواعد التي تقوم بالعمل بعد التوصل إلى المكون الخاص ببنية العبارة Phrase-Structure ، وهو المكون الذي ينتج البنية الأساسية للجملة ، انظر فيما يلي ف ٤٢٦) .

423 ـ وقد ظهرت بعض الجوانب الجوهرية من النحو التوليدي ظهوراً فعلياً في أعمال زيليج هاريس ، أحد الرموز البارزة لمدرسة ييل (انظر فيما سبق ف ٣٤٠) . اقتنع هاريس ـ من خلال عمله في إحكام صياغة النظرية التوزيعية ـ باستحالة القيام بتحليل صرفي ذي قيمة إلا بمتابعة إدخال الرموز إلى الإجراء المنهجي . وينبغي تشخيص هذا الإجراء من خلال التعمق التدريجي في البنية الباطنة للمنطوق ؛ إذ ينبغي أولاً تحديد إطار كل وحدة من الوحدات الصرفية ، ثم تحديد إطار العلاقات المتبادلة بينها ، وهوما يمكن أن نتوصل به إلى العلم بالمكونات المباشرة

(انظر فيما سبق ف ٣٣٦) . ثم في النهاية ينبغي أن تصاغ البنية الأساسية للمنطوق صياغة إجمالية .

إن على التحليل أن يتوصل إلى الوحدات اللغوية الكبرى انطلاقاً من الوحدات الصغرى . وقد أفصح هاريس عن أفكاره الأولى في هذا الموضوع في دراسة مبكرة بعنوان : « من الصرفيم إلى المنطوق» From Morphem to Uttrence يرجع تاريخها إلى ١٩٤٦ .(انظر فيما يلي ف ٤٣٠) .

وأيا ما كان الأمر فقد كان نوام تشومسكي Noam Chomsky تلميذ هاريس هو الذي أسس في نهاية الأمر النظرية التحويلية ، وطرح منهجاً جديداً في دراسة التراكيب . ويعد صدور كتابه «البُنى النحوية» Syntactic Structures عام ١٩٥٧ أهم الأحداث اللسانية في السنوات الأخيرة ، وهو الكتاب الذي وضع فيه أساس المذهب التحويلي وحقق له ذيوعاً واسعاً في عالم اللسانيات .

424 ـ وقد آثر تشومسكي أيضاً المدخل التدريجي في تحليل الحقائق اللغوية وإدخال الرموز إلى التحليل . غير أن إجراءه المنهجي انطلق في نسق عكسي : حيث ينبغي على الوصف النحوي أن يتحرك في اتجاه الوحدات الصغرى انطلاقاً من الوحدات الكبرى ؛ أي أن البنية الأساسية للمنطوق يجري تحديدها (أي تحديد المكونات المباشرة) على حين تأتي الدراسات الوصفية للوحدات الصرفيمية الأساسية فيما بعد . لقد

كان تحليل هاريس تحليلاً صرفياً بالنسبة لنقطة البداية ، على حين كان تحليل تشومسكي معنياً أساساً بالمستوى النحوي .ويضاف إلي ذلك أن هذين العالمين يختلفان في مجالات طموحهم النظرية ، فقد كان هاريس معنياً بإلقاء الضوء على البنى الواقعية للجملة ، تلك التي تنتمي إلى لغات بأعيانها (أي بوصفه عالماً نحوياً) ، على حين وجه تشومسكي اهتمامه أيضاً نحو التوصل إلى القوانين التي تحكم الارتباط بين المنظومة النحوية المنطقية ونطق ما .

425 ـ وقد تأثر المنهج العلمي عند تشومسكي في الأساس بالنظرية التوزيعية (انظر فيما سبق ف ٣٢٢) ، وبالمفهوم المنطقي الرياضي للنحو (انظر فيما سبق ف ٤٠٢) . واعتقد تشومسكي أن من الضروري القيام بالكشف عن نظرية عامة في البنية النحوية ، وأدخل استعمال الرموز إلى التحليل ، وكان مقتنعاً بأن مثل هذا الإجراء المنهجي سيضمن أقصى درجة من الدقة في الوصف العلمي .

426 ـ قام النحو التحويلي على أساس الاعتقاد بأن على النحو إذا كان كفئاً أن يزودنا بقاعدة تفسر لنا : كيف تستعمل الجمل؟ وكيف تفهم؟ . ويتطلع التحويليون إلى أن يقدموا صياغة للعمليات التي تمَّت خلال التكلم والاستماع بوصفها حقائق آنية(سنكرونية ، متزامنة) ، فهم إذ يختلفون مع منهج بلومفيلد اختلاف النقيض ، يقترحون نظرية تقدم وصفاً للعمليات التي يتم بها صياغة الجملة .

إن النحو بالنسبة لأي لغة هو نظام من القواعد . ويؤكد التحويليون أن هذه القواعد ينبغي تنسيقها واحدة بعد واحدة . وهكذا يتكون أي نحو تحويلي من قواعد منسوقة تتشكل بالكامل من رموز .

وثمة مستويان لتمثيل بنية الجمل في النحو التحويلي : مستوى بنية العبارةPhrase -Structure level ، والمُستوى التحويلي Transformational level . وينشأ عن ذلك وجود نوعين من القواعد : قواعد العبارة Phrase Rules (أو قواعد مكونات البنية Constituent P-rules, Structures Rules) وقواعد التحويل Transformational Rules . وعند وضع نحوٍ ما للغة بعينها يكون على المرء أن يستعمل المستويين كليهما : مستوى وصف بنية العبارة ومستوى وصف التحويل .

ويعمل النحو الخاص ببنية العبارة على أساس قواعد تتخذ الشكل X → Y (حيث يقصد بالرمز → : «تعاد كتابته بالشكل : كذا» . فهذه القواعد هي قواعد لإعاد كتابة رموز مفردة ؛ أي رمز واحد في المرة الواحدة .

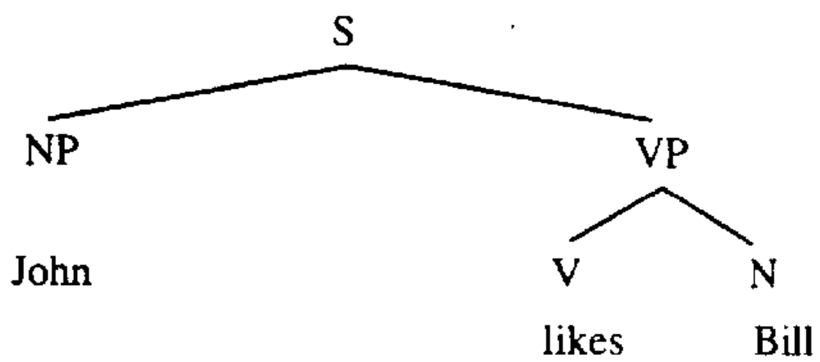
إن كل جملة S(= Sentence) ينبغي أن تتخذ في تطورها الشكل الآتي : S → NP+VP (حيث NP تعني «مكون اسمي» Noun Phrase و VP «تعني مكون» فعلي Verb Phrase) . ثم يتبع ذلك مزيد من التشقيق يتمثل في إعادة كتابة المكون الاسمي والمكون الفعلي بحيث تعاد كتابة رمز واحد في المرة الواحدة ؛ فالجملة جون يحب بيل John likes Bill

يمكن أن توصف على الوجه التالي :

(الجملة تعاد كتابتها في شكل مكون اسمي + مكون فعلي :

S → NP + VP	
NP → John	مكون اسمي ← جون
VP → V+ N	مكون فعلي ← فعل + اسم
V → likes	فعل ← يحب
N → Bill	اسم ← بيل

ويمكن تصوير مثل هذا التشقيق في هيئة شجرة :



وهكذا يتحصل لنا دائماً في مستوى بنية العبارة على أشكال شجرية .

أما المستوى التحويلي فيزودنا بصيغة رمزية لتوليد الجملة . ويبدأ التشقيق في هذا المستوى بعد تأسيس «الشكل الشجري» ، ويقوم على أساس القواعد التحويلية . وتعمل هذه القواعد في الشجرة لتمارس تأثيرها في إحداث تغييرات محددة (كإعادة تنظيم العناصر أو زيادتها أو حذفها . . .الخ) ، وهي تغييرات ينتج عنها سلسلة من الرموز ذات وصف

بنيـوي جـبري .ومثـال ذلك أن أحـد هذه التـحـويلات يمكن أن تتـحـول به الجـملة المـبنيـة للفـاعل John saw Bill إلى الجـملة المـبنيـة للمـفعـول Bill was seen by John على النحو اتالي :

(أ) الوصف البنيوي :

NP , AUX, V, NP

(تقرأ من الشمال) مكون اسمي ؛ فعل ؛ مساعد ؛ مكون اسمي

(ب) التعبير البنيوي

$X_1 - X_2 - X_3 - X_4$

تتحول إلى

$X_4 - X_2 + be + en - X_3 - by - X_1$

وبعد ذلك يكون المُدخل هو John - Past - see - Bill ويكون الناتج :

Bill - Past + be + en - see - by + John

وتأتي التـحـولات على صنفين مـختلفين : جـوازية Optional ووجـوبيـة Obligatory .

فالتحولات الجوازية هي التي يجوز تطبيقها وعدم تطبيقـها عند صياغة تشقيق ما . ويظل الناتج في الحـالين جملة . أما التحولات الوجـوبية فإنها إن لم تطبق لا يكون الناتج جملة أبداً .

ونقـيض الجـملة المـشـتـقـة Derived Sentence الجـمـلة النواة Kernal

Sentance . وإذا أردنا التمييز بين النقيضين قلنا إن الجملة النواة هي الجملة التي لا يمكن أن تطبق عليها أي تحويلات جوازية.

427 ـ وتختلف الجمل من حيث الصواب النحوي Well-Formedness ؛ إذ تتفاوت الجمل فيكون بعضها أقل صواباً من بعض ، مما يعني أنه يحتل موقعاً أدنى بين درجّات الصواب النحوي . ويناط تقويم الجمل تبعاً لهذا المعيار ـ وهو معيار النحوية Grammaticality ـ بما يتمتع به المتكلم السليقي من كفاءة .

وتشمل الكفاءة Competence القدرة على فهم جمل جديدة ، وعلى تخمين الجمل المفارقة ، بل حتى على تفسيرها . ويقصد التحويليون إلى إيجاد وسيلة تسمح بتوليد الجمل الجائزة وتحول دون دخول الجمل التي لن يقبلها المتكلم السليقي ـ ولذلك كانت دراسة الحدوس intitution والأحكام التي تصدر على الجمل ذات أهمية بالغة عندهم ؛ بل إن تشومسكي ليصرح بأنه يتمنى أن يتوصل إلى نظرية يمكن أن تتنبأ بهذه الحدوسات .

428 ـ وقد صار النحو التوليدي (على الرغم من أنه ـ إذا جاز التعبير ـ وليد الأمس) واحداً من المجالات التخصصية الأساسية في اللسانيات الحديثة . بل إن كثيراً من غير المقتنعين بأن يكون لنظرية تشومسكي هذا النفوذ التفسيري في اللسانيين نراهم يتقبلون طريقته التحليلية في مجال دراسة التراكيب النحوية . ودخل المنهج التحويلي بالفعل في علم

اللهجات ، وفي الدراسات الدلالية ، وفي دراسة صيغ الكلمة وتاريخ اللغة ، كما بدأ استثمار منجزاته في البحث الصّوتولوجي . وكان م . هيل M. Halle أول من أدخل المقاربة التوليدية في الوصف الصَّوتولوجي (انظر كتابه : «النموذج الصوتي في الروسية The Sound Pattern in Russian الذي سبق ذكره في ف ٢٩١) . كذلك يطبق هيل القواعد النسقية Ordered Rules التي لا تمارس فعلها على الصوتيمات المتحيزة Segments بما هي وحدات ، بل على السمات المائزة التي تتألف منها . وتتميز الأشكال الصَّوتولوجية الباطنة underlying عنده بأنها أمعن في التجريد من الكتابة الصَّوتولوجية التقليدية . ويشبه ذلك تماماً وضع الأشكال الباطنة عند تشومسكي فيما يخص التراكيب ؛ إذ هي أمعن في التجريد من التحليل القائم على المكونات المباشرة . وهذه الأشكال الباطنة شبيهة بما شاعت تسميته بالمستوى الصرفوفونيمي ، إذ هي تتضمن معلومات عن البنية النحوية للجملة . إن التخلي عن المستوي «الصَّويتمي» عند تصوير الشكل اللغوي يؤدي إلي مزيد من المحافظة على كفاءة التحليل .

429 ـ وعلى الرغم من أن النحو التحويلي نشأ في الولايات المتحدة فقد تلقاه العلماء في الاتحاد السوفييتي بالحماسة . ويرجع ذلك في الأساس إلى إمكاناته التطبيقية في الترجمة الآلية . وهناك تنافس في الوقت الحاضر بين اللسانيات الأمريكية واللسانيات السوفيتية يهدف إلى تحقيق نتائج في هذا المجال البحثي .

إحـــالات

430 ـ خير من مَثّل النحو التقليدي هو ج . ت رايز J. T. Ries في كتابه : «التعريف بالنحو» Was ist Syntax? (Marburg, 1894) و«التعريف بالجملة»(Was ist ein Satz? (Prague, 1931 .

ـ كتاب ف . **هارفيز** W. Harvs : **«المختصر الواضح في النحو»** Handbuch der erklärden syntax (Heidlburg, 1931) يمدنا بقائمة أكثر توسعاً للمشكلات النحوية .

وتشمل الأعمال الأساسية في علم التراكيب النحوية .

ـ ك . بوهلر :

K. Buhger, Sprachtheorie, Die Darstellung Funktion der Sprach (Jena, 1934)

ـ او . جسبرسن : «فلسفة القواعد»

O. Jespersen ; "The Philosophy of Grammar"(London, 1924, new ed. 1948)

و «النحو التحليلي» Analystical Syntax (Copenhagen, 1937)

وهناك شرح جيد للمناخ العام الذي أحاط بالهموم العلمية في مجال دراسة التراكيب النحوي ، وذلك في الكتابين الآتيين .

ـ ا . جاردنر : «نظرية الكلام واللغة»

A. Gardiner, "The Theory of Speech and Language" (Oxford, 1932, second ed. 1956)

- ج . د . فيرث : «اللسانيات العامة والقواعد الوصفية» J. R. Firth,
"General Linguistics and Descriptive Grammar", (London, 1951)

وفي كتاب ل . تسنيير

L. Tesniére "Eléments de Syntaxe Structurale" (Paris, 1959)

- تزويد للقارئ بالتصور البنيوي لمشكلات التراكيب النحوية .

وأفضل عرض لآراء العالم النحوي والبنيوي المتميز ا . و . دي جروت A. W. de Groot تضمنه كتاب صدر باللغة الدانيمركية بعنوان : النحو البنيوي» Structurale Syntaxis (The Hague, 1949) . كما يتحدث (جروت أيضاً عن المقاربة البنيوية للنحو في دراسته : «اللسانيات البنيوية وقوانين النحو»

"Structural Linguistics and Syntactic Laws" Word, 5, 1 (1949), PP. 1-12

ويعرض كتاب هوكيت C. Hockett «دروس في اللسانيات الحديثة» "A Course in Moeern Linguistics" (New York, 1958) - مبادئ التحليل النحوي في اتساق مع التصورات المنهجية للسانيات الأمريكية فيما قبل التوليدية .

ويعد كتاب يو . نايدا «معالم النحو الوصفي»

"Outline of Descriptive Syntax" (Galandale- California, 1951) -

المتنَ الأمريكي الأساسي في علم النحو . كما أن نايدا هو أيضاً

المؤلف لكتاب في النحو الإنجليزي حاز شهرة كبيرة ، وهو بعنوان «مختصرفي نحو الإنجليزية»

A Synopsis of English Syntax (1943, new ed. 196)

ويقدم بيكيت Pickett في كتابه «مدخل إلى دراسة بنية القواعد»

"An Introduction to the Study of Grammatical Structure" (Glandale- California, 1956) ـ استقراء تحليلياً للمشكلات الصرفية والنحوية . ولهذه الأسباب يعده الكثيرون متناً مفيداً لا سيما للمبتدئين في النحو .

وقدم جورج ل . تراجرGeorge L. Trager وهنري لي سميث Henry Lee Smith في دراستهما «مختصر في بنية الانجليزية»

An Outline of English Structure, SIL, Occasional Papers, 3 (195), PP. 1-91

وثمة مجموعة الدراسات التي عنوانها «تقرير لقاء المائدة المستديرة السنوي السابع في اللسانيات ودراسة اللغة» (سلسلة دراسات جامعة جورج تاون عن اللغات واللسانيات ، العدد التاسع)

Report of the Seventh Annual Round Table Meeting on Linguistics and Language Study (= George Town Univ. Mongraph Science on Language - and Linguistics, No. 9) (Washington, 1957)

ـ وفي هذه المجموعة مقالان يتسمان بالتحدي هما مقال ب . ل . جارڤين P. L. Garvin بعنوان «العمليات في التحليل النحوي»

Operations in Syntatic Analysis (PP. 59-72)

وفي المقال يدافع جارفين عن الإجراءات المنهجية في علم النحو . والثاني هو مقال هـ . ل . سميث بعنوان : «الظواهر الصوتية اللامتحيزة وواضعو النحو» Superfixes and Syntactic Makers (PP. 7-24) . وفيها يتحدث المؤلف عن الظواهر الصوتية اللامتحيزة ـ Supra Segmental Phenomena (أي الظواهر المتصلة بالتنغيم والتنبير بما في ذلك الوقفات) تلك التي تستعمل في تنظيم مبانى الجمل . وانظر أيضاً عن منهج جارڤين في مقال بول چارفين بعنوان : «الوحدات النحوية والعمليات»

Syntactic Units and Operations, 8th Proceedings, PP. 626-632

وانظر أيضاً مقال ف . ن . يارسيڤا V. N. Jarceva بعنوان : «مشكلة الشكل والمضمون في الوحدات النحوية في دراسات الوصفيين والذهنيين»

"Problema Formy i soderžanija sintaksičeskix edinic v traktirofke deskriptivistov i mentalistov"

وذلك في مجموعة دراسات بعنوان : «قضايا نظرية اللغة في اللسانيات الأجنبية المعاصرة»

"Voprocy teorii jazyka v sovermennoj zarobežnoj lingvistike", (Moscow, AN SSSR, , 1961, PP. 90-105.

ويمكن التماس أول مدخل للمنهج التحويلي في أعمال هاريس ، وهي **«من الصرفيم إلى المنطوق»**

From Morpheme to Uttrence: Lg., 22 (1946), PP. 161-183

و**«تحليل الخطاب»**

"Discourse Analysis", Lg., 28 (1952), PP. 1-30.

و **«تحليل الخطاب : عينة من نص»**

Discourse Analysis: A Sample Text", Lg., 28 (1952), PP. 474-4944

و**«قواعد التحول»**

"Transfer Grammar"; IJAL, 20 (1954), PP. 259-270

وأولى هاتين الدراستين ذات طابع تحويلي صريح في الأفكار والعرض . ومقالة : **«التلازم والتحويل في البنية اللغوية»**

"Co-occurence and Trasformation in Linguistic Structure", Lg., 33 (1957), PP. 283-340

أما العمل الأساسي والجوهري في المذهب التحويلي فهو كتاب نوام تسومسكي **«البنى النحوية»** "Syntactic Structures" (The Hague, 1959) كذلك تكتسب الأعمال الآتية للمؤلف نفسه أهمية في هذا المقام وهي : **«نظام التحليل النحوي»**

"System of Syntactic Analysis", Journal of Symbolic Logic, (1953), PP. 242-256

و«البنية المنطقية للنظرية اللسانية»

"The Logical Structure of Linguistic Theory", (Cambridge, Mass., mimeographed, M.I.T edition, 1956)

و«بعض الملاحظ المنهجية على على النحو التوليدي»

"Some Methodological Remarks on Generative Grammar", Word, 17 (1961), No. 2, PP. 219-239.

ويقدم ر .ب ليز R. B. Lees مراجعة شاملة لكتاب تشومسكي «البنى النحوية» في Lg., 35 (1957), PP. 375-408 . كما يقدم المؤلف نفسه تفسيراً مقنعاً للمذهب التحويلي بوجه عام في الدورية السوفيتية «قضايا اللسانيات» "Voprocy Jazykoznanija" x (1960), Fasc. 3, PP. 69-77 تحت عنوان : «ماذا تعني التحويلية؟» "Čto takoe trasformacija?" .

وثمة عرض مختصر لهذا المنهج الجديد في النحو كتبته ت . م . نيكولوفا T. M. Nikolova في مقال بعنوان : «ماذا يعني التحليل التحويلي؟» "Čto takoe Transformacionnyj analyz", V ja, X, (1960), fasc. 1, PP. 111-115.

وتضمنت الأعمال الآتية إيضاحات لكيفية تطبيق المنهج التحويلي على مادة من اللغات الطبيعية :

روبرت ب . ليز «قواعد الوسم في الإنجليزية»

"Grammar of English Nominalization, IJAL, Part II, vol. 26, No. 3, (July, 1960), PP. 1 - XV + 1 -205

ومقال دين ستودارد ورث Dean Stoddardworth بعنوان : «التحليل التحويلي لتراكيب الأداة في الروسية»

"Transform Analysis of Russian Instumental Constructions", Word, vol. 14, No. 2-3, (1958), PP. 247-290

وكانت دراسة ورث حدثاً مهماً في التاريخ القريب للدراسات السلافية ؛ إذ هي أول مرة تعالج فيها لغة سلافية بإعمال المنهج التحويلي .

وقد استعرض كارناب Carnap تطبيق العمليات المنطقية متبعاً تصورات المنطق الرمزي على التحليل النحوي ، وذلك في كتابه «النحو المنطقي للغة»

"The Logical Syntax of Language" (New York, 1937)

وفي دراستي بار-هيليل Bar-Hillel : «عن المقولات النحوية»

"On Syntactic Catergories", Journal of Symbolic Logic, XV (1950), Pp. 1-16

و «النحو المنطقي وعلم الدلالة»

"Logical Syntax and Semantics", Lg., 30 (1954), PP. 230-237

وثمة معلومات عن كثير من مشكلات التحليل النحوي في علاقته بالترجمة الآلية يتضمنها كتاب بعنوان «عن المناهج المنضبطة في دراسة اللغة»"O točnyx metodax issledovanija jazyka" ، وذلك في قسم خاص من الكتاب بعنوان : «التحليل النحوي باستخدام الترجمة الآلية»

ا . س . اخمانوڤا و ا . ا . ميلتشوك و ي . ڤ بادوتشيفا E. V. Padučeva و ر . م فرومكين . "Sintaktičeskij analiz pri mašinnom perevode" ـ اشترك في تأليفه (Moscow Univ., 1961) .

وهناك عرض مكتوب يتسم بالتمكن وغزارة المعلومات عن مناهج النحو الحديثة و ارين بلات Warren Plath في مقاله : «اللسانيات الرياضية ، وذلك في فصلين : الأول بعنوان : «نماذج للتخليق والوصف النحوي

«"Models for Synthesis and Syntactic Description"

والثاني بعنوان : «نماذج للتحليل النحوي»

"Models for Syntactic Analysis"

وقد نشرا في : Trends, PP. 41-51

الحــواشي

(١) ينطبق هذا الموقف تمام الانطباق مع بداية الثلاثينيات في القرن الحال حيث كان ثمة ما يزيد على ١٦٠ تعريفاً للجملة .

اللسانيات الرياضية

ملاحظات تمهيدية

431 ـ تميزت اللسانيات في النصف الثاني من القرن العشرين بالتوسع في استخدام الإجراءات المنهجية المأخوذة عن العلوم الرياضية .

وفي بداية القرن العشرين توغلت الطرق الإحصائية في كل فروع العلوم ومن بينها اللسانيات . والحق أن جدوى هذه الطرق كان معروفاً لبعض المهتمين بالدراسات اللغوية من زمن طويل (فالقدماء من نحاة الهنود ـ انظر فيما سبق ف ٢٠ ـ قد أحصوا إحصاء دقيقاً عدد الأسطر والكلمات والمقاطع في كتاب الڤيدا) . بيد أن الإحصاءات لم تصبح بحق غوناً لا يمكن أن يستغنى عنه كل من كان له اهتمام جاد بوصف الحقائق اللغوية إلا في القرن العشرين .

غير أن الإحصاء لم يكن وحده هو الذي طبع اللسانيات الحديثة بطابع مميز . بل إن منظومة البحث اللساني كلها قد اتخذت ـ على نحو ما ـ وجهة رياضية . وينشأ الطابع المنطقي الصارم للتحليل الرياضي من الرغبة الملحة لدى الدارسين اللسانيين في أن يوفروا لتعريفاتهم الدقة والوضوح والإيجاز قدر المستطاع ، وليؤمّنوا أقصى درجات المعرفة الدقيقة بالندية الواقعية للغة بإدخال المفاهيم المجردة إلى الإجراء المنهجي . ولكي

يسهلوا عملهم في مجال التحليل عن طريق مقاربتهم دقة المعادلات الرياضية .

432 ـ تزامنت بداية اهتمام اللسانيين بالرياضيات تماماً مع نشأة اهتمام الرياضيين باللسانيات . وقد لاحظ كلا الفريقين ـ بالفعل ولزمن طويل ـ أن هذين التخصصين يمكن أن يجدا مجالات من الاهتمام متطابقة(۱) .

وفي بداية القرن العشرين اتخذت أولى الخطوات الجادة نحو هذا التعاون من جانب علماء الرياضيات . وشهد عام ۱۹۱۳ صدور دراسة مشهورة للعالم الرياضي الروسي ا .ا . ماركوفA. A. Markov بعنوان : «مثال للدرس الإحصائي لنص «ايفيجينيا اونيجينا»

"Primer statističeskogo issledovanija nad tekctom (Engenija Onegina) illustrirujusčij sviaz v ep", Izvestija Imper. Akademii nauk, series VI, t. VVI, No. 3 (1913)

وفي هذه الدراسة فحص ماركوف في هذه الدراسة القوانين التي تحكم توارد الحركات والصوامت الروسية بتطبيق الطرق الإحصائية في دراسة قصيدة بوشكين «يفيجينيا أونيجينا» . وأظهرت نتائجه إمكان الحدس بالصور الفعلية لهذا التوارد تحت شروط معّينة بقدر لا بأس به من الدقة . وكانت هذه الدراسة علامة على بداية عصر جديد من الرياضيات التي تقوم على أساس من إحكام «نظرية الاحتمالات» ، كما أمدت نتائج هذه الدراسة اللسانيات بدليل جديد يثبت جدوى تطبيق الطرق الرياضية في دراسة

المشكلات . ولذلك تعد الدراسات التي قام بها ماركوف معلماً مهماً من معالم الطريق في تاريخ الرياضيات واللسانيات جميعاً .

433 ـ ولم يحقق نقل التجارب الرياضية من المجال الرياضي إلى المجال اللساني نسبة كبيرة إلا فيما بعد الحرب العالمية الثانية . وكان ذلك علي وجه التحديد في المواطن التي شهدت اهتماماً كبيراً بتطوير ما يسمى نظرية المعلومات Information Theory (انظر فيما يلي ف ٤٤٩) .

كان القرن العشرون عصر الاهتمام باستكشاف وسائل انتقال المعلومات ، فظهر الهاتف والمذياع أولاً ، ثم ظهرت بعد ذلك الوسائل التي لا تزال أكثر تعقيداً كالرادار والترجمة الآلية . ولم يكن ذلك ليتيسر لو لم يكن العمل في نظرية المعلومات في جملته قد بدأ في الوقت نفسه .

وأول شرط لإمكان انتقال المعلومة هو وجود مرسِلٍ للرسالة من جهة ومستقبل إياها من جهة أخرى . وسواء كانت العناصر الماثلة في الموضوع من الآلات أو من البشر ينبغي أن يوجد نظام محدد للعلامات يكون معلوماً للمرسل والمستقبل ، وبحيث يكون النظام أهلاً لحمل معنى معين ونقله . وهكذا يكون الأساس الحاكم على انتقال المعلومة واحداً دائماً بقطع النظر عما تعنيه المعلومة بشراً كان أو آلة . وقد أصبحت هذه الحقيقية جوهرية لتطور اللسانيات في الحقبة الحاضرة ؛ حيث بدأت مصادر علمية لها وزنها التركيز علي الجانب اللساني من المشكلة . ولم يكن أحد من الباحثين بقادر على أن يتجنب حقيقة استكملت مسوغات صوابها ، وهي أن تمام

المعرفة بعملية التواصل بين البشر ـ تلك التي تؤدي فيها اللغة دوراً حاسماً ـ إنما يجعل من هذه التجربة الجديدة سلاحاً تتحقق بها غايته في بناء الآلات الملائمة .

434 ـ وقد شاع الآن استعمال مصطلح اللسانيات الرياضية في الولايات المتحدة واوربا ، بل شاع أيضاً في آسيا (ولا سيما في اليابان وإن كان استعماله الآن قد بلغ الصين) . ويشار بهذا المصطلح إلى العمليات العلمية التي يتم إجراؤها باستخدام الطرق الرياضية في مجال المشكلات اللسانية . ويجري الآن تأسيس الدوريات المختصة بموضوعات اللسانيات الرياضية والجمعيات العلمية للسانيات الرياضية .

وفي الولايات المتحدة خاصة حققت اللسانيات الرياضية تقدماً كبيراً في السنوات التي أعقبت الحرب الأخيرة . ومنذ عام ١٩٥٨ قدمت المقررات الدراسية في اللسانيات الرياضية والترجمة الآلية إلى طلاب اللسانيات والرياضيات جميعاً في كثير من الجامعات الروسية (وعلى رأسها جامعتا موسكو ولينينغراد ثم في جامعات جوركي وساراتوف وتومسك) . ويبشر مجمل اتجاه التطور في الدراسات الرياضية واللسانية الآن بمزيد من التعاون المنسق بينهما في المستقبل .

إحـــالات

435 ـ يقـــدم وارين بلاثWarren Plath في دراسـتـه «اللســانيات الرياضية» Mathematical Linguistics, Trends, PP. 21-57 استقراء شاملاً ومتـميزاً للسـانيات الرياضـية (مـجـالات الدراسة) ، ومدخـلاً إلى الطرق الرياضية ، وشرحاً للمشكلات الرئيسة التي تشتغل الآن بدراستها ، وما حققت من إنجازات حتى الآن . كما يلحق بلاث بالبحث قائمة مفيدة من المراجع في اللسانيات الرياضية) .

أما كتاب ا . س . اخمانوفا و ا . ا . ميلتشوك و ي . ف . بادونتشيفا و ر . م . فرومكين وعنوانه «عن المناهج المنضبطة في دراسة اللغة»

ـ "O tochnyx metodax uccledovanija" (Moscow Univ. 1961)

فهو كتاب غزير في مادته . ويشمل أربعة أقسام منفصلة . **الأول** موضوعه : كيف يمكن إخضاع ظاهرة اللغة لدراسة تستخدم الطرق الإحصائية . **والثاني** موضوعه : كيف يثري العمل في الترجمة الآلية نظرية اللغة . **والثالث** موضوعه : أين تتمثل قيمة الطريقة الإحصائيات في اللسانيات مع إيراد أمثلة لاستعمال هذه الطريقة) . والرابع موضوعه : كيف يمكن لإنجازات نظرية المعلومات في الترجمة الآلية أن تسهم في تطوير اللسانيات .

ـ كتاب جوستاف هيردان Justav Herdan بعنوان «رياضيات الأنماط ـ

"Type - Token Mathematics: A Textbook of Mathematic linguistics"(Janua Linguarum series mar, 4) (The Hague, 1960).

وقد عرف هذا الكتاب أخيراً بين الباحثين اللسانيين بأنه مصدر كاف للمعلومات المتصلة بأهم الإجراءات التي تتضمنها الطرق الرياضية المستخدمة في اللسانيات .

وفي الدراسات التالية معالجة عامة لأهمية استخدام الطرق الرياضية في اللسانيات :

ـ ا . ج . اويتينجر «اللسانيات والرياضيات» : دراسات مهداة إلى جوشواهواتمو

A. G. Ottinger, "Linguistics and Mathematics" Studies Presented to joshua Whatmough (The Hague, 1957), PP. 179-186

ـ وجوشوا هواتمو : «اللسانيات الرياضية»

Jushwa Whatmough, "Mathematical Linguistics 8th Proceedings, PP. 62-73

وانظر المناقشات التي أثارها هذا العرض PP. 74-91 .

ـ وثمة مرشد عام يعالج تغلغل الطرق الرياضية في البحث العلمي خلال القرن العشرين قدّمه ا . كوشيميندر بعنوان : «الصياغة الرياضية للسانيات»

"Die Máthematisierung der Sprrchwissenschaft", Forschungen und

Fortschritte, vol. 30 (1960), PP. 210-216

ـ مجموعة مقالات بعنوان :

"Strojno prevedenje i statisika u jaziku"

نشرت عام ١٩٥٩ في دورية Nashe teme التي تصدر في زغرب : III, 6, PP. 106-298 . وتزودنا هذه المجموعة من المقالات بمعلومات عن سلسلة من المشكلات في مجال اللسانيات الرياضية ، ولا سيما

الحـــواشي

الترجمة الآلية ، وقد ألحق بها مادة بيبليوجرافية مفصلة .

(١) في زمن متـقـدم يعـود إلى عـام ١٨٤٧ أشـار عـالم الرياضـيات الروسي ف .ي . بونيا كوفسكي إلى إمكان استعمال الطرق الرياضية في اللسانيات ، على حين عبّر عالم اللسانيات البارز بودوان دي كورتيني عن إيمانه الراسخ بأن اللسانيات يمكن أن تستعين بالرياضيات العليا والرياضيات الأولية أيضاً .

اللسانيات الكمية (الإحصائية)

436 ـ لم يبدأ استخدام المنهج الإحصائي في تحقيق انتشاره الواسع في اللسانيات إلا بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك على الرغم من أن جدواه في دراسة اللغة كانت موضوعاً لمناقشات جادة في تاريخ مبكر يعود إلى بداية القرن الحالي . وكان المشتغلون بالاختزالStenographers من أوائل من أشاروا إلى أهمية الإحصاء العملية في دراسة اللغة[٢] ، ولكن علماء الرياضيات هم الذين فتحوا الطريق بالفعل إلى الاستخدام الموسع للطريقة الإحصائية في اللسانيات . ويعد الإسهام الذي قدمه عالم الرياضيات الروسي ماركوف ذا أهمية حاسمة في هذا المقام .

437 ـ أوضح ماركوف في كتابه «مثال للدرس الإحصائي في نص يفيجيدينا اونجينا . .» (انظر فيما سبق ف ٤٣٢) ـ أن العلاقة المتبادلة بين الوحدات اللغوية في منظومة الكلام هي علاقة قابلة للقياس . وذلك إذا ما جرت مقاربة القياس في ظل ما يسمى في الأوساط العلمية اليوم بعملية ماركوف Markov Process . وتهتم هذه العملية بإبراز المراحل المختلفة التي يمر بها قولٌ ما بدءاً من اللغة الأولى منطوقة (أو مكتوبة) إلى أن يبلغ نقطة النهاية . إن هذه المراحل محكومة باختلاف المدى الفاصل بين مواقع ورود الوحدات اللغوية على التتابع في سلسلة الكلام . ويتحقق هذا الاختلاف في المدى بحسب قواعد اللغة المتعينة : ذلك أن كل وحدة

تضاف لأول مرة هي علامة طور جديد في تشكيل المنطوق . وقد بيّن ماركوف أنه حين تضاف وحدة لغوية معينة في دَرْج الكلام فإن من الممكن أن نحدد ـ على أساس من قوانين الاحتمال الإحصائي ـ فرصة إتباعها بهذه الوحدة أو تلك من وحدات اللغة .

438 ـ وحين نصل بالبحث إلى الحقبة الحاضرة نجد أن النتائج التي انجزها المشتغلون بالرياضيات الإحصائية اكتسبت أهمية كبري بالنسبة للرياضيات واللسانيات جميعاً ، واليوم أصبحت أسماء أعلام مثل زيف Zipf ويول Yuleوروس Ross وماندیلبورت Mandelbort معروفة بين اللسانيين وعلماء الرياضيات على سواء . وفي السنوات الأخيرة ذاعت شهرة ماندیلبورت خاصة (ولا سيما في الولايات المتحدة) ، بسبب فكرة صرّح بها عام ١٩٥٧ ويرى فيها أن الوقت قد حان لإدخال تصنيف جديد إلى الدراسات اللسانية . ويقوم التصنيف علي أساس من قسمتها إلى لسانيات كبرى Macro linguistics ـ وتضم جميع البحوث التي يتم إنجازها باستعمال المناهج الإحصائية والمنضبطة ـ ولسانيات صغرى Microlinguistics وهي ما يتم إنجازه دون استعمال للإحصاء ـ (انظر فيما سبق حاشية ف ٣٤٢) . غير أن أعمال جورج كينجزلي زيف George Kingsley Zipf هي التي كان لها ـ على التحديد ـ أعظم الأثر على اللسانيين المهتمين بالدرس الإحصائي للغة .

439 ـ صرف زيف خاصة اهتمامه إلى التكرار الذي ترد به الوحدات اللغوية Frequency (٣) ، ومارس عمله في هذه المشكلة بنجاح .

ورأى زيف أن تأسيس القوانين الحاكمة على هذه التكرارات سيكفل للباحثين إمكان فهم المبادئ التي يتطور تبعاً لها نشاط الكلام . وانصرف اهتمامه الأول إلى نظرية علم الأحياء النفسي Psychobiology (وهذا المصطلح خاص به) ، ويعني به الكشف عن العوامل السيكولوجية ـ الفسيولوجية التي تحدد على نحو جد مباشر النمط الخاص الذي يميز استغراق المرء عند أدائه حدثاً معيناً . ويرى زيف أن هذا النمط من الاستغراق يقوم أساساً على ميل المتكلم إلى بذل أقل جهد ممكن ؛ ومن ثم فإن نشاط الكلام محكوم بمبدأ الاقتصاد في وسائل التعبير . ويمكن إقامة الدليل على صواب هذا المبدأ ـ كما يؤكد زيف ـ باستعمال الطرق الإحصائية ؛حتى إن زيف يذهب إلى القول بوجوب إيجاد فرع جديد من اللسانيات يسمى اللسانيات الحيوية Bio-linguistics ، وأن على هذا أن يُعنى بدراسة ظاهرة اللغة في ارتباطها بسلوك الإنسان خلال عملية التواصل ، وهو سلوك مشروط بيولوجيا . (والحق أن هذا الأمر يعني أن يتوسع مجال الدرس اللساني ليضم دراسات خاصة في مجال علم وظائف الأعضاء) .

غير أن الأصل فيما تحقق لزيف من شهرة في الأوساط اللسانية كان نتيجة لسلسلة من المقولات الأساسية التي تتصل بالارتباط القائم بين طبيعة الوحدات اللغوية وتكرارها في منظومة الكلام . وكثير من الآراء المتعلقة بهذه المشكلة مما يعد الآن من الأساسيات في الدراسات اللسانية قد بدأت يقيناً على يد زيف ، وذلك على الرغم من أن بعض أفكاره قد تعرضت بمرور الزمن للتعديل بل للتخلي عنها .

440 ـ ونورد فيما يلي ما يختص بتكرار الوحدات اللغوية من مقولات كانت ـ من المنطلق الإحصائي ـ ذات أهمية عظيمة للسانيات :

(أ) تَعَقُّد الأصوات من جهة النطق يرتبط وجوده بتناسب عكسي مع تكرارها في الكلمات[٤] . (ومثال ذلك أن الأصوات المهموسة التي هي أيسر نطقاً من المجهورة ترد بتكرار أكبر من نظائرها المجهورة في جميع اللغات) وقد كانت هذه القضية المؤكدة ذات أهمية خاصة لعلماء الصَّوتولوجيا وعلماء النفس .

(ب) إذا أخضعنا العلاقة بين الأصوات في أي نص ذي طول معقول في لغة ما للإحصاء مستعملين في ذلك النسبة المئوية ـ فإن النسبة التي نحصل عليها ستتكرر في غالبية النصوص الأخرى التي تنتمي إلى اللغة نفسها مع انحراف طفيف . ويعنى هذا الأمر وجود نسبة ثابتة في توزيع الأصوات خلال منظومة الكلام . ولهذه المقولة الأهمية القصوى بالنسبة لعلم الاختزال Stenography والكتابة الشفرية Cryptography (وهو العلم الخاص بفك رموز الرسائل المشَفَّرة)[٥] .

(جـ) طول الكلمات يرتبط مع تكرارها بتناسب عكسي ؛ فالقاعدة أن أكثر الكلمات شيوعاً في الاستعمال هي أقصرها . (وتفسر لنا هذه المقولة ما يعرض للأسماء الطويلة من تقصير ، كما تفسر وقوع ظاهرة الاختصار بوجه عام . ومن أمثلة ذلك شيوع استعمال التشكيلات المؤلفة من الأحرف الأولى في الانجليزية نحو JCR Common

TV و "General Post Office" GPO و Junior Common Room" Televesion . . الخ) . وتقضي هذه القاعدة نفسها بأن أكثر الكلمات شيوعاً هي أيضاً أقدمها . وجميع هذه المقولات المؤكدة ذات أهمية لتاريخ اللغة ، كما تزودنا بعناصر جديدة يمكن أن نفسر بها ما يحدث من تغيرات معينة في لغة من اللغات .

وكان تأسيس العلاقة بين تعدد المعنى Polysemy (انظر فيما سبق ف ٣٧٦) وتردد الكلمة ذا أهمية لتدقيق الدراسات المعجمية . وقد عبر زيف عن هذه العلاقة بالمعادلة الآتية : عدد المعاني السياقية لكلمة ما يناظر الجذر التربيعي لترددها(٦) .

441 ـ كان توغل الطريقة الإحصائية في مجال الدراسة المعجمية فاتحة عهد جديد في تعلم اللغات الأجنبية . فقد حَلّ الإحصاء المشكلة المتعلقة بتحديد أكثر الكلمات تردداً في لغة ما ؛ أي أنه أبان الكلمات التي لا يمكن بالفعل تجنبها في مجال التعبير عن الحاجات الأساسية في الحياة الاجتماعية . ولم يكن الشروع في تصنيف ما يسمي بالمعاجم الأساسية Basic Dictionaries متاحاً للناس إلا على أساس واحد هو أساس الاختيار الإحصائي . ويُقصد بالمعاجم الأساسية تلك التي تحوي مخزوناً من المفردات القياسية تكفي عادة لكي تؤمن التواصل الضروري للحياة اليومية في مجتمع أجنبي .

442 ـ كان الدرس الأسلوبي حتى ظهور الحقبة الإحصائية من تاريخ اللسانيات مجالاً معرفياً غامضاً إلى حد ما ـ وكان واقعاً تحت رحمة المعايير الذاتية في تعريف الأسلوب والمظاهر المتنوعة التي يتجلي فيها ، وكان استعمال المنهج الإحصائي وحده هو الذي أضفى على رصد الظواهر الأسلوبية صفة الموضوعية والانضباط في أتم صورهما . إن الابتذال في أي تعبير يرتبط بعلاقة مباشرة مع ارتفاع تردده وهذا القول المأثور في علم الأسلوبيات الحديث هو نتيجة لتمرسه بالقواعد الأسلوبية . وهذا الضرب من الدراسات الشاملة هو الآن في تقدم . ومن المتوقع أن تعطينا هذه الدراسات إجابة تعتمد على أقصى درجات الدقة العلمية الممكنة عن مسألة قديمة تحدَّت العلماء وهي فرز ما هو أصيل وفني في التعبير اللغوي مما هو مألوف ومعياري .

443 ـ رسخ المبدأ الذي يحكم توزيع الكلمات باستعمال الإحصاء . وقد أتاح ذلك الفرصة لجلاء الغموض في عدد من المشكلات من بينها تعيين مؤلف النص أو تحديد التاريخ الزماني لنص من النصوص (وهو أمر لا تقتصر أهميته على اللسانيين وحدهم ، ولكنه مهم للمؤرخين والمتخصصين في تاريخ الأدب خاصة) .

444 ـ وزوّد الإحصاء علم اللهجات بوسائل جديدة تتحدد بها على نحو منضبط كمبات التشابه والاختلاف بين اللهجات (انظر فيما سبق ف ١٥٦) .

445 ـ واقتنع كثير من اللسانيين في السنوات الأخيرة بأن تطبيق الإحصاء سيكون ذا نفع خاص في الدراسات اللسانية التاريخية المقارنة ـ وتأسس ـ في هذ المقام ـ مجال معرفي لساني جديد هو التحقيب التاريخي للتغيرات اللسانيةGlottochronology .

ففي عام ١٩٥٠ اقترح اللساني الأمريكي موريس سواديش Morris Swadesh منهجية جديدة تهدف إلى تأسيس درجة العلاقة السلالية بين اللغات ، وكذلك تحديد الزمن التاريخ التاريخي لانشعابها من الأصل المشترك . ويتبنى بعض العلماء مصطلحاً خاصاً يطلقونه على هذا المجال المعرفي الجديد هو Glottochronology أي علم التحقيب اللساني ، على حين يسميه آخرون الإحصاء المعجمي Lexicostatistics (وهو الاسم الذي يستعمل عادة لجميع أنواع البحوث الإحصائية التي تجري على المفردات) . والحق أن مثل هذه الدراسات الإحصائية تعتمد على دراسة المخزون المعجمي . وجميع اللغات ـ كما قرر العلماء المعتنقون للمقولات الأنثروبولوجية (انظر فيما سبق ف ٣٤٢) ـ تنطوي على مخزون أساسي من الكلمات يشير إلى المقولات الأساسية في الثقافة الإنسانية العامة . وترتبط هذه الكلمات عادة بالحياة اليومية ، وتكون أقدر علي مقاومة التغير التاريخي والمؤثرات الخارجية . ويقوم الدارسون بعزل عدد من هذه الكلمات(٧) ، ثم يشرعون في المقارنة بين اللغات ، باحثين عن النسبة المئوية للكلمات الأساسية التي يشترك فيها كل زوجين من اللغات التي هي موضوع الدراسة . وتتصف النتائج التي تحققت بالطرافة (بل إن

من الباحثين من يعدها نتائج ثورية) ولكنها لا تسوغ تماماً ما عُقد عليها من آمال أول الأمر ، وذلك من حيث الوثوق بما توصلت إليه هذه المنهجية من نتائج . وقد حدا ذلك ببعض اللسانيين إلى الإفصاح عن شكوكهم المطلقة في الدراسات الخاصة بتحقيب التغيرات اللسانية .

وتقطع هذه البحوث الآن شوطاً في طريقها إلى التقدم ، ويرتبط ذلك ببذل الجهود لتحسين المنهجية على نحو تتحدد به ـ يقيناً وعلى وجه أكثر انضباطاً في المستقبل القريب ـ القيمة الحقيقية لهذا الاتجاه الجديد في الدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة .

446 ـ ونظرية المعلومات (انظر فيما بعد ٤٤٩) ـ وهي من أهم النظريات العلمية في هذا العصر ـ قد نبعت بالفعل من الدراسات الإحصائية . بل إن الإنجاز العملي الذي تحقق نتيجة لإحكام هذه النظرية وهوالترجمة الآلية ـ ما كان ممكناً بدون استعمال الإحصاد . وقد برهنت القياسات الإحصائية على أنها وسائل لا يمكن الاستغناء عنها : ابتداء من الطرق التقريبية Approximate Methods في الترجمة الآلية (وهي الطرق التى تعنى بتحديد كمية: العمل اللازمة لإمكان تحقق الترجمة الآلية) ، ومرورا بإنجاز الخزائن Thesaurus أو إنجاز نظام للتشفير Coding (أي تحويل لغة متعينة إلى نظام من المعادلات الرياضية) ، ووصولاً إلى الحساب الذي تتحدد به أكثر طرق التعامل مع الآلة اقتصاداً (أي ماذا ينبغي أن يكون عليه الحجم الكافي بالنسبة للآلة ، وكم من الوقت ينبغي أن يسمح لها به لإنجاز برامج واقعية للترجمة) .

447 ـ ويطلق على جميع البحوث اللسانية التي تعتمد الطريقة الإحصائية مصطلح «البحوث الإحصائية» أو الكمية . بل إن اللسانيات عامة ـ أهل لأن توصف بأنها مجال معرفي إحصائي أو كمي[٨] بقدر ما يستعمل دارسو اللغة الإحصاء . وقد جرى إعمال الدرس الإحصائي في اللسانيات منذ أمد طويل[٩] . غير أن إعماله اتصف بالعشوائية وعدم الاتساق . ولم يحدث إلا في عصرنا هذا أن اقتنعت الأوساط اللسانية اقتناعاً تاماً بإمكان دراسة البنية اللغوية على أنها بنية حسابية منطقية (انظر فيما سبق ف ٤٠٢) ، وبأن الاحصاء ـ من ثَمَّ ـ قد أصبح وسيلة منهجية لا غني عنها في العمل اللساني ، كما أن التمثيل الرمزي للعلاقات اللغوية في التحليل قد أصبح لا غنى عنه لتأخيرالمادة اللغوية . ولا تزال اللسانيات في الطور الأول من أطوار استعمال مثل هذه الوسائل المنهجية الحديثة . غير أن نفعها قد قامت على صحته البراهين القاطعة ، كما أن آفاق المستقبل في هذا المقام هي أكثر من مشجعة .

إحـــالات

448 ـ انظر دراسـة بلاث Plath السـابق ذكـرها عن اللسـانيـات الرياضيـة ، ومجموعة الدراسات التي عنوانها «عن المناهج المنضبطة في دراسة اللغة» O točnyx metodax isslidovanija jazyka (انظر ف ٤٣٥) ، فكلا العملين يقدم مدخلاً بالغ الجودة إلى المناهج الرياضية .

ويمكن تحصيل معرفة دقيقة بقيمة الإحصاء في الدراسات اللسانية من كتاب بيير جيرو Pierre Guiraud : «اللسانيات الإحصائية : المشكلات والمناهج»

"Problémes et méthodes de la statistique linguistique" (Dordrecht, 1959)

وهو كتاب يتوجه به أحد علماء اللسان لرفاقه من اللسانيين ، ومن ثم فهـو يستحق المراجعة . وقد أعد المؤلف نفسه قائمة بالمراجع في اللسانيات الإحصائية (Utrecht, 1954) . (وقام بتنقيح هذه القائمة وإثرائها ت . د . هوشين T.D. Houchen و ج .بوفيل J. Puhvel و س . و . واتكينز C. W. Watkins بإشراف ج . هواتمو J. Whatmough) .

ويقـدم ج . كارول J. Carrll تاريخـاً شـامـلاً ـ على إيجـازه لأصـول اللسانيات الإحصائية وتطورها ف كتابه «دراسة اللغة»

"The Study of Language" (Cambridge Mass., 1955)

وذلك في فصل بعنوان «الدرس الإحصائي للغة» "The Statistical Study of Language" (PP. 61-64).

وهناك مجموعة من الدراسات بعنوان «قضايا إحصاء الكلام»

"Voprocy statistiki reče" (materily soveščanija) (Leningrad Univ. 1958).

وتحوي هذه المجموعة عدداً لا بأس به من المقالات التعليمية. وانظر أيضاً دراسة د . و . ريد D.W. Reed بعنوان : «مقاربة إحصائية للتحليل اللساني الكمي»

"A Statistical Approach to Quantitative Linguistic Analysis,", Word, vol. 5, No. 3 (1949), PP. 235-247.

وثمة معلومات عن إمكانات تطبيق المنهج الإحصائي على التقابلات الصَّوتيمية تتضمنها دراسة ج . لوتز J. Lotz : «بنية الكلام عند الإنسان»

"The Structure of Human Speech" Transactions of the New York Academy, science, Ser. 11, 16 (1954), PP. 373-384

وكذلك في دراسة ف . هاراري F. Harrary و هـ .هـ . بابر H.H. Paper بعنوان : «نحو معالجة حسابية عامة للتوزيع الصَّوتيمي»

"Towards a General Calculas of Phonemic Distribution", Lg., 33 (1957), PP. 143-169.

ويمكن التعرف إلى ما يمكن أن يقدمه الإحصاء من عون ممكن في مجال المعرفة بالبنية الصرفية للغة في الدراسات الآتية :

ـ دراسة اي . ب هامب E. P. Hamp بعنوان : «حساب محددات التركيب الصرفي»

"The Calculation of Parameters of Morphological Complexity" 8th Preceedings , PP. 134-142.

ـ ودراسة جوزيف جرينبرج Joseph Greenberg بعنوان : «مقاربة كمية للتمييط الصرفي للغات»

"A Quantitative Approach to the Morphological Typology of Language"

وقد نشرت «في الانثروبولوجيا : مناهج ورؤى»

"Methods and Perespectives in Anthropology", ed. Robert F. Spencer (Minneapolis, 1954), PP. 192-220.

وقد ساق عالم الإحصاء البريطاني البارز ج .ڤ . يول G. V. Yule الأدلة على جدوى الإحصاء في معالجة المشكلات المعجمية في كتابه : «الدراسة الإحصائية للمفردات الأدبية»

"The Statistical Study of Literary Vocabulary" (Cambridge-London, 1944).

كما يقدم جيرو معلومات مفيدة عن هذا الموضوع في كتابه : «الخصائص الإحصائية للمفردات»

"Les caractéres statistique du vocabulaire" (Paris, 1954).

ويرتبط كتاب ج . هيردان G. Herdan السابق ذكره «رياضيات النمط ـ

التحقيق» "Type-Token Mathematics" (انظر فيما سبق ف ٤٣٥) بعدد من المشكلات تتسم بالأهمية والتنوع ، ومن ذلك استعمال الإحصاء في دراسة الأسلوب الأدبي . ويعالج هذا الموضوع أيضاً و . فوكس في كتابه «التحليل الرياضي للعناصر اللغوية : القالب اللغوي واللغات»

"Mathematische Analyse von Sprachelemententen Sprachstil und Sprachen" (= Arbaitsgemeinschaft für Forschung des Landes Norderheim - Westfalen) (Colonge, 1955)

وقد تضمن الكتاب أيضاً الخصائص العددية لنصوص متنوعة (تنتمي أساساً إلى اللغتين الألمانية واللاتينية) .

وثمة محاولات لتطبيق المعايير الإحصائية على التصنيف السلالي للغات في :

دراسة دوجلاس شريتين Doglas Cheritein و ا .ل . كروبر A. L. Kroeber بعنوان : «التصنيف الكمي للغات الهندية ـ الأوربية»

"Quantitative Classification of Indo-European Languages", Lg., 13 (1937), PP. 83-105

ودراسة ا . ل . كروبر : «الإحصاء واللغات الهندية ـ الأوربية ، والتصنيف»

"Statistics, Indo-Europear, and Taxonomy", Lg., 36 (1960), PP. 1-21

وتتضمن الدراسات الآتية نظرة فاحصة للتحقيب اللساني

Glottochronology ومنهجيته ، وما واجهه من نقد ، وهي : ر . ب . ليز :
«أسس علم التحقيب اللساني»

"The Basis of Glottochronology" Lg., 29 (1953), PP. 113-127

ودراسة م . سواديش : **«نحو مزيد من الانضباط في الإحصاء المعجمي»**

"Towards a Greater Accuracy in Lexicostatistics", IJAL, 21 (1955), PP. 121-139

ودراسة هـ . هويير H. Hoijer بعنوان : **«علم الإحصاء المعجمي : نقد»** . "Lexicostatistics, A Critique" Lg., 38 (1956), PP. 49-60

ودراسة ج . ا . ري J. A. Rea بعنوان : **«عن الصحة في علم الإحصاء المعجمي»**

Concerning Validity of Lexicostatistics", IJAL, 24 (1958), PP. 145-150

ودراسة و . و . ارندت Arndt بعنوان : **«أداء علم التحقيب اللساني في الجرمانية»**

"Performance of Glottochronology in Germanic" Lg., 35 (1959), PP. 180-192

ودراسة هـ . ا . جليسون H. A. Gleason بعنوان : **«العد والحساب بغرض إعادة التركيب في اللسانيات التاريخية»**

"Counting and Calculating for Historical Reconstruction", Anthropological Linguistics, vol. 1, No. 2, (1959), PP. 22-33.

وتشتمل الدراسات الآتية على استقراء شامل للأعمال المؤلفة في مجال «علم التحقيب اللساني»، وهي :

د. هـ. هايمز D. H. Hymes : «حاضر العلم في الإحصاء المعجمي»

"Lexicostatistics so far Current Athropology", I (1960), PP. 3-44.

و د. هـ. هايمز وآخرون : «مزيد من البحث في علم الإحصاء المعجمي»

"More on Lexicostatistics Current Anthropology, 1 (1960), PP. 339-345.

وتشتمل مجموعة «الجديد في اللسانيات» "Novoe v lingvistike" على ترجمة إلى الروسية لعملين من أعمال سواديش (PP. 23-107) وعملاً من أعمال هويير Hoijer (PP. 88-107) في علم الإحصاء المعجمي.

وانظر في المجموعة نفسها مقال ف. ا. زفيجيتسف بعنوان «التاريخ للغة باستخدام علم التحقيب اللساني(الإحصاء المعجمي)»

"Lingvističckoe dat rovanie metodom glottoxronologii (liksikostatistiki) PP. 19-22.

وانظر أيضاً مقال ج. ا. كليموف G. A. klimov في مجموعة دراسات بعنوان : «**قضايات نظرية اللغة في اللسانيات المعاصرة الأجنبية**»

"Voprosy teorii jazyka v sovremennoj zarobežnoj lingvistike" (Moscow, ANSSSR), PP. 239-253.

وعنوان المقال هو : «عن نظرية م . سواديش في علم الإحصاء المعجمي»

"O lekicostatističskoj teroii M. Svodeša", PP. 67-73.

وتقوم دراسة ا . ف . باركر- رودس A. F. Parker-Rhodes التي عنوانها «استعمال الإحصاء في البحث اللساني»

"The Use of Statistics in Linguistic Research"

استقراء موجزاً وغنياً بالمعلومات في مجال الاستعمالات الأساسية للإحصاء في الترجمة الآلية . وقد نشرت في :

Machine Translation, vol. 5, No. 2, 91958) PP. 67-73.

وانظر كتاب زيف السابق ذكره في ٤٤٠ .

كما يمكن أن يكون للسانيين اهتمام أيضاً بكتابه : «دراسات لمبدأ التردد النسبي في اللغة»

"Studies of the Principle of Relative Frequency in Language" (Harvard Univ. Press, 1932)

وذلك لأن المؤلف يقوم فيه بمقاربة جديدة لتأسيس العلاقة التراتبية بين ظلال المعنى خلال المجال الدلالي للكلمة .

الحــواشي

(٢) ذكر عالم الاختزال ايستوب Estoup (في دراسته : "Gammes sténographiques" (Paris, 1916) أن نسق الكلامات بحيث تشكل نصّاً يتبع قواعد إحصائية محددة .

(٣) في تاريخ مبكر يعود إلى عام ١٩٢٨ أكد عالم الفيزياء ا . ي . كوندون E. U. Condon اطراد تردد الكلمات في دراسته التي عنوانها «إحصاء المفردات» Statistics of Vocabulary

(٤) عرض زيف هذه الفكرة في كتابه «سيكولوجيا اللغة : مقدمة في فقه اللغة الديناميكي» Psychology of Laguage: An Introduction to Dynamic Philogy (Boston, 1935, 1935), PP. 68-81

(٥) ندين بالفضل الآن في توسيع معرفتنا باللغات المنقرضة لجهود بذلها أناس ذوو دربة جيدة في علم حل الشفرات . ويعد فك رموز الحيثية (التي أنجزها اللساني التشيكي ب روزني B. Hrozny عام ١٩١٦ كان أعظم حدث في هذا المجال ماجرى في عام ١٩٥٢ حيث نجح رجل إنجليزي هو م . فيتريس M. Ventris في البرهنة على أن Linear B. Tablets من كريت (ويقع تاريخها فيما بين ١٤٥٠ و ١٢٠٠ ق .م) كانت مكتوبة بنوع من اللغة اليونانية غير معروفة إلى ذلك الحين .

(٦) انظر : «السلوك البشري ومبدأ الجهد الأقل : مدخل إلى الايكولوجيا البشرية» "Human Beharior and the Principle of Least Effort. An Introduction to Human Ecology" (Cambridge, Mass., 1949)

(٧) تبدأ أولاً بمئتي كلمة ثم نقص عددها حتى لا يوجد الآن إلا حوالي مئة كلمة من مثل هذا النوع .

(٨) جرى تَبَنّي هذا المصطلح في المؤتمر الدولي السادس للسانيين (في باريس) عام ١٩٤٨ .

(٩) مثال ذلك أن هويتني whitney في تاريخ مبكر يعود إلى عام ١٨٧٤ فحص تردد الأصوات الإنجليزية ، وفي عام ١٩٠٥ نشر أرنولد دراسة عن «الوزن الشعري للفيدا في تطوره التاريخي» Vedic Metre in its Historical Development . وفي هذه الدراسة استخدم المعيار الإحصائي للتردد لكي يضع الأسس لتحديد العصر النسبي للأجزاء المختلفة التي يتكون منها الريج فيدا Rig Vida .

نظرية المعلومات

449 ـ تعنى نظرية المعلومات بالبحوث العلمية التي تلقي الضوء على العمليات المتصلة ببث المعلومات واستقبالها . ويشمل ذلك كل الأمور التي تتكيف تبعاً لها هذه العمليات . وقد قاربت هذه النظرية ـ التي هي مجال معرفي جديد نسبياً ـ نضجها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

450 ـ كان المهندسون هم أول من أبدى اهتماماً جاداً بمشكلات التواصل ، لكي يُؤمِّنوا قناة البث a transmition chammel في وسائل التواصل التي يقومون بتصميمها ، أي بضمنوا وجود بث واستقبال للمعلومات لا يتعرضان للتقطع . غير أن ظهور عالم الرياضيات الأكبر نوربير ڤينر Norber Wiener كان هو الحدث الذي ارتبط بوضع الأسس لقيام مجال معرفي جديد يهتم اهتماماً نظامياً بمشكلات التواصل .

451 ـ كان ڤينر هو منشئ علم السيبرنطيقا أو «علم التحكم» Cebemeics[١٠] ، وهو علم توظيف الآلاتْ ذاتية الحركة ورد فعلها المنضبط نتيجة لمثير محدد[١١] . وتتسق آراؤه العلمية الأساسية مع المفاهيم العامة في المذهب السلوكي ، تلك التي طبعت بطابعها المناخ الثقافي في الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية (انظر فيما سبق ف ٣٢٨) . وترى هذه المفاهيم أن السلوك الصادر عن أي شخص في موقف معين هو نتيجة رد فعل تلقائي سبق له أن قد تعلّمه تجاه مثير خارجي

معين . وانطلاقاً من التسليم بصحة هذا المبدأ ـ لا في مجال السلوك الإنساني فحسب بل بإمكان صدقة أيضاً على الآلات ـ بدأ ڤينر عمله الجاد على الآلات التي يمكن لها أن تتلقى رسالة بعينها ، وأن «تتذكر» ، وتستجيب بطريقة مناسبة .

واشتغل ڤينر خلال الحرب العالمية الثانية بالقذائف التي يمكن لها أن تضرب أهدافها بدقة عن بعد . وقسّم جميع الآلات التي تعمل بالتسيير الذاتي نمطين رئيسين ممكنين من حيث المبدأ : (أ) آلات ينبغي عليها أن تحقق هدفاً معلوماً . (ب) وآلات عليها أن تجد الإجابة الصحيحة عن سؤال معين . وفي كلتا الحالين لا بد للعمل الذي تقوم به الآلة من أمر واحد ضروري ، ذلك أن عليها أن تكون قابلة لاستقبال رسالة ما من خارجها ، وأن تتصرف التصرف الملائم لهذه الرسالة .

والإنسان هو النموذج الأساسي لمثل هذه المعلومات ؛ فالمخ والجهاز العصبي في الانسان يستجيب بكلتا الطريقتين ومثال ذلك أننا حيث تتناول كتاباً بطريقة آلية من فوق طاولة ما تحدث العمليات الآتية : يختار المخ الهدف وهو الكتاب ، ويصدر للذراع أمراً بإحداث حركة ما ، ويتم تنفيذ الحركة آلياً ، أي بدون تفكير واع تحت رقابة من العين موجهة نحو الهدف . وكذلك أيضاً فإننا نحن البشر لا يمكننا أن نقدم إجابات على أسئلة تطرح علينا إلا في حالة واحدة فقط هي أن نكون قد تعلّمنا سلفاً هذه الإجابات . وخلال الحرب قام ڤينر ـ مستوعباً جميع هذه الأمور ـ ببناء أول أسلحة تنجز هدفها تحت نظام تحكم معين (الرادار والمستقبلات

الحرارية heat receptors . . .الخ) . وركّز ڤيينر اهتمامه فيما بعد على الآلات التي تكون قابلة لأن «تتذكر» إجابات محددة عن أسئلة محددة .

452 ـ كان من الطبيعي إذن أن تتخذ نظرية المعلومات مكانها في صميم الدراسات السبرنطيقية . وقام بعرض مقولاتها الأساسية عام ١٩٤٨ علي يد عالم الرياضيات **كلود شانون** Claud Channon ، على حين قام عالم رياضيات آخر عام ١٩٤٩ هو **وارين ويڤر**Warren Weaver ببيان أهميتها العامة لتطور العلم . وقد اشترك هذان العالمان : كلود شانون ووارين ويڤر في وضع كتاب بعنوان : «**نظرية رياضية في التواصل**» "A Mathematical Theory in Commumication" (Urbana, 1949) ويرى فيه الباحثون العمل الأساسي في نظرية المعلومات وفي الدراسات السبرنطيقية بوجه عام . وقد توجها بهذا الكتاب إلى المشتغلين بالرياضيات أما اللسانيون الذين يفتقدون أساساً راسخاً في الرياضيات فليس في إمكانهم الإفادة منه . غير أن ثمة مراجعة قام بها عالم اللسانيات **س . ف . هوكيت** (Lg., 29 (1936), PP. 69-93) تتسم بقرب التناول وقد كان لها دور مهم في نشر نظرية المعلومات بين اللسانيين .

453 ـ كانت أقصى غايات المشتغلين بتصميم الآلات من علماء الرياضيات والفيزياء أن يؤسسوا أقصد الوسائل التي يمكن بها إرسال الرسائل ، وكيفية تذكرها وفهمها فهماً دقيقاً . كذلك كان الباحثون اللسانيون على اهتمام بهذه الأمور ، ولا سيما البنيويون الذين أسسوا منهجهم في التحليل اللساني على تمييز الظواهر اللغوية ذات العلاقة

والتأثير في عملية التواصل من الظواهر التي ليست كذلك . وقد أدى هذا الأمر إلى نمو مجال من أخصب مجال التعاون ذات الاختصاص المتعدد في تاريخ العلم الحديث ، وكانت ثمرته المباشرة الآلة المترجمة .

454 ـ اكتسبت نظريات **رومان جاكوبسون** اللسانية أثمن اعتراف بها في ضوء نظرية المعلومات . فقد أكّد جاكوبسون الحاجة إلى تحديد السمات الفارقة في الصّوتيمات (انظر فيما سبق ف ٣٥٢) ؛ أي السمات الثابتة والفاصلة والجوهرية في وحدة لغوية ما . ولقد تبين أن مفهوم الوحدات الثابتة كان ذا أهمية حاسمة لتطور نظرية المعلومات . كما أكد جاكوبسون أيضاً مبدأ الثنائية binarity في اللغة (انظر فيما سبق ٣٠٣) . والحق أن نظرية المعلومات كلها تعتمد على تطبيق هذا المبدأ .

455 ـ وهكذا كان اللسانيون مهيئين نظرياً لأن يفهموا ويلحقوا بقطار الأفكار الذي قاده علماء الرياضيات في مجال العمل العلمي ، كما كان لديهم أيضاً ما يسهمون به ـ على أساس من تجربتهم مع الظواهر اللسانية ـ في الرصيد المعرفي العام لمشكلات التواصل . وفي الوقت نفسه تلقت اللسانيات سلسلة جديدة من المصطلحات والمفاهيم كانت محصورة إلى ذلك الحين في نطاق العلوم الرياضية والفزيائية .

456 ـ وتواجه نظرية المعلومات بمشكلتين رئيستين هما : (١) تأسيس الوسائل التي يتم بها إنجاز التواصل . (٢) ما يحدث في عقول الطرفين المشاركين في الكلام : المتكلم والذي يستعمل المعلومة خلال

عملية التواصل(أي الشروط الفسيولوجية والسيكولوجية المباشرة لتحقيق عملية التواصل) .

457 ـ يتم إرسال كل جزئية من جزئيات المعلومات طبقاً لشفرة محددة Code . وهذا المصطلح ـ Code ـ له أصوله في مجال نظرية المعلومات ، وهو يعني كامل نظام الإشارات (بما في ذلك العلاقات القائمة بينها) التي يتم بواسطتها نقل جزئية معينة من المعلومات .

ويمكن أن تتنوع الإشارات المستعملة للتواصل تنوعاً كبيراً : كاللغات الإنسانية ، وإشارات مورس ، والإشارات الضوئية وغيرها . وأياً ما كانت الإشارات المستعملة في التواصل فإنها تنقل الرسائل تبعاً لشفرة ما . وتحويل فكرة ما إلى جزء من معلومة هو عملية من عمليات التشفير encoding (أي تحويل الفكرة إلي نظام من الإشارات التواصلية) . أما استقبال كل رسالة أو توغلها داخلها وعينا فينشأ عنه عملية حل الشفرة decooding (أي تحويل الإشارات التواصلية إلى معرفة من جانبنا بالرسالة) .

458 ـ ويجري تحويل المعلومات دائماً بين طرفين يقومان بإنجاز عمليتين تواصليتين مختلفتين ، وهما : المتكلم الذي يقوم بتشفير جزء من المعلومة ، والسامع الذي يستقبلها ويقوم بحل شفرتها . ويتضمن التشفير ـ حين يعالج لغة بشرية ـ عملية معقدة تبدأ من الفكر وتنتهي إلى الأصوات (أي من المستوى المعجمي النحوي إلى المستوى الصّوتيمي) ، علي حين

أن عملية حل الشفرة هي النقيض ؛ إذ هي تتضمن عملية تبدأ من الأصوات لتنتهي إلى الفكر .

والجزء الذي يجري إرساله من المعلومات هو معلوم للمتكلم ، وهدف المتكلم الوحيد هو أن يبثه إلى السامع بأكبر قدر مستطاع من الوضوح ؛ ومن ثم كان اهتمامه موجهاً في الأساس إلي تنظيم المكونات المباشرة immediate constituents (انظر فيما سبق ف ٣٣٦) تبعاً لشفرة اللغة المتعينة . وتقع على عاتق مستعمل المعلومة مهمة أصعب ؛ إذ ينبغي عليه أن يقوم بتنظيم تتحدد به القيمة الفعلية لكل كلمة ، وأن يستبعد عند الضرورة أي سوء فهم ممكن ينشأ عن تجانس الألفاظ . يضاف إلى ذلك أن الإدراك الكلي للكلام بالنسبة له يكمن فيما تسميه نظرية الاحتمالات بالعملية الاختيارية Stochatic Process ؛ إذ يجري حل مغاليق الرسالة في وعيه شيئاً فشيئاً ، تبعاً للنظام الذي تسلكه وحدات اللغة في منظومة الكلام ، وهو يملك تحت تصرفه مع كل وحدة جديدة يستقبلها من وحدات الكلام عنصراً جديداً لتوضيح الرسالة ، ويبذل جهداً جديداً في كل وقت كلما ظهرت آفاق أكبر للنجاح ، (وحينئذ يقوم بتخمين العنصر الذي يليه ، حتى إنه مع تمام حدث الكلام يكون إدراك الرسالة أيضاً قد شارف على نهايته)[١٢] . ولقد كشفت فروق الأدوار ما بين المتكلم والسامع عن آفاق جديدة للبحث اللساني ، وزادت مجالات معارفنا ثراءً فيما يتصل بأوفر الطرق المستعملة في تعلم اللغات الأجنبية نصيباً من الفعالية . كذلك يصبح الفرق ما بين النمو السلبي والنمو الايجابي(وهو ما

يناظر الفرق بين مجرد الفهم للغة ما والقدرة على التكلم بها) ـ تربة خصبة تتوالى عليها الدراسات اللسانية المفيدة . واليوم يمتاز علماء اللسانيات الأمريكية والسوفييتية خاصة بأنهم هم الذين يولون اهتمامهم لهذه الوجهة البحثية(١٣) .

459 ـ يطلق على المعلومات التي تتضمنها علامة تواصلية واحدة مصطلح «انتروبيا» entropy . وتتباين «الانتروبيا» من حيث الحجم تبعاً لدرجة قابلية المعلومة للتنبؤ بها . ويحتل مفهوم التنبؤ Predectability مكاناً بالغ الأهمية في نظرية المعلومات ، ومن ثم فإنه مفهوم مهم أيضاً للدراسات اللسانية الحديثة التي تضع عمليات التواصل موضع الاعتبار .

ومفهوم كمية المعلومة هو مفهوم نسبي ؛ ذلك أن إسباغ شخص ما صفة الجدة علي جزئية من جزئيات الخبر يعتمد مداه على الظروف الواقعية اليت يتم في ظلها نقل الخبر . ومثال ذلك أننا لو افترضنا أن شخصاً ما كان في كامبردج إبان هبوب عاصفة ثلجية ـ فإن إعلان هذا النبأ بالصحف في اليوم التالي لن يكون بالنسبة له ذا دلالة معلومية خاصة . أما إن كان هذا الشخص مواطناً من مواطني كامبردج ، وكان بعيداً عنها في ذلك اليوم فسيكون اهتمامه كبيراً بلك شيء حدث في أثناء غيابه ، ومن ثم فإن نبأ العاصفة الثلجية سيكون أهم بكثير بالنسبة له من الشخص الأول . وهكذا تحيطنا نظرية المعلومات علماً بالأهمية النسبية للمعلومات .

ويمكن أن تقاس كمية المعلومات في علامات لغة ما بأن نُحِل محلها

علامات لغة أخرى ؛ فكلما زادت إمكانات الإحلال زادت كمية المعلومات التي تحمل العلامة المعينة ، تلك التي نريد قياس معلوميتها (أي أن القابلية للتنبؤ تكون محددة) . وحيث نتصور شخصاً ما تبلغ حالته درجة من الإثارة ويبدأ قائلاً : تصور أن جون قد . . .» فإن كُلاً سينتظر بفارغ الصبر أن يسمع الكلمات التالية : (تزوج؟ سقط مريضاً؟ قتل شخصاً ما) . وواضح أن قيمة الانتروبيا تكون أكبر في هذا المقام . ويقدم لنا المثال الآتي الوجه الآخر لذلك : إن الحرف u يصاحب الحرف q في الكتابة الإنجليزية أو الإيطالية ؛ أي أن الحرف q ينبغي إتباعه بالحرف u تبعاً لقواعد الهجاء في هاتين اللغتين ؛ ومن ثم فإن التنبؤ بالحرف u بعد الحرف q ممكن إلى أبعد حد ، وهو ما يعني أن القوة المعلومية للعلامة u في مثل هذا التركيب ذات قيمة صفرية .

460 ـ وستعمل مبدأ الازدواجية dichotomy (الثنائية binarity) باطراد في دراسة كمية . والوحدة المستعملة في هذا القياس هي الوحدة bit (وهو اختصار للمصطلح binary digit أي ثنائية رقمية) . وتتحدد قيمتها باستعمال البديل البسيط simple alternative للتعرف إلى التوصيف الدقيق الذي تقدمه العلامة التواصلية (ويعنى ذلك أن كل صفة محددة لحدث أو ظاهرة تكون موضوعاً للرسالة تقتضي استبعاد صفة أخرى ترتبط بها على وجه التضاد) . وعند استيعاب الرسالة يكون عدد القرارات الثنائية المطلوبة(أي عدد المرات التي نستبعد فيها احتمالاً واحداً من بين احتمالين بديلين) مساوياً لعدد الوحدات الثنائية التي تتضمنها الرموز اللغوية التي تستعمل في هذا المقام .

461 ـ من المعروف جيداً في عملية التواصل أن الشخص الذي ينصت إلى رسالة ما إنما ينصت إلى أكثر مما يحتاجه بالفعل . وفي هذه العملية يتركز اهتمام السامع في أن يعمد إلى المنطوق الذي صدرعن المتكلم فيستخلص منه العناصر الأساسية . وهذه العناصر هي مثيرات للقرارات الثنائية التي لا يمكن فهم الرسالة بدونها . أما بالنسبة للمتكلم فإنه يكاد يقول دائماً ما هو أكثر من هذا الحد الأدنى الضروري ؛ لأنه يحاول أن يؤمّن القدرة للقناة التواصلية communication channel علي نقل الرسالة (ويطلق هذا المصطلح على كل ما يجعل التواصل ممكناً ؛ بدءاً من المتكلم بوصفه مصدر المعلومة ، وانتهاء بالهدف وهو الشخص الذي يستوعب الرسالة) . وفي هذا المجهود يستعمل المتكلم وسائل عظيمة التنوع ؛ فيسوق ـ على سبيل المثال ـ تعبيرات خاصة القصد منها جذب انتباه السامع ، أو تكرار معلومة واحدة بتنوعات مختلفة . والحق أن اللغة البشرية مثقلة بالعناصر التي تبدو فضلة زائدة على الحاجة بالنسبة لجوهر المعلومة . غير أن الفضول redundency ـ على أي حال ـ له وظيفته في عملية التفاهم المتبادل ؛ فكلما زاد عدد العناصر الفاضلة زاد اليقين بأن الرسالة سيتم استقبالها واستيعابها إلى أبعد مدى . إن اللغة المنطقية المثالية للعلم meta language (انظر فيما سبق ف ٣٨٨) تفتقد الفضول ؛ ومن ثم فإنها غير عملية في مجال الاحتكاك التواصلي اليومي بين البشر(١٤) .

462 ـ والواقع أن المهمة الأساسية التي يضطلع به أنصار نظرية المعلومات هي الكشف عن الخصائص الأساسية والثابتة في الرسالة حتى يمكن بناء نظرية راسخة للمباني الثابتة التي يمكن أن تحقق المزيد من

التقدم في مجال الدراسات السبرنطيقية ، وفي مجال العمل بالترجمة الآلية ، وفي الدراسات السيكولوجية لعملية المعرفة ، وفي دراسة اللغة المنطقية meta language عند المناطقة ، والبحث عن لسانية بنيوية لما هو «جوهري وثابت» في اللغة .

463 ـ ولم يكن من الممكن لنظرية المعلومات أن تكسب ما لها من أهمية في الدرس العلمي المعاصر لو لم تظاهرها إنجازات اللسانيات البنيوية . لقد تمثلت المأثرة التي اختصت بها اللسانيات البنيوية فيما وضحته من أن اللغة نظام يتشكل من وحدات محددة تحديداً دقيقاً ، ويرتبط بعضها ببعض بعلاقات متبادلة ، وأن هذه الوحدات محدودة من حيث العدد (وليست كبيرة) ولكن توليفاتها تمتد إلى ما لا نهاية . واعتماداً على هذه المقولة نجح علماء الرياضيات في تطبيق منهجهم التحليلي على اللغة . لقد حظي علم الإحصاء على الخصوص بمكانة مرموقة . وانتفعت اللسانيات من وجوه كثيرة بازدهار الدراسات المتعلقة بالتواصل ؛ فقد سلطت أضواء جديدة على مشكلات كثيرة من بينها مشكلة العلاقة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، وبين ما هو صريح explicit في اللغة (أي ما هو معبر عنه بوضوح) وما هو ضمني implicit (أي ما يمكن فهمه وإن لم يكن مصرَّحاً به) . أما استيعاب عملية حل الشفرة فقد افتتح عصراً جديداً في الدراسة اللسانية للشعر . كذلك اكتسب الاهتمام اللساني بتاريخ اللغة حياة جديدة من فحص عملية التناقل الشفري trascoding (أي الانتقال من شفرة إلى شفرة أخرى) . وها هوذا تاريخ اللغة تعاد دراسته الآن من جديد دراسة مكثفة في ضوء الجديد من التجربة والمعرفة .

إحـــالات

464 ـ لا تنصح اللسانيين بأن يبدأوا بقراءة المصادر الأساسية ، أي ما كتبه علماء الرياضيات إذا ما أرادوا تحصيل مدخل رصين ومتدرج إلى نظرية المعلومات . إن عليهم أن يقرأوا أولاً ما كتبه علماء اللسانيات في مراجعاتهم مخاطبين به جمهور اللسانيين . والمراجعات الآتية جديرة باهتمام خاص :

ـ مراجعة **هوكيت** للعمل الأساسي الذي أنجزه شانون ويفر : **«النظرية الرياضية في التواصل»**

"The Mathematical Theory of Communication"

وقد نشرت في : Lg., 29 (1953), kPp. 69-93

ـ مراجعة ي . ر . **تشاو** Y. R. Chao في : Lg., 26 (1950), PP. 394-401 ـ لكتاب زيف : **«السلوك البشري ومبدأ الجهد الأقل : مدخل إلى التَّبيؤ البشري»**

"Human Behaviour and the Principle of Least Effort: An Introduction to Human Ecology"

ـ مراجعة ن . **تشومسكي** لدراسة **بيليفيتش** Belevitch بعنوان : **«لغة الآلات واللغة البشرية»** "Language de machines et language humain" ، حيث بين تشومسكي ـ على سبيل المثال ـ العلاقة بين نظرية المعلومات

واللسانيات قاصداً بذلك أن يقرب لجمهور اللسانيين القوانين الأساسية في للمعلومات الرياضية Lg., 34 (1958), PP. 29-105 .

ـ مراجعة ليز Lees في Lg., 35 (1959), PP. 271-303 لدراسة ل . ابوستيل L. Apostel ، و ب . ماندلبورت B. Mandelbort و ا . مورف A. Morf بعنوان : **«المنطق واللغة ونظرية المعلومات»**

"Logique language, et théorie de l'information.

ـ وانظر دراسة **رومان جاكوبسون** : **«اللسانيات ونظرية التواصل»**

"Linguistics and Communication Theory", Proceedings of Symposia in Appied Mathematics, Structure of Language and its Mathematical Aspects, vol. XXI (1961), PP. 245-352

وفيها يوضح جاكوبسون بمنهج لساني يتصف بالشمول والإقناع والطرافة أهمية دراسة اللغة في إطار نظرية المعلومات .

وهناك توضيح دقيق لمجموعة من المشكلات المتنوعة في إطار برنامج موسع من الدراسات الخاصة بعملية التواصل وذلك في مجموعة دراسات بعنوان : **«اللسانيات النفسية : استقراء للنظرية وللمشكلات البحثية»**

"Pscholinguistics: A Survey of Theory and Research Problems" Supplement to IJAL, vol. 20, No. 4, (1954) Memoria 10, I-IX + 1-203

ويمكن أن يجد القارئ في كتاب ج . ا . ميللر G. A. Miller : «اللغة والتواصل»

"Language and Communication" (New York - Torento - London 195

- كتاباً مدرسياً جيداً وأولياً في نظرية المعلومات ، وهو يعالج الموضوع أساساً من زاوية المشكلات السيكولوجية التي تقتحم مجال العملية التواصلية (ويتضمن هذا الكتاب مادة بيبلوجرافية مفيدة : وهناك دراسة مثيرة للمؤلف نفسه هي : «قياس المعلومة : ما هو؟»

"What is Information Measurement?", American Psychologist, 8 (1953), PP. 3-11.

انظر أيضاً مقال ميللر «إدراك الكلام»

"The Perception of Speech", For Roman Jacobson, PP. 353-360.

ويمكن للسانيين أن يتعرفوا إلى المناهج الرياضية في معالجة المشكلات اللسانية ، ولا سيما في مجال الدراسة الصّوتيمية من خلال كتاب س . تشيري C. Cherry : «عن التواصل البشري»

"On Human Communication". (Cambridge, Mass., New York - London, 1957)

وكتاب «الكلمة والشيء»

"Word and Object" (Cambridge, Mass., 1960)

الذي ألفه **ڤيلارد ڤان اورمان كوين Willard Van Orman Quine** ـ هو كتاب مرموق لحداثة منهجه ، ولما يشتمل عليه من مشكلات تتعلق بالكلام والعملية التواصلية .

وانظر أيضاً دراسة او . هـ . **شتراوس** O. H. Strauss بعنوان : **«علاقة الصوتيمات واللسانيات بنظرية التواصل»**

"The Relation of Phonemics and Linguistics to Communication Theory", Journal of the American Acoustic Society, 22 (1951), PP. 709-711

وانظر أيضا الدراستين الآتيتين (نشرت في قضايا اللسانيات Voprocy Jazykoznanija) ، وهما :

دراسة ل . ر . زندر L. R. Zinder بعنوان : **«عن الاحتمالية اللسانية»**

"O lingvističskoj verojatnosti" (VII, 1958, fasc. 2, PP. 121-125)

ودراسة ف . ن . **توبوروف** V. N. Toporov بعنوان : **«عن إدخال الاحتمالية في اللسانيات»**

"O vvedenii verojatnosti v ajazykoznanijie" (VIII, 1959, fasc. 6, PP. 28-35)

وتشتمل الكتاب الأساسي الذي وضعه العالم السوڤييتي ا . ا . **هاركيڤيتش** A. A. Harkevič بعنوان : **«الموجز في النظرية العامة للتواصل»**

"Očerki obščej teorii svjazi", (Moscow, 1955)

على معالجة دقيقة ونظرات نافذة في هذا الموضوع .

ولمـزيد من الاطلاع على إسـهام العلماء السـوفيـيت في تطور نظرية التـحويل أن ينظر أيضاً ما كتبـه يو . س . **بوكوف** Ju. S. Bukov بعنوان : **«الأعمال السوفييتية في نظرية وضوح الكلام»**

"Sovetskoie raboty po teorii razborčivoski reči" (= Izvestija Akademii Nauk SSSR, serija fizičeskaja 13, 6) (1949), PP. 728-739

وانظر أيضاً مجموعة الأعمال التي نشرت في موسكو ١٩٥٦ تحت عنوان : **«إدراك الإشارات الصوتية في سياقات أكوستيكية متنوعة»**

"Vosprijatija zvukovyx signalov v različnyx akustičeskyx uslovijax".

وتحظى أعـمـال هـ . **فليـتـشـر** H. Fletcher و ب . **مـاندلبـورت** B. Mandlbort وكلاهما ممثل للمشتغلين بالعلوم المنضبطة ـ بشهرة بين علماء اللسانيات .

انظر ـ على سبيل المثال ـ كتاب هـ . **فليتشر** : **«الكلام والسمع في عملية التواصل»**

"Speecch and Hearing ın Communication" (New York, 1953)

ودراسة ب . ماندلبورت : **«البنية الشكلية للنصوص والتواصل»**

"Structure formelle des tęstes et Communication", Word, 10 (1954), PP. 1-27)

الحـــواشي

١) المصطلح سيبرنطيقا هو من الكلمة اليونانية Kybernetike وتعني مهارة التوجيه .

١) انظر عمله الأساسي «السيبرنطيقا» (Cebernetics (New York, 1948 .

١) عملية استقبال رسالة عن طريق نص مكتوب شبيهة بذلك : فكل كلمة جديدة أو مقطع جديد يقربنا من المعنى الكامل للمعلومة . وسيكون من الممكن تحصيل هذا المعنى في كليته عند انتهاء القراءة .

١) في هذا المقام يحظى نشاط تلامذة شيربا Šĕrba في روسيا بأهمية خاصة . ففي تلك الحقبة المبكرة ـ حقبة النحو التقليدي كان شيربا قادراً علي تبين هذا المجال ومقاربته .

١) مثال ذلك أن البرقيات تكون موجزة قدر المستطاع لذلك يكون أقل خطأ لغوى كافياً لأن يضع وضوح الرسالة موضع المساءلة .

الترجمة الآلية

465 ـ خلال العقد الأخير كان هناك مجال معرفي جديد كل الجدة قد أصبح محور اهتمام لساني بالغ النشاط ، وتوقع الناس نتائج خارقة في هذا المجال . إن الترجمة الآلية يمكن أن تحدث ثورة في نشاط الترجمة ، وأن تجعل من ترجمة المعلومات العلمية والتقنية والسياسية وغير ذلك أمراً أيسر وأسرع على نحو غير قابل للمقارنة . إن في إمكان الباحثين ـ على سبيل المثال ـ أن تكون لديهم القدرة على تقديم إيضاح لأهم منجزاتهم بكثير من اللغات في زمن واحد ، وهو ما يمكن أن يسهم في جعل الثقافة الإنسانية ثقافة جامعة . يضاف إلى ذلك أن كثيراً من اللسانيين عبروا عن اعتقادهم بأنه حتى النظرية اللسانية العامة يمكن أن تجنى ربحاً عظيماً من مثل هذا المشروع .

466 ـ وما كان العمل في الترجمة الآلية ليوضع موضع التنفيذ لو لم يكن منهج وصف اللغة قد جرى إحكامه بدقة على يد اللسانيين البنيويين . بيد أن الأهم هو ما كان قد تحقق للعلوم التقنية من مستوى عال ، ولا سيما الحاسبات الإليكترونية .

467 ـ والترجمة الآلية هي برنامج لحاسوب اليكتروني ومن الطبيعي أن يتحقق تكييف مادة اللغة لتلائم أغراض الترجمة الآلية على يد اللسانيين . وقد قطع العمل بالترجمة الآلية في أيامنا هذه شوطاً طويلاً من

التقدم ، على الرغم من أن حل كثير من المشكلات المهمة لا يزال في طور الانتظار .

468 ـ وتشتمل عملية الترجمة الآلية على عدد من المهمات الأساسية كان لا بد من إنجاز دقيق للجانب التقني من هذه العملية . وتبدأ الترجمة باستقبال النص ، ثم يُحوَّل ما يتم تسجيله آلياً إلى اللغة الرياضية المستخدمة في المعادلات . وتناظر المعادلات الرياضية الناتجة في كل جانب من جوانبها بنية اللغة التي تصاغ الترجمة منها ؛ إذ تناظر نسق الكلمات ، ونوع الوظيفة التي تؤديها الكلمات في المنطوق ، وعدد الصرفيمات المستعملة للتعبير عن العلاقات النحوية المتنوعة ـ كل هذه الأمور يجري تصميمها بدقة ليصاغ باللغة الرياضية . وبعد هذا تبدأ مرحلة جديدة من الترجمة ؛ إذ يتم تحويل الشفرة الرياضية mathematical code (انظر فيما سبق ف ٤٥٧) التي تناظر النص ـ المصدر إلى الشفرة اللغوية التي يترجم إليها النص . ويمكن أن نصوغ ذلك بعبارة أخرى فنقول إن ما يجري هو إدخال معادلة جديدة تقوم بتحويل الأفكار بحيث يعبر عنها طبقاً للبنية العملية ـ يكون العمل قد بدأ في تغيير العلامات الرياضية إلى لغة بشرية مرة أخرى . ولكنها في هذه المرة تكون هي اللغة ـ الهدف . وحين يتم تنفيذ هذه المرحلة الأخيرة من عمل الآلة تكون الترجمة نفسها قد تمت .

469 ـ وتتطلب عمليتا التشفير وحل الشفرة (انظر فيما سبق ف ٤٥٧) والأجزاء الداخلة في تكوين عملية الترجمة الآلية أقصى درجات

التدقيق للمعايير والمناهج اللسانية . وفي كل خطوة تواجه الجهود المشتركة للسانيين والمهندسين صعوبات شتى كان يجري حلها . غير أن جميع ما قد يمكن إدخاله من تحسينات في المستقبل البعيد لن يتيح للآلات أن تكون قادرة على إنجاز ترجمة جيدة للنصوص الأدبية . إن النصوص التي يمكن أن نعهد بها إلى الآلة مقصورة على النصوص التي تكتب دون أية مظاهر لأصالة الأسلوب (كالأعمال العلمية والتقنية والسياسية وما شابه ذلك) . وثمة عوامل كثيرة تسهم في هذا الامر ؛ ذلك أن الآلات عليها أن تختزن ـ من بين أشياء أخرى ـ كامل المفردات للغات التي يراد ترجمتها . وسيكون من غير العملي تقنيا أن نزود أجهزتها بجميع الاستعمالات غير المعتادة وبتحولات العبارات التي يمكن أن توجد مثلاً في الشعر المعاصر .

470 ـ يمثل تحقيق مبدأ الاقتصاد في «ذاكرة» الآلة إحدى المشكلات الرئيسية التي تواجه الترجمة الآلية . إن الآلة يمكنها ـ من حيث المبدأ ـ أن «تتذكر» كل شيء ، ويمكن أن نطبع على ذاكرتها من الكلمات والمفاهيم النحوية بقدر ما يمكن أن يكون مطلوباً . ومع ذلك تبذل الجهود لضمان ترجمة مقنعة بأقل قدر مستطاع من الإنفاق المادي والتعقيدات ، وإن كان ذلك لا يتحقق ـ بطبيعة الحال ـ على حساب تحقيق أقصى قدر ممكن من الفعالية . لذلك يُختار المخزون المعجمي بعناية تبعاً لنوع النصوص المراد ترجمتها . وبالإضافة إلى المادة المعجمية ذات الطابع العام صنفت معجمات صغرى تضم المفردات التي تدخل في التعبيرات المميزة لفروع دراسية محددة (كالكيمياء والطب والفيزياء وغيرها) .

471 ـ وأياً ما كانت درجة العناية في تسجيل الكلمات على الآلة فليس من المؤكد دائماً أن يكون هذا الاختيار كفئاً عند تطبيقه على النص المعين . ذلك أن جميع اللغات تشتمل على مترادفات تعبر عن ظلال معينة لمعنى أساسي واحد من معاني الكلمة . لذا يجري تطبيق نظرية الاحتمالات عند القيام بالاختيار . وتصنف الكلمات إحصائياً بحسب ترددها في الاستعمال إلى شائعة وعادية ونادرة . وتعطى الأولوية للكلمات العادية . إذ من المحتمل جداً أن يشتمل هذا النوع من الكلمات على الظل الدلالي للمعنى المطلوب ، أو أنه ـ في أقل تقدير ـ سيحدد الظل الدلالي تحديداً تقريبيًا . ومن المؤكد أن هذا الإجراء المنهجي له ما يسوغه في هذه الحالة بخصوصها ، وإن كان لا يضمن إنتاج ترجمة مقنعة كل الإقناع . غير أن لدينا حلاً آخر تنتج عنه ترجمة أقل امتيازاً ولكنها ذات مزايا أكيدة . ويقتضي هذا الحل أن توضع جميع التنوعات جنباً إلى جنب (مع علامة تدل أنها أبدال) ، ويترك للقارئ أن يختار أنسب التعبيرات طبقاً لمعاييره وطبقاً للسياق بطبيعة الحال .

472 ـ وتسبب التعبيرات الاصطلاحية صعوبات خاصة في الترجمة ؛ فالكلمات المركبة ليست سهلة في المعالجة أيضاً كما تمثل الأعلام الجغرافية أيضاً مشكلة لكونها لا تقع تحت حصر . يضاف إلى ذلك أن جميع اللغات تشتمل على عناصر من الفضول الزائد عن الحاجة Redumdant (انظر فيما سبق ف ٤٦١) . وتحديد ما هو من قبيل الفضلة في مثال معين واستبعاده من الترجمة مهمة شاقة ، كما أن الحل التقني لها ليس سهلاً بحال .

473 ـ وحتى نتجنب احتمال الخلط الناشئ عن تعدد المعنى (انظر فيما سبق ف ٣٧٦) ينبغي ابتكار عمليات تقنية يمكنها أن تحدد المعاني تحديداً صحيحاً بمساعدة السياق . ولا بد ـ بالإضافة إلى ذلك ـ وبقطع النظر عن مقولات تعدد المعنى ـ أن تؤسس عمليات تقنية خاصة تجعل تفسير المقامات السياقية الخاصة أمراً ممكناً باستمرار . وهذه هي المشكلة التي ينبغي أن نجد لها الحل الصحيح حتى نضمن احتفاظ الترجمة التي نريد إنجازها بالمغزى الكامل للمعنى .

474 ـ ولكل لغة بنيتها المحددة الخاصة بها . والترجمة الآلية لا تكون بدون أن تتوافر معلومات دقيقة عن البنى اللغوية . ولذا لم يكن من الممكن تطبيق الترجمة الآلية على كثير من اللغات لأنها لم تدرس دراسة كافية .

وتتم مقارنة البنى اللغوية ابتداء بهدف تحديد درجة التطابق degree of Congruency (وهو مصطلح تبنته تقنية الترجمة الآلية) . ويقصد به القرابة أو التباين من الوجهة التنميطية . وهذا العمل يقوم به اللسانيون ؛ إذ يأخذون في حسابهم العوامل المعجمية والصرفية والتركيبية التي تكيف الطبيعة المحددة للوحدات اللغوية في لغات مخصوصة ويتم إنجاز هذه المهمة بعمل قائمة من الوحدات اللغوية وبالبيان الكاشف عن مبدأ توزيعها .

475 ـ وثمة مشكلة تعد من أصعب مشكلات الترجمة الآلية وهي تنظيم ذاكرة الآلة : فهل ينبغي على الآلة **ألا** تتذكر إلا كلمات كاملة

(ويساوي هذا التنظيم «المعجمي» للآلة) . أم ينبغي عليها أن تتذكر بطريقة منفصلة الجذوع stems والزوائد affixes (ويساوي هذا الذاكرة «النحوية» للآلة) . والعلماء ليسوا على اتفاق فيما يختص باختيار الإجراء التقني في هذا المقام[١٥] .

وللغات خصائص نحوية مميزة كثيرة . وأيّاً ما كان النمط الخاص للإجراء التقني الذي يمكن تبنّيه ـ فلا بد من خزن هذه الخصائص في الآلة . ويطرح هذا الأمر مصاعب كثيرة ليست تقنية فحسب بل لسانية أيضاً . فأما من جهة المصاعب اللسانية فإن أكبر مشكلة هي ـ في العادة ـ معالجة مجالات نحوية خاصة بطريقة الكفاءة . ومثال ذلك أن الآلة تتطلب معرفة تفصيلية بالظواهر التركيبية . والواقع أن اللسانيين يشرعون الآن في صياغة نظريات ومناهج في هذه الفرع من فروع الدرس اللساني .

476 ـ وتفرض متطلبات الترجمة الآلية على اللسانيين أن يقوموا بمزيد من التطوير لمعارفهم النظرية بمجالات لسانية متنوعة لا تزال حتى الآن غير مدروسة دراسة جيدة . وهناك هدف عملي يتمثل في السماح لنتائج البحث اللساني أن تستعمل استعمالاً صحيحاً في العمل مع الآلات . ويفرض هذا الهدف على اللسانيين ضرورة صياغة تعريفاتهم صياغة واضحة وموجزة قدر المستطاع . وإذا أمكن ترسيخ تقليد في هذا الصدد فإن ذلك سيكفل ظهور دراسات في اللغات ذات نوع أفضل . وظهور منهج أعظم كفاءة يمكنه أن يقدم للباحثين قواعد نحوية عملية .

وإذن ؛ فالعمل مع الآلة قد أظهر البحوث التي أنجزها العلماء في مجال النظرية اللسانية ، ولكن نتائجها لا تزال غير جيدة ، وتلك التي بما يتحقق له أن يكتمل ، كما أظهر البحوث التي لا يزال واجباً على العلماء أن يقوموا بها .

وكل هذه الأمور تسوغ التفاؤل بقيمة العمل مع الترجمة الآلية . وعلى أي حال فإن الغالبية العظمى من اللسانيين لم يشاركوا رواد الترجمة الآلية حماستهم ؛ فقد شعروا بخيبة الأمل لبطء معدل التحسن في الترجمات .

477 ـ كانت بداية الترجمة الآلية أول الأمر في الولايات المتحدة . وأول نظام هو الآن موجود في هارفارد بوصفه قطعة من شاهد تاريخي لنقلة تاريخية مفاجئة ومهمة في مجال تقدم البحث . ويوجد الآن في الولايات المتحدة عدد من مراكز الترجمة الآلية المشهورة في العالم . ومن هذه المراكز ـ على سبيل المثال ـ العمل الذي تقوم به مجموعة من المتخصصين بجامعة واشنطن في سيتل Seattle ، وهو مركز عنى أساساً بإنجاز الخوارزميات Algorithms (انظر ف ٣٨٩) المتعلقة بالترجمة الآلية من الروسية إلى الإنجليزية ويتمتع بشهرة واسعة . وكذلك العمل الذي تقوم به مجموعة كامبردج (.Mass) وهي أيضاً مجموعة بارزة في هذه الأيام[١٦] . وجدير بالذكر أيضاً مجموعة جامعة جورج تاون ، ومجموعة الباحثين في جامعة كاليفورنيا وجامعة واين ستيت Wayne State . وفي هذه المراكز كلها تركز الموارد خاصة على دراسة البنى اللغوية في الإنجليزية والروسية . وقد غدا المذهب التوزيعي Destributionalism ـ الذي نشأت

أصوله في الولايات المتحدة (انظر فيما سبق ف ٣٣٢) ـ أساساً ممتازاً لمزيد من المعالجة اللسانية للغتين المذكورتين لدى تحقيق متطلبات الترجمة الآلية ، وذلك لما له من جهود وافرة في تدقيق مناهج التحليل الآتية .

478 ـ أما المنافسون الكبار للأمريكيين في الاشتغال بالترجمة الآلية فهم المتخصصون السوفييت . لقد بدأوا في تنظيم مواردهم لهذا العمل بعد الأمريكيين ، ولكنهم تمكنوا بسرعة مذلهة وفي مدى سنوات أربع أو خمس من تخريج هيئة ممتازة من المتخصصين في اللسانيات الرياضية بلغوا الآن مستوى يحسدون عليه . وفي عام ١٩٩٥ بدأ العلماء السوفييت استعداداتهم فيما يتصل بالترجمة الآلية . واقتصرت جهودهم على العناية بأربعة أزواج من اللغات هي الإنجليزية ـ الروسية والفرنسية ـ الروسية . وبحلول عام ١٩٥٩ كان إنجاز البرامج قد تم بالنسبة لحوالي اثني عشر زوجاً من اللغات ويعتقد أن الاتحاد السوفييتي الآن يتقدم العالم من حيث عدد المتخصصين في الترجمة الآلية . وتوجد أكبر مراكز الترجمة الآلية الآن في موسكو (معهد الميكانيكا الدقيقة ، والمختبر الأليكتروني في معهد عموم الاتحاد السوفييتي للمعلومات العلمية والتقنية ، ومعهد ستيكلوف للرياضيات) ،وفي لينينجراد (المختبر التجريبي للترجمة الآلية) . وتعمل مجموعات من الدارسين ذات عدد أقل بأعمال تتصل بالترجمة الآلية في معهد موسكو للغات الأجنبية ، وفي جامعة موسكو ، وجامعات جوركي وخاركوف وكييف وبيتروزاقدسك وتفليس ويرفان[١٧] .

وقد تركزت الموارد الأساسية المتخصصين السوفييت حتى الآن في اتجاهين : تصنيف المعجمات glossaries (أي وضع القواميس في الآلة) ودراسة اللغة الوسيطة intermediary language في الترجمة (أي لغة المعادلات التي يجري تحويل اللغة البشرية المراد ترجمتها إليها) . وقد حقق العلماء في هذا المجال الأخير نتائج نظرية مهمة .

479 ـ وتقوم أقطار أوربية وآسيوية أخرى أيضاً[١٨] بتطوير العمل في الترجمة الآلية الآن . ولكن الموقع الرائد في العالم المعاصر في هذا المجال تشغله المراكز العلمية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

إحـــالات

480 ـ أفضل توضيح للمراحل الأولى من العمل في الترجمة الآلية بالولايات المتحدة تضمنته مجموعة دراسات بعنوان : **«الترجمة الآلية للغة»** Machine Translation of Language **بإشـراف وبليـام ن . لوك** William N. Locke **و ا . دونالد بوث** A. Donald Booth (New York , 1955) .

وظهرت ترجمة لهذه المجموعة إلى الروسية في موسكو عام ١٩٥٧ بعنوان : **«الترجمة الالية»** Mašnnyi perevod (بإشراف ب . س . كوزينوف Kuzneoov) .

وتشمل مجموعة الدراسات التي صدرت في عدة مجلدات ضخمة بعنوان «**دراسات لسانية وهندسية في الترجمة الآلية للغة العلمية من الروسية إلى الإنجليزية** : تقرير فني»

"Linguistic and Engineering Studies in the Automatic Translation of Scientific Russain into English - Technical Report" (Seattle - Washington, 1959)

وتضم هذه المجموعة دراسات تمثل جهود مجموعة من العاملين في سيتل .

هناك كتاب يضم شرحاً ممتازاً لما حققه فريق مركز هارڤارد للترجمة الآلية ، وهو كتاب ا . ج . **اوتينجر** A. G. Oettinger : **«الترجمة الآلية للغة : مشكلات معجمية وتقنية»**

"Automatic language Translation: Lexical and Technical Problems · (= Harvard Monographs in Applied Science, No. 8) (Cambridge, mass. 1961)

كما أن جماعة كامبردج (Mass.) : و ن . لوك و ف . هـ . **يونيجيف** V. H. Yngev وممثل سيتل **اروين ريفلر** Erwin Riefler ، وممثل مركز جورج تاون بول ل . **جراڤين** Paul L. Gravin - قدمت دراسات استقرائية مركزه لما تم القيام به في هذا المجال من مجالات النشاط العلمي . وقد نشرت في أعمال المؤتمر الثامن 8th Proceedings تحت عنوان «**الترجمة الآلية**» (PP. 502-518) ,"Machine Translation" .

ويعطي **ي بار- هيلليل** Y. Bar-Hillel استقراء للعمل الذي جرى في الترجمة الآلية لا يقتصر فيه على الولايات المتحدة بل يشمل كذلك بريطانيا العظمى في تقرير له بعنوان : «**تقرير عن وضع الترجمة الآلية في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى**»

"Report on the State of Great Britain"(Jerusalim, 1959).

وتوجد أعمال كثيرة تعطى صورة جيدة عن النتائج التي تحققت حتى الآن في مراكز أمريكية مختلفة للترجمة الآلية . وسيجد المهتمون خاصة بهذا الموضوع معلومات مناسبة في دوريات مثل : «**الترجمة الآلية**» "Machine Translation" التي تصدرها الجماعة العاملة في معهد مساشوتس للتقنية Massachusstes Institute of Technology . وهناك عدد آخر من الدراسات يمكن التوصية بها . وقد حظيت باهتمام خاص في الخارج ولا سيما في الاتحاد السوفيتي وهي :

وأيضاً دراسته «نموذج وفرضية لبنية اللغة»

"A Model and Hypothesis for Language Structures", Proceedings of the American Phylosophical Society vol. 104 (196), No. 5, PP. 444-466

ـ ودراسة ل . ر . يكلسن «الترجمة الآلية من الروسية إلى الإنجليزية»

"Russian - English MT" American Contributions to the Fourth International Congress of Slavists. Moscow, September 1958 (The Hague, 1958), PP. 245-265

ودراسة بعنوان : «طبقات الشكل : اللسانيات البنيوية والترجمة الآلية»

"Form Classes: Structural Linguistics and Mechanical Translation", For Roman Jacobson, PP. 344-352.

وأكثر المصادر غناء في الإلمام الدقيق بنتائج الجهود السوفييتية في مجال الترجمة الآلية مجموعة دراسات بعنوان «مواد في الترجمة الآلية»

"Materialy po mašinnoj perevod (Linengrad, 1958)

وتشمل على أعمال مشهورة مثل : دراسة ن . د . اندرييف N. D. Andreev بعنوان : «اللغة المنطقية في الترجمة الآلية وتطبيقاتها»

"Meta-Jazyk mašinnogo perveda i ego premenenie" (PP. 40-60)

ودراسة ف .ف . ايفانوف V. V. Ivanov بعنوان «القضايا اللسانية في تصميم لغة آلية من أجل آلة المعلومات»

"Longvističeskie voprocy cozdanija mašinnogo jazyka dlja informačionnoj mašiny (PP. 10-39)

وغير ذلك من دراسات .

ويعطي اي . ا . ميلتشوك I. A. Mel'cuk (وهو متخصص بارز في الترجمة الآلية) استقراء للعمل الذي تم القيام به في مجال الترجمة الآلية بالاتحاد السوفييتي ، وذلك في مقال بعنوان : «**الأعمال المتصلة بالترجمة الآلية في الاتحاد السوفييتي** Raboty po masinnomu perevodu v SSSR

وقد نشرت في : Vestnik AN SSSR, 1959, No. 2, PP. 43-47

وتعد او . س . كولاجينا O. S. Kulagina واحدة من أبرز المتخصصين في الترجمة الآلية في العالم . وقد نشرت نظريتها عن كيفية إعداد البنية النحوية بطريقة أكثر كفاءة لأغراض الترجمة الآلية في دراسة لها بعنوان : «**حول أجدى طرق تحديد المفاهيم النحوية على أساس من نظرية التجميع**»

"Ob odnom sposobe opredelenija grammatičeskix ponjatij no baze teorii množestva"

وقد نشرت في : «**دار النشر الحكوميةفي المطبوعات الفيزيائية - الرياضية**»

(= Gosudarstvennoe izdatelstvo fiziko-matematičeskoj literatury). (Moscow, 1958) PP. 203-314

وقد قام بشرح هذه النظرية للسانيين اي . ج . **ريفزين** I. G. Revzin في مقال بعنوان : «**حول بعض المفاهيم فيما يسمى بالتصور النظري الجمعي للغة**»

"O nekotoryx ponjatijax nazyvaemoj teoretikomnožestvennoj koncepcii jazyka" , Vja, IX, 6 (1960). PP. 88-94 .

وثمة نظرة متأملة للمستوى الحالي للإنجازات السوفييتية في مجال الترجمة الآلية يمكن الاطلاع عليها في دورية **«الترجمة الآلية واللسانيات التطبيقية»** "Mašinnyi perevod i prekladnaja lingvistika" ، وكذلك في دورية **«قضايا اللسانيات»** "Voprocy Jazykoznanija" (حيث قدمت المادة على وجه الخصوص بطريقة ميسرة ، إذ كتبت لجمهور اللسانيين الذين كانوا في بداية شعورهم بالحاجة إلى إلمام دقيق بهذا المجال من مجالات الهموم اللسانية) .

وهناك حديثاً مجموعة دراسات بعنوان : **«أبحاث في اللسانيات السلافية»**

"Issledovanija po slavjanskomy jazykoznaniju" (Moscow, ANSSSR, 1961)

وقد شملت دراسة بعنوان : **«الأسس النظرية للترجمة الآلية إلى اللغة الروسية»** "Teoretičeskie osnovi mašinnogo perevoda na russkii jazyk" كتبتها مجموعة من المؤلفين هم : **او . س كولاجينا و ا . ا . ليابونوف** A. A. Ljaponov و اي . ا . **ميلتشوك و ت . ل . مالوشنيا** T. M. Malošnaja . وفي هذه الدراسة قدمت بوضوح وإيجاز آخر النتائج التي توصل إليها أبرز المتخصصين السوفييت المهتمين بالترجمة الآلية الذين لهم اهتمام خاص بمشكلة **اللغة الوسيطة** .

وأخيراً نوصي الذين يرغبون في تحصيل معلومات مفصلة عن نظرية الترجمة بوجه عام بقراءة مجموعة الدراسات التي عنوانها

«عن التـرجـمـة» "On Translation" باشـراف رابين ا. بروار Reuben A. Brower نشرت في :

Harvard Studies in Comparative Literature (Cambridge, Mass., 1959)

وتشمل هذه الدراسات أعمالاً كتبها لسانيون ومتخصصون في الأدب . ومن أمثلة ذلك رومان جاكوبسون في دراسته «عن الجوانب اللسانية في الترجمة» "On Linguistic Aspects of Translation" حيث يعرض نظريته عن ظاهرة الترجمة ، وفحواها أن كل شيء يمكن ترجمته على نحو تبقى به الرسالة الأساسية دون تغيير . ولكن الشفرة (انظر فيما سلف ف ٤٥٧) التي تحملها ينبغي أن تخضع للتغيير خلال عملية الترجمة . إن لكل لغة شفرتها المميزة ، ومن ثم فإن الترجمة تتطلب إعادة تشكيل كثير من التفصيلات بالطرح والجمع في كينونة الشفرة الجديدة التي تنقل إليها الرسالة .

وهكذا كان لا بد لترجمة النص الأدبي من أن تصبح تحويلاً لسانياً إبداعياً بالضرورة . وفي كتاب ايوجين ا . نايدا Eugen A. Nida الذي عنوانه «مبادئ الترجمة كما توضحها ترجمة الكتاب المقدس»

"Principles of Translation as Exemplified by Bible Translation " (PP. 11-31)

- يطور المؤلف الفرضية القائلة بامتناع وجود الترجمة المقنعة لا بسبب الاختلاف في الشفرة (أي البنية النحوية للغة) ولكن لأن لكل لغة خلفيتها الثقافية التي تحدد نمطاً معيناً للاستدعاءات المجازية .

أما ويليارد ف . كوين Williard F. Quine فيبين في كتابه «المعنى والترجمة» "Meaning and Translation" (PP. 148-172) ـ من خلال تطبيقه للتحليل المنطقي الاجراءات المنهجية المعتمدة في نظرية المعلومات ـ أن المعاملات المتبادلة mutual coefficients بين اللغات يمكن التماسها في الخصائص المميزة المتكافئة بين الجمل ، وهي خصائص موجودة في اللغة التي منها أو إليها تكون الترجمة ، بقطع النظر عن الفروق القائمة بين اللغات في المباني النحوية . وفي الختام يقدم انطوني ج . اوتينجر Antony G. Oettinger في كتابه « الآلية في التحويل والترجمة والنقل والتبديل »

"Automatic Transference, Translation, Remittance Shunting" (PP. 240-267)

عرضاً رصيناً لمبادئ الترجمة الآلية مع إشارة خاصة للتوقعات المثيرة في مجال تحسين تقنية الترجمة الآلية من النصوص الروسية إلى الإنجليزية .

الحــواشي

(١٥) مثال ذلك أن هيئة مركز سيتل (بالولايات المتحدة) للترجمة الآلية كانوا في صف «المنظومة المعجمية Lexical Organisation» على حين يهتم المتخصصون السوفييت في الغالب بالنمط «النحوي» للذاكرة .

(١٦) لم يجتذب هذا الاتجاه أعضاء هذه المجموعة من جامعة هارفارد فقط بل شمل أيضاً متخصصين من معهد ماساشوستس للتقنية .

(١٧) بالنظر إلى سرعة مسار التقدم في هذا المجال من مجالات النشاط البحثي من المحتمل جداً أن هذه المعلومات (التي جمعت أساساً من تقريرات نشرت منذ سنوات كثيرة مضت) لم تعد كاملة .

(١٨) أثارت اللغة الصينية دائماً ولا تزال اهتمام جمهور اللسانيين لما لها من بنية مخصوصة . ولقد أثارت أخبار تقدم الترجمة الآلية في جمهورية الصين الشعبية اهتماماً كبيراً لدى الحلقات اللسانية . ويضع اللسانيون أملهم في المعلومات التي ينبغي أن يكون الحصول عليها وشيكاً من دراسة مفصلة لبنية اللغة الصينية ومقارنتها بالبُنى اللسانية للغات الهندية - الأوروبية ، ويرون أن هذه المعلومات ستكون ذات أهمية كبيرة لتحقيق التطور في النظرية اللسانية العامة . وقد قُدّمت المعلومات الأولى عن الترجمة الآلية بجمهورية الصين الشعبية في مقالة كتبها لتو يونستشوان Ltu Jun - Cjuan بعنوان «العمل البحثي في مجال الترجمة الآلية بجمهورية الصين الشعبية» Issledovateickja Rabota v Oblasti MP v Kitajskoj Narodnoj Respublike"

نشرت في قضايا اللسانيات Vja, VIII. 5 (1959), pp. 102 - 104.

مسرد الأعلام

Fischer, E. مسرد المصطلحات

A

Ablative	حالة الأداة
Academic semanticians	علماء الدلالة الأكاديميون
Abstract	مجرد
Accentology	علم النبر
Acoustics	الصوتيات الأكوستيكية
Actualization	التحقيق
Actualizers	وسائل التحقيق
Acuteness	الحدة
Aesthetic	جمالي
Aesthetic idealism	المثالية الجمالية
Affective linguistics	اللسانيات التأثيرية
Affinity	نسب
Affixes	الزوائد
Agglutinative languges	اللغات اللصقية
Agglutinative	لصقي
Algorithm	خوارزمية
Altaic	ألطائي

Amalgamating flexional languages	اللغات الاندماجية
Analogists	القياسيون
Anthropological	علم الإنسان ـ أنثروبولوجي
Anomalists	المشذذون
Anti-historical	مضاد للتاريخية
Anti - mentalism	معاداة النزعة الذهنية
Antiquity	العصور القديمة
Anthology	مقتطفات أدبية مختارة
Aphasia	إعاقة لغوية
Apperception	الإدراك بالترابط
Approximate Methods	المناهج [illegible]ية
Arbitrary	اعتباطي / تحكمي
Archaism	غريب
Areal	مساحي
Ariel linguistics	اللسانيات المساحية
Articulatory	نطقي
Articulatory phonetics	الصوتيات النطقية
Assimilation	ظاهرة المماثلة
Association	التداعي
Association of languages	تداعي اللغات
Associationist	من أنصار نظرية التداعي

Associative	استدعائي
Autonomous	تلقائي / مستقل استقلالي
Average man	الرجل العادي
An emic unit	وحدة نظامية

B

Basic dictionaries	المعاجم الأساسية
Behaviourism	السلوكية
Binary oppositions	التقابلات الثنائية
Binarism	مبدأ الثنائية
Biolinguistis	اللسانيات الحيوية
Biological	أحيائي

C

Colective language	اللغة الجماعية
Collective psychology	النفسية الجمعية
Communication	التواصل
Consonants	صوامت
Central	مركزي
Castes	طوائف اجتماعية
Consistency	اتساق
Common nouns	اسم عام
Congruency	تطابق

Concentric	متمركز
Centum	السنتية
Collective language	اللغة الجمعية
Chronology	تحقيب
Colloidal	شبه غروي
Communication channel	القناة التواصلية
Cebernetis	علم السيبرنطيقا/ علم التحكم
Coding	نظام التشفير
Combinatory	تكاملي
Cryptography	الكتابة الشفرية
Competence	الكفاءة
Constituent structures rules	قواعد مكونات البنية
Contextual school	المدرسة المقامية
Commutation	الإحلال
Congruency	تطابق
Content	محتوى
Circle of linguistis	حلقة لسانية
Consistency	اتساق
Concrete	حسي (متعلق بالأشياء والأفعال والهيئات)
Conceptual	مفهومي (المعيار المفهومي)
Compactness	التضام

D

Dissimilation	ظاهرة المغايرة
Dynamic	متحول
Diachronic	زماني
Degree of congruency	درجة التطابق
Decoding	عملية حل الشفرة
Dynamic philology	فقه اللغة الحركي
Derived sentence	جملة مشتقة
Designator	مُحدِّد
Descriptive semantis	علم الدلالة الوصفي
Deductive method	منهج استدلالي
[illegible]	[illegible]
Distribution	توزيـــع
Distributional	توزيعي
Derviational	اشتقاقي
Distinctive featunes	سمات مازة
Diffuseness	انتشـــار
Dichotomy	الازدواجية
Distinctive	فارق ـ مميز
Determination	التعيين
Dynamic	حركي
Diachronic	زماني

Descriptive linguistics	اللسانيات الوصفية
Distributionalists	التوزيعيون
Distributional	توزيعي

E

Experimental phonetics	الصوتيات المختبرية
Ethnic intermicture	تداخل إثني
Emprunts sociaux	الاقتراض الاجتماعي
Epistemology	نظرية المعرفة
Etymological Research	البحث التأثيلي
Explicit	صريح
Entropy	انتروبيا
Extensive	موسع
Expression	تعبير
Experimental psychology	علم النفس المختبري
Ethnolinguistics	اللسانيات الإثنية
Exactness	الـدقـة

F

Formant	حزمة مكونة
Frequeney	تكرار/ شيوع
Formators	مكونات
Formalists	الشكلانيون
Form	الشكل

Filler	شاغل
Flexional	تصريفي
Field dispersion	مجال تشتت
Functional transportation	المناقلة الوظيفية
Functional linguistics	اللسانيات الوظيفية

G

Geographical linguistics	اللسانيات الجغرافية
General stylistics	علم الأسلوب العام
Group stylistics	علم الأسلوب الجماعي
Generalization	التعميم
Genotype	الطراز الوراثي النمط الوراثي
Gestalt - theory	نظرية الجشطالت
Generalogical tree	شجرة السلالة
Grimm's law	قانون جريم
Glottogonistic	متعلق بنشأة اللغة
Glossators	علماء المعاجم
Generative grammar	النحو التوليدي
Glotto - chronology	علم التحقيب اللساني
Glottochronology	التحقيب اللساني
Grammaticaligy	معيار النحوية
Generative grammar	النحو التوليدي
Grammatical	نحوي

General semanticians	علماء الدلالة العامة
Glossematicians	الجلوسيمية
Grammeme	نحويم
Graveness	غلظ

H

Heat receptors	المستقبلات الحرارية
Hymonymic	تعارضات المشترك اللفظي
Homonymy	مشترك لفظي
High Tonality	نغمة عالية

I

Idealistic stylistics	الأسلوبيات المثالية
Individual stylistics	علم الأسلوب الفردي
Independents	المستقلون
Inner language form	البنية الداخلية للغة
Inner form	التركيب الداخلي
Isoglosses	خطوط التوزيع اللغوي
Interjectional	النظرية الانفعالية
Intermediary langage	اللغة الوسيطة
Implicit	ضمني
Information theory	نظرية المعلومات
Intitution	الحدس
Intensive	مكثف

Immanent phensmenon	ظاهرة باطنية
Immediate constitutes	المكونات المباشرة
Inflectional affixes	مواحق إعرابية
Isomorphism	تشابه الأشكال اللغوية
Inertia (inertia)	قصور ذاتي

J

Japhetic	مجموعة اللغات اليافثية
Jung - grammatiker	النحاة المحدثون
Juncture	المفصل

K

Kymograph	الراسم الكهربي للذبذبات
Ke[illegible]	[illegible]
Kinesics	علم الإشارات الجسمية
Kinetics	علم اللغة الحركية

L

Language	اللغـــة
Langue	اللســان
Lexicogrophers	مصنفو المعاجم
Lexical organization	المنظومة المعجمية
Logical syntax	النحو المنطقي
Lexicostatistics	الإحصاء المعجمي
Lexical	معجمي

Linguistic semanics	علم الدلالة اللسانية
Logistic grammar	النحو الرمزي
Logicians	المناطقة
Logistics	المنطق الرمزي
Linguistic matrix	المصفوفة اللسانية
Low tonality	نغمة منخفضة
Language allience	الجوار اللغوي
Linear	خطي (ذو طبيعة خطية)

M

Motor phonetics	الصوتيات الحركية
Monogenesis theory	نظرية وحدة الأصل
Monogenesis of language	وحدة الأصل في اللغة
Musicology	علم الموسيقى
Meta - language	اللغة الواصفة
Mutation theory	نظرية الطفرة
Mixed languages	اللغات المختلطة
Meta language	لغة اللسانيات
Morphophonemics	الصوتيميات الصرفية
Mutual coefficients	المعاملات المتبادلة
Mathematical code	الشفرة الرياضية
Mentalism	النزعة الذهنية
Modal	مشروط

Micro lingistics	لسانيات صغرى
Macro linguistics	لسانيات كبرى
Mathematical linguistics	اللسانيات الرياضية
Metalogic	منطق عالي
Metamathematics	رياضيات عليا
Metalanguage	لغية عليا
Machine translation	ترجمة آلية
Microlinguistics	اللسانيات الصغرى
Macrolinguistics	اللسانيات الكبرى
Metaling uistics	اللسانيات البرانية
Morphemes	صرفيمات
Morphophonemics	المورفونيميات صرفوصوتيمات
Morphophonology	صرفوصوتولوجيا
Marked	موسوم
Modal	مشروط
Marrism	(النظرية) الماريّة

N

Neo- Saussurianism	السويسرية المحدثة
Neo- linguists	اللسانيون المحدثون
Neurology	علم الأعصاب
National psychology	علم النفس القومي
Neo Grammarians	النحاة المحدثون

Nominative	حالة الرفع
Nativistic	النظرية السيقية
Normative Grammar	النحو المعياري
Noun Phrase	مكون اسمي
Nomination	ظاهرة التسمية
Neo- humboldtians	الهمبولدتيون المحدثون
Non-Palatal	غير حنكي

O

Orthoepy	ضبط النطق
Oblique	حالة الجر
Onomatopoeic	الأصوات الموجية
Ordered rules	القواعد [illegible]
Obligatory	وجوبي
Optional	جوازي
Oppositions	التعارضات

P

Phonometrics	علم القياسات الصوتية
Perceptual	إدراكي
Palatogramma	سقف الحنك الصناعي
Parent language	اللغة الأصل
Peripheral	هامشي
Psychophysiological	نفسي فسيولوجي

Pre-structural	ما قبل البنيوية
Phenotype	النمط (الطراز) الفيزيقي
Pidgin language	اللغة المبسطة
Palatalization	التحنيكية
Pedigree	نظرية السلالة
Prosody	العروض
Predictability	التنبؤ
Phoneme	صوتيم
Phonology	الصوتولوجيا
Psyc~~hobio~~logy	علم الأحياء النفسى
Polysemy	تعدد المعنى

Psychobiology	علم الأحياء النفسي
Process	عملية
Phrase rules	قواعد العبارة
Phrase - stucture level	مستوى بنية العبارة
Phrase - structure	بنية العبارة
Pragmatics	براجماتية / مقاماتية
Paradygmatic relations	علاقات الاستبدال
Polysemy	تعدد المعنى
Paralingiustis	اللسانيات الموازية
Prelinguistics	اللسانيات القَبْلية
Phonoaesthetics	الجماليات الصوتيات

Phonetics	صوتيات
Psychophysiology	الفسيولوجيا النفسانية
Proposition	حكم منطقي
Polysynthetic .	متعدد التركيب
Palatal	حنكي
Pitch	درجة الصوت
Progody	الإيقاع
Phoneme	صوتيم
Phonology	صوتولوجيا
Psycholinguistics	اللسانيات النفسانية
Phonological school	المدرسة الفونولوجية
Port - Royal	بورت رويال

Q

Quantitative isoglosses	خطوط التوزيع

R

Radical languages	اللغات الجذرية
Root	جذر
Rectus	حالة النصب
Rhetoricians	البلاغيون
Relational	علائقي (يختص بالعلاقات بين الأطراف)
Radical	جذري

Rational Stylistics	الأسلوبيات العقلانية
Redundant	ظواهر غير واردة
Relevant	ظواهر واردة

S

Spectrograph	المطياف
Stadialism	نظرية المرحلية
Substratum theory	نظرية الطبقة السفلى
Speaking person	الشخص المتكلم
Speaking society	المجتمع المتكلم
School of literary stylistics	مدرسة الأسلوبيات الأدبية
Stylistic criticism	النقد الأسلوبي
Specialization	التخصيص
Sociological linguistics	اللسانيات الاجتماعية
Sprachusus	الكلامية
Synchronic	آني
Synonyms	مترادفات
Scholastic	مدرسي
Synchronist	عالم اللسانيات الآنية
Synchrony	ي
Scholiasts	المحققون
Stem	جذع

Simple alternative	البديل البسيط
Stochastic process	العمليات الاختيارية
Subconscious	شبه واعي
Syntactic	نظمي (خاص بالنظم)
Syntactical relations	علاقات النظم
Semiology	علم السيميولوجيا
Suppletivism	ظاهرة الإلحاق
Stenographers	المختزلون
Syntactic categories	المقولات النحوية
Stenography	علم الاختزال
Statistics of vocabulary	إحصاء المفردات
Stenographs	الاختزال
Segments	الصوتيمات المتحيزة
Syntactic stractures	البنى النحوية
Semantic profile	الخط الدلالي
Semantic fields	المجالات الدلالية
Semanticians	الدلاليون
Semantic philosophy	فلسفة الدلالة
Semantics	علم الدلالة
Semiology	العلاماتية
Semiotics	السيميائية
Semology	سيمولوجيا

السيميائية	Semiotics
اختبار الاستبدال	Substitution
استبدال	Substitution
علاقات التتابع	Syntagmatic relations
علم التراكيب/ النحو	Syntax
المادة	Substance
السيموطيقا ـ السيميولوجيا	Semiotics
شاغر	Slot
دلاليم	Semanteme
النبر	Stress
نحوي - نَظمي	Syntactic
[illegible]	Syntagmatic transformation
ثابت	Static
دالٌ	Significant
اللسانيات البنيوية	Structural linguistis
البساطة	Smiplicity

T

نمطي	Typological
نظرية تجاور العناصر اللغوية	Theory of Syntagmatics
علم التنميط	Typology
التقليديون	Traditionalists
نظرية الموجات	Theory of Waves

Transmition	قناة البث
Thesaurus	مكانز/ خزائن
Transformational	النحو التحويلي
Transformational level	المستوى التحويلي
Transformation	التحويل
Transformational	النحو التحويلي
Tagmemicts	التاجيمية
Tagmeme	تاجيم

U

Ultimate invariants	الثوابت الأساسية
Unmarked	غير موسوم
Underlying	باطني

V

Visible speech	الكلام المرئي
Vacuam tubes	الأنابيب المجوفة
Voelkerpsychologie	علم النفس الشعبي
Vowels	حركات (صوائت)
Verbal Behavioun	السلوك اللغوي
Variants	تنوعات
Verb Phrase	مكون فعلي
Vowels	صوائت / حركات
Variant	نـــوع

Virtual	
Value	

W

Weltanschauung	رؤية العالم
Word order	نسق الكلام
Well - formedness	الصواب النحوي
Word - tone	نغمة الكلمة

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عقيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين [illegible] / [illegible]يرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات [illegible]	فيليب [illegible]	ت : [illegible]
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	يول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
[illegible]	[illegible]	[illegible]
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
[illegible]	[illegible]	ت : محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
هوية فرنسا	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور

صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
الفجر الكاذب	چون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
التحليل الموسيقي	سيدريك ثورب ديفي	ت: سمحه الخولي
[illegible]	[illegible]	ت : [illegible]
إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	چوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري

صاحبة اللوكاندة	كارلوس جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان
موت أرتميد كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى

(تحت الطبع)

الشعر الأمريكي المعاصر

الجانب الديني للفلسفة

الولاية

المدارس الجمالية الكبرى

مختارات من الشعر اليونانى الحديث

بارسيفال

العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل

عدالة الهنود

چان كوكتو على شاشة السينما

الأرضة

[illegible]

نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة

القصة القصيرة (النظرية والتقنية)

التجربة الإغريقية : حركة الاستعمار والصراع الاجتماعى

العنف والنبوءة

خسرو وشيرين

العمى والبصيرة (مقالات فى بلاغة النقد المعاصر)

وضع حد

التليفزيون فى الحياة اليومية

أنطوان تشيخوف

من المسرح الإسبانى المعاصر

تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)

حكايات ثعلب

شامبوليون (حياة من نور)

الحورية الهاربة

الإسلام فى السودان

العربى فى الأدب الإسرائيلى

آلة الطبيعة

ضحايا التنمية

[illegible]

أيديولوجى

تاريخ الكنيسة

فن الرواية

ما بعد المعلومات

علم الجمالية وعلم اجتماع الفن

المهلة الأخيرة

الهيولية تصنع علماً جديداً

مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٦٨٧ / ١٩٩٦

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 696 - 7)

Trends in Linguistics

Milka Ivic

لما كان جانب من المشكل اللسانى العربى المعاصر أنه يقارب المرحلة المعاصرة مقطوعة الصلات عن مواردها ومصادرها ودون وعى كاف بتاريخ العلم ومكاننا من هذا التاريخ حاضره وغابره .

ونظراً لخلاء الساحة وافتقار المكتبة العربية إلى مصنف يقوم بهذا

الواجب على كثرة أمثاله وتنوعها فى المكتبة العربية ؛ فيرصد لنا رحلة الفكر مع اللغة فى دقة حميدة ، وموضوعية أمينة ، ومعمار منهجى رصين ، واستيعاب موفق ، وهو إذ يفعل إنما يستهل رحلته من البداية حتى يقف القارئ عند الخريطة المعاصرة لمذاهب علماء اللسان وأنظارهم البحثية وعقائدهم العملية فى معالجة الظاهرة اللسانية .

لذا فإن ترجمة هذا الكتاب ونشره للقارئ العربى تتيح تأمل الذات والوعى بموقعها من مسيرة العلم ، واستنبات البذور فى تربة الثقافة العربية على نحو يفضى إلى توطين العلم ، والإسهام فى صياغته .